العلاقات البريطانية اليمنية
بين الحربين العالميتين
(١٩١٩ - ١٩٣٩)

للدكتـــور
فاروق عثمان أباظة
كلية الآداب ــ جامعة الاســكندرية



دار المعارف

مقدمة

يهدف هذا البحث الى تتبع مسار العلاقات البريطانية اليمنية فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، وهى الفترة الممتدة بين عامى ١٩١٩ و ١٩٣٩ ، والتى تميزت بأهميتها من ناحية التغيرات الاستراتيجية والسياسية التى طرأت على منطقة الشرق الأوسط بوجه عام ، وعلى الجزيرة العربية ــ ومن بينها اليمن ــ بوجه خاص ٠

وسوف نتتبع هذه العلاقات البريطانية اليمنية بين الحربين العالميتين من الناحية المنهجية وفقا لطبيعة مركز بريطانيا المتغير ازاء مناطق اليمن المختلفة فى المجالين الاستراتيجي والسياسى ٠ فقد أخذ مركز بريطانيا من ناحية أولى صفة الوجود الفعلى والقوة المحتلة بالنسبة لمدينة عدن والمنطقة القريبة المحيطة بها ، فضلا عن الجزر اليمنية التى كانت تتبع الادارة البريطانية فى عدن بشكل مباشر ٠ كما أخذ مركز بريطانيا من ناحية ثانية صفة الدولة التعاهدية بالنسبة للنواحى التسع المتاخمة لعدن والواقعة فى الشطر الجنوبى من اليمن وفقا للمعاهدات التى عقدتها معها وتمثلت فى « معاهدات الصداقة والولاء » التى بدأت عقب احتلالها لعدن فى سنة ١٨٣٩ والتى تحولت الى « معاهدات حماية » فى أعقاب عودة الأتراك العثمانيين الى اليمن فى سنة ١٨٧٢ ٠ كذلك أخذ مركز بريطانيا من ناحية ثالثة صفة الدولة التى تتعامل مع دولة أخرى ذات سيادة بالنسبة للملكة اليمنية المتوكلية التى أعلن الامام يحيى بن محمد ابن يحيى حميد الدين ملكا عليها فى الشطر الشمالى من اليمن عقب جلاء العثمانيين عنه فى مطلع سنة ١٩١٩ تنفيذا لهدنة « مودروس Mudrus » المعقودة فى اليوم الثلاثين من أكتوبر سنة ١٩١٨ (١) ، والتى نصت على انسحاب القوات العسكرية والادارة المدنية العثمانية من شبه الجزيرة العربية (٢) ٠

وكان مركز الامام يحيى فى الشطر الشمالى من اليمن قد اختلف عما كان عليه من قبل أثناء خضوع اليمن للحكم العثمانى حتى مطلع سنة ١٩١٩ ، حيث كان يمارس فى نطاق مكانى محدود ــ فيما حول مدينة صعده بشمالى اليمن منذ توليه الامامة فى سنة ١٩٠٤ ــ سلطة ذات طابع دينى على اتباعه

(١) Reilly, B. : Aden and the Yemen, P. 16.
(٢) Bremond, E. : Yemen et Saoudia, P. 84.
Bremord.

الزيديين • ثم أصبح يمارس بعد جلاء العثمانيين عن بلاده فى مطلع سنة ١٩١٩ ـ الى جانب سلطاته الدينية ـ سلطاته كملك لدولة ذات سيادة • على أن بريطانيا لم تعط لهذا الأعتبـــار وزنه الحقيقى الا فى أعقاب عقد معاهدة الصداقة والتعاون المتبادل بينها وبين المملكة اليمنية المتوكلية فى اليوم الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٣٤ (١) • وتعتبر هذه المعاهدة أول اعتراف رسمى من جانب بريطانيا باستقلال اليمن ـ فى شطره الشمالى ـ تحت حكم الامام يحيى • ولم تبرم هذه المعاهدة بين بريطانيا والامام يحيى الا بعد أن أنفذ الامام المطالب البريطانية التى انحصرت فى الافـراج عن الأسرى الذين كان قد قبض عليهم من أهالى النواحى التسع المتاخمة لعدن فى الشطر الجنوبى من اليمن والمرتبطة مع بريطانيا بمعاهدات حماية ، وأيضا بعد اجلاء قواته عن بعض المناطق التى سبق أن احتلها من تلك النواحى قبل عقد المعاهدة (٢) ، على النحو الذى سنوضحه فى ثنايا البحث •

وقد سبق التوصل الى عقد تلك المعاهدة بين بريطانيا والامام يحيى حدوث كثير من التطورات التى حددت مسار العلاقات البريطانية اليمنية منذ جلاء العثمانيين عن اليمن فى مطلع سنة ١٩١٩ وحتى تاريخ عقد هذه المعاهدة فى الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٣٤ ، كما أن هذه المعاهدة حددت مسار العلاقات البريطانية اليمنية فيما بعد عقدها وحتى الفترة التى ينتهى عندها هذا البحث عند قيام الحرب العالمية الثانية فى سنة ١٩٣٩ •

ومن هنا فان هذا البحث يســـتهدف تتبع مسار العلاقات البريطانية اليمنية فيما بين الحربين العالميتين ، وذلك وفقا لطبيعة مركز بريطانيا المتغير ازاء مناطق اليمن المختلفة على النحو الذى أشرنا اليه • وقد انتهجنا هذا المنهج ايمانا منا بوحدة التراب اليمنى ، ووحدة شـــعب اليمن فى شطريه الشمالى والجنوبى ، الأمر الذى يتفق والواقع التاريخى •

وقد حرصنا على أن تكون معالجتنا للعلاقات البريطانية اليمنية فيما بين الحربين العالميتين غير منفصلة عن الاطار العـــام لسياسة بريطانيا فى شبه الجزيرة العربية ، التى أرادت بريطانيا أن تفرض عليها مبدأ شبيها « بمبدأ

---

(١) Treaty of Friendship and Mutual Co-operation between his Majesty in respect of the United Kingdom and of India and the King of Yemen, white Paper, Cmd. 4752, 1934.

(٢) Reilly, B. : Op. Cit., PP. 17, 18

مونرو The Monroe Doctrine (١) ، بحيث تكون لها اليد الطولى في شئون الجزيرة • وكانت تهدف من وراء ذلك الى استبعاد تدخل أية قوى أجنبية أخرى غيرها هناك من جهة ، كما كانت تهدف أيضا الى محاصرة حركة النمو الذاتى لسكان الجزيرة العربية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، الا اذا كان ذلك النمو بالقدر الذى لا يتعارض مع مصالحها على أكبر تقدير ، من جهة أخرى •

على أن معالجة مسار العلاقات البريطانية اليمنية فيما بين الحربين العالميتين قد استلزمت منا مراجعة ما أمكننا التوصل اليه من المصادر الأصلية لهذا الموضوع فى سجلات دار الاقامة البريطانية فى عدن Aden Residency Records وأرشيف وزارة الهند المحفوظ بمكتبة وزارة الهند ضمن أرشيف الكومنولث بلندن. Foreign and Commonwealth Office. India Office Library and India Office Records " ومحفوظات دار المحفوظات العامة بلندن : " Public Record Office " للتعرف على ما يتصل بالموضوع من وثائق وزارات الخارجية • " Foreign Office " والحربية War office والمستعمرات " Colonial Office " وبعض مجموعات الأوراق الخاصة ، فضلا عن مضابط البرلمان البريطانى بمجلسيه العموم واللوردات " Hansard's Parliamentary Debates " والتى تعود الى الفترة التى يتناولها البحث ، هذا بالاضافة الى المؤلفات اليمنية المعاصرة من جهة ثانية ، والرسائل والبحوث العلمية المتصلة بالموضوع من جهة ثالثة ، فضلا عن العديد من مؤلفات بعض الشخصيات التى أدارت دفة السياسة البريطانية فى الجزيرة العربية ، كمؤلفات المقيمين السياسيين البريطانيين ومساعديهم فى عدن من جهة رابعة ، الى جانب ما أمكننا الاطلاع عليه من دوريات باللغة العربية واللغات الأجنبية ويتصل بالموضوع • من جهة خامسة •

ولا شك أن تواجدى فى اليمن أثناء اشتغالى بتدريس التاريخ الحديث بجامعة عدن فيما بين عامى ١٩٧٣ و ١٩٧٦ ، قد ساعدنى كثيرا فى التعرف على معلومات تتعلق بهذا الموضوع ، كان يتعذر على معرفتها اذا لم تتح لى فرصة التواجد فى المنطقة ذاتها •

---

(١) Pratt. J. W. : A. History of United States Foreign Policy, PP. 79, 89.

ــ صدر مبدأ مونرو ــ الذى تبنته الولايات المتحدة الأمريكية ــ فى سنة ١٨٢٣ ، ليحول دون تدخل القوى الأوربية فى العالم الجديد •

وأرجو أن أكون بهذا البحث قد وفقت فى معالجة موضوع : « العلاقات البريطانية اليمنية بين الحربين العالميتين » ، بما يشكل حافزا لى لاستكمال دراسة مسار هذه العلاقات البريطانية اليمنية فى بحث آخر ، أصل به — بعد أن يماط اللثام عن الجزء الأكبر من وثائقه المعــاصرة — حتى جلاء البريطانيين عن عدن فى الثلاثين من نوفمبر سنة ١٩٦٧ بمشيئة الله تعالى ٠

والله ولى التوفيــق ٠

د٠ فاروق عثمان أباظه

أولا

مركز بريطانيا الاستراتيجي والسياسي في عدن والجزر اليمنية بين الحربين العالميتين

ظلت عدن منذ بداية الاحتلال البريطاني لها في اليوم التاسع عشر من يناير ١٨٣٩ وحتى جلاء البريطانيين عنها في اليوم الثلاثين من نوفمبر سنة ١٩٦٧ ، الركيزة الأساسية للوجود البريطاني الفعلي في اليمن خاصة . وفي الجزيرة العربية ومنطقة البحر الأحمر بوجه عام • فهي أول نقطة في هذا النطاق الاقليمي الكبير سيطر عليها البريطانيون واستقروا فيها ، وتشبثوا بوجودهم هناك ، حتى كانت آخر نقطة اضطروا للتخلي عنهـا في التـاريخ المشار اليه (١) ، مما يوضح مدى أهميتها للمصالح البريطانية في القرنين التاسع عشر والعشرين •

ومع بداية احتلال البريطانيين لعدن في التاسع عشر من يناير سنة ١٨٣٩ بدأت تبعيتها من الناحية الادارية « لرئاسة بومباى "Bombay Residency. التي كانت تتبع بدورها « حكومة الهند البريطـانية Government of India. • وكانت توجه هذه الحكومة « شركة الهند الشرقية البريطانية The East India Company عن طريق « مجلس شئون الهند في لندن India Board

وقد ظل هذا المجلس يمثل السلطة العليا للشركة المذكورة منذ انشائها في الحادى والثلاثين من ديســمبر سنة ١٦٠٠ ، وحتى انشاء « وزارة الهند البريطانية India Office التي حلت محل الشركة في سنة ١٨٥٨ بعد أن تضخمت أجهزتها ومسئولياتها ، واستمرت تؤدى هذه الوزارة مهمتها حتى سنة ١٩٣٧ • وقد انتقلت تبعية عدن الى وزارة الهند عقب انشائها في سنة ١٨٥٨ ، وذلك عن طريق تبعيتها الى « حكومة بومباى Government of Bombay التي كانت تتبع بدورها « حكومة الهند » والتي كانت توجهها « وزارة الهند البريطانية » في لندن برئاسة وزير الدولة لشئون الهنـد "Secretary of State for India (٢)

---

(١) فاروق عثمان أباظة « دكتور » : عدن والسياسة البريطانيـة في البحر الأحمر ١٨٣٩ ـ ١٩١٨ ، ص ٦٦٦ •

(٢) Marston, T.E. : Britain's Imperial Role in the Red Sea Area 1800 -- 1878, P. XII.

وقد قررت الحكومة البريطانية فى لندن نزع اشراف حكومة بومباى على عدن ــ نتيجة لتزايد أهميتها للمصالح البريطانية ــ دون أن تفصلها نهائيا عن فلك حكومة الهند ، وذلك فى أول أبريل سنة ١٩٣٢ • وبذلك أصبحت لعدن ادارة متميزة وضعت تحت الاشراف المباشر لنائب ملك بريطانيا فى الهند (١) ، الذى كانت له صلاحيات تعيين « المقيم السياسى البريطانى فى عدن Political Resident in Aden. الذى أصبح يعرف منذ هذا التاريخ (١٩٣٢ ــ ١٩٣٧) بلقب « المندوب الرئيسى • Chief Commissionner فى عدن ، ثم عرف فى الفترة الممتدة بين عامى (١٩٣٧ ــ ١٩٦٣) بلقب « حـاكم عـدن Governor of Aden. وأخيرا أصبح يعرف بلقب « المندوب السامى High Commissioner. منذ عام ١٩٦٣ وحتى جلاء البريطانيين عن عدن سنة ١٩٦٧ (٢) وكان يسـاعد المقيم السياسى البريطانى فى عدن موظف مدنى كبير تعينه الدائرة السـياسية للشئون الخـارجية فى حكومة الهند ، ثم زاد عـدد المسـاعدين مع تضخم مسئوليات المقيم ، فضـلا عما يضمه جهاز المقيم من الموظفين المدنيين والعسكريين •

وقد أشـار « سيرتوم هيكنبو تام Sir Tom Hickinbotam. الذى عمل مساعدا للمقيم السياسى البريطانى فى عدن ، ثم سكرتيرا عاما ، فرئيسا لأمانة ميناء عدن ، وأخيرا حاكما لعدن والمحميات فى الفترة الممتدة بين عامى ١٩٥١ و ١٩٦٦ ــ الى أن كلا من حكومتى الهند وبومباى عاملتا عدن على أنها مدينة صغيرة تابعة لبومباى ، ولهذا لم تعطيا الاهتمام الكافى لتحسين الأوضاع الادارية والصحية والتعليمية والاقتصادية بالنسبة لسكان عدن ذاتها ، وانما كان الاتجاه الرئيسى موجها لزيادة التبادل التجارى فى هذا الميناء الحيوى الهام (٣) •

---

(١) King, Gillian : Imperial Outpost — Aden. Its Place in British Strategic Policy, P. 53.

« جيليان كينج » من أبرز الباحثات فى الشئون السياسية فى بريطانيا على الصعيد الدولى ، فقد كانت عضوا فى المعهد الملـكى للشئون الخارجية ، الذى يتولى عن طريق مؤسسة النشر التابعة له « شاشام هاوس Chatham House. نشر جميع الدراسات العلمية للمشاكل الدولية ، حتى لو اختلفت هذه الدراسات مع وجهة نظـر بريطانيا الرسمية ، وقـد تولت (جيليان كينج) فى عامى ١٩٥٨ و ١٩٥٩ الاشراف على اعـداد منشورات المعهد المعروفة باسم (وثائق فى الشئون الدولية) •

أنظر : تعريب الكاتب ــ لغيرى حماد ، الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ، ص ٨ •

(٢) Gavin, R. J. : Aden Under British Rule 1839 — 1967, P. 444.

(٣) Heekinbotham, T. : Aden, PP. 1, 3.

وفى اول ابريل سنة ١٩٣٧ غيرت بريطانيا الوضع الادارى والسياسى لعدن من مقيمية تابعة لحكومة الهند البريطانية (١) الى « مستعمرة تاج Crown Colony. أى أنها انتقلت من مرتبة « المقاطعة القاصرة » الى مرتبة « المقاطعة الراشدة » (٢) ، وأصبحت منذ هذا التاريخ تحت الادارة المباشرة « لوزارة المستعمرات البريطانية • Colonial Office. مع ضمان استمرارها ميناء حرا " Free Port " للتجارة البريطانية والدولية (٣) • كما أصبح « حاكم عدن » يعين مباشرة من قبل « وزارة المستعمرات البريطانية » فى لندن • وقد ظلت عدن من الناحية الادارية على هذا الحال حتى قيام الحرب العالمية الثانية فى سنة ١٩٣٩ (٤) ، وهى السنة التى تنتهى عندها الفترة التى يعالجها هذا البحث •

وقد سار التطور الدستورى فى عدن على غرار الصورة المعهودة التى الفتها « وزارة المستعمرات البريطانية » فى نقل مستعمراتها الى الحكم الذاتى • ونص مرسوم « مستعمرة عدن » الصادر فى سنة ١٩٣٧ على تعيين « حاكم لها » يتولى فى الوقت نفسه القيادة العليا للقوات البريطانية فى المستعمرة ، ورئاسة مجلس تنفيذى يضم السكرتير السياسى للحكومة ، والسكرتير المدنى ، وعددا من الأشخاص الذين يختارهم ملك بريطانيا • كما نص المرسوم على انشاء محكمة عليا ذات صلاحيات لا محدودة فى القضايا المدنية والجزائية • على انه يمكن استئناف أحكام هذه المحكمة أمام المحكمة العليا فى بومباى ، ومن ثم الى مجلس الملك فى لندن وعندما نالت الهند استقلالها فى سنة ١٩٤٧ ، نقلت صلاحيات الاستئناف الى محكمة الاستئناف فى افريقيا الشرقية (٥) •

واذا تساءلنا عن الأسباب التى أدت الى احداث هذه التغيرات الهامة التى نقلت تبعية عدن من الناحية الادارية من « وزارة الهند » الى « وزارة المستعمرات » لتصبح « مستعمرة تاج » على النحو الذى أشرنا اليه ، فاننا سنجد أن هذه الأسباب تتعلق بالمتغيرات الدولية التى أثرت على وضع بريطانية العالمى من جهة ، وللمتغيرات المحلية التى طرأت على مختلف مناطق الامبراطورية

---

(١) قحطان محمد الشعبى : الاستعمار البريطانى ومعركتنا العربية فى جنوب اليمن « عدن والامارات » ص ٤٢ •

(٢) محمد عمر الحبشى — دكتور — : اليمن الجنوبى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا منذ ١٩٣٧ وحتى قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، ص٢٠•

(٣) King, G. : Op. Cit, PP. 46, 47.

(٤) The Middle East, a political and economic survey Oxford University Press, London, 1958, P. 35.

(٥) King, Gillian . Op. Cit., PP. 47, 48.

البريطانية من جهة ثانية ، والتى نتجت عن التأثيرات التى خلفتها الحرب العالمية الأولى • ففيما يتعلق بالمتغيرات الدولية التى أثرت على وضع بريطانيا العالمى فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وأحدثت ما يمكن أن نسميه « بأزمة بريطانيا الاستعمارية » على نحو ما أشار اليه الكاتب البريطانى « بالم دات Palm Date. " فى كتابه الذى يحمل هذا العنوان ، والذى أصدره فى سنة ١٩٤٩ وأثار به اهتماما عظيما داخل بريطانيا وخارجها وأعيد طبعه عدة مرات ، وترجم الى أكثر من أثنتى عشرة من اللغات من بينها اللغة العربية • فقد قال « بالم دات » عن هذه الأزمة : « ان الولايات المتحدة الأمريكية انتزعت ـ قبيل الحرب العالمية الأولى ـ من بريطانيا تفوقها الصناعى • ولكن بريطانيا ظلت مع ذلك محتفظة بتفوقها فى التجارة العالمية ، والبحرية التجارية ، والمعاملات المالية الدولية ، والاستثمار الخارجى ، والتسلح البحرى ، والقوى الاستعمارية •• ثم قامت الحرب العالمية الأولى فاذا ببريطانيا تنشق عن أول تغيير كبير يجتاح الموقف • فان الاحتكاريين الأمريكيين ،الذين احتفظوا بالحياد الى المراحل الأخيرة من تلك الحرب ، قد امتصوا أرباحا طائلة من المحاربين ، ولم يتدخلوا الا قرب نهايتها متحملين أقل ما يمكن من الخسارة •• فأصبح لهم بالتالى الصوت المسموع فى كل تسوية يدخلون فيها •

وتقدمت الولايات المتحدة الى مركز الدولة الدائنة ، وباتباعها مشروع داوس • .Dawes (البذرة الأولى لمشروع مارشال) اتجهت بدرجة كبرى الى الاستثمار الأجنبى • أما بريطانيا فكانت تجتاز دورا يقرب من الاحتضار وأحاق بها كساد مزمن ، طال أمده من شتاء عام ١٩٢٠ حتى الحرب العالمية الثانية » (١) • وكان ذلك مؤشرا على بدء الدور الذى قامت به الولايات المتحدة فى تولى الزمام من الامبراطورية البريطانية على نحو ما أكده « لودول دنى Ludwell Denny فى كتابه « أمريكا تقهر بريطانيا » (٢) •

ومن هنا فقد فرض واقع بريطانيا عليها ضرورة التمسك بالمراكز الحيوية التى كان يعتمد عليها نشاطها التجارى وخاصة على الطريق المؤدى للمحيط الهندى والشرق الأقصى • وكانت عدن مركزا حيويا هاما على هذا الطريق ، طالما استفادت منه بريطانيا اقتصاديا واستراتيجيا وسياسيا منذ احتلالها له فى سنة ١٨٣٩ • وعندما جدت الظروف التى أشرنا اليها على

---

(١) بالم دات : أزمة بريطانيا الاستعمارية ، ترجمة وتقديم عادل أحمد ثابت ، ص ٥٦ ـ ٥٨ •

(٢) Denny, L. : America conquers Britain, P. 7.

واقع بريطانيا الدولى فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، فقد كان طبيعيا أن يزداد اهتمامها وتمسكها بهذا المركز الحيوى الهام · وقد جعلها ذلك تحرص على الارتقاء بوضع عدن ، وعلى نقل تبعيتها من وزارة الهند الى وزارة المستعمرات لتصبح « مستعمرة تاج » فى سنة ١٩٣٧ · وقد عزز هذا الاتجاه لدى بريطانيا ادراكها أن حكمها فى الهند ذاتها آنذاك كان على وشك الانتهاء ، وأن الهند كانت على أبواب الاستقلال · ومن ثم كان لابد من هذا التحويل لوضع عدن ، حتى تستمر بريطانيا مسيطرة على هذه النقطة الاستراتيجية الحاكمة بين الشرق والغرب ، والتى زادت أهميتها بالنسبة لواقع بريطانيا الذى تأثر بالمتغيرات الدولية فى فترة ما بين الحربين العالميتين · لقد أصبحت بريطانيا ترغب فى أن تقوم عدن بثلاثة أدوار رئيسية فى تلك الفترة ، أولها أن تكون قاعدة للنشاط التجارى البريطانى فى المحيط الهندى ، وثانيها أن تكون قاعدة تعتمد عليها العمليات العسكرية اللازمة لحماية امارات الخليج ومواردها البترولية ، بحيث تؤلف جزءا من اسهام بريطانيا فى النظام العالمى الشامل للدفاع الغربى الذى أصبحت تتزعمه الولايات المتحدة ، وثالثها أن تكون عدن مقرا للحامية العسكرية التى تضمن استمرار الأمن والنظام فى المستعمرة نفسها وفى المنطقة المحمية المتاخمة لها (١) ، حتى تؤدى دورها فى خدمة الأهداف الاقتصادية والاستراتيجية والسياسية لبريطانيا فى فترة ما بين الحربين العالميتين فى ضوء المتغيرات الدولية ·

اما بالنسبة للمتغيرات المحلية التى أدت الى زيادة اهتمام بريطانيا بعدن وتحويل تبعيتها الادارية من وزارة الهند الى وزارة المستعمرات فى أول ابريل سنة ١٩٣٧ فهى تتمثل فى الدور الذى كان على بريطانيا أن تلعبه فى الجزيرة العربية منذ جلاء العثمانيين عنها فى مطلع عام ١٩١٩ كنتيجة من نتائج الحرب العالمية الأولى · وكان خبراء بريطانيا يدركون فى السنوات الأولى من تلك الحرب حقيقة الفوران الذى سيحدث فى الجزيرة العربية من قبل الكيانات المتعددة التى وجدت قبيل وفى أثناء العهد العثمانى ، وستعمل على تنمية ذاتها ونيل حقوقها عقب نهاية تلك الحرب · وقد أشار الى ذلك « هارولد جاكوب » المساعد الأول للمقيم السياسى البريطانى فى عدن فى مذكرته المؤرخة فى العاشر من مايو سنة ١٩١٦ ـ والتى رفعها الى حكومة الهند « البريجادير جنرال والتون » المقيم السياسى فى عدن حينذاك ـ عن توقعاتهم لما سوف يتحقق فى اليمن عقب نهاية تلك الحرب فقال : « وعندما يخرج الأتراك (من الجزيرة العربية) سيكون للحدود (بين منطقتى النفوذ العثمانى والبريطانى فى اليمن وفقا لاتفاقية عام

---

(١) King Gillian : Op. Cit., PP. 3, 7.

١٩١٤) ظل من الماضي ، وستعم الفوضى · فالأتراك في الوقت الحاضر (١٠ مايو ١٩١٦) ، مثل سدادة زجاجة البيرة ، فعندما تنزع السدادة (بخروج الأتراك من هناك يتصاعد زبد البيرة » (١) · واذا كانت بريطانيا قد اهتمت بعدن في مقدمة اهتمامها بقواعدها المطلة على طرقها التجارية حول العالم قبيل الحرب العالمية الأولى وأثناءها ، فان اهتمامنا بعدن قد زاد عقب نهاية تلك الحرب بما يمكنها من مواجهة ما رمز اليه « جاكوب » ـ بتصاعد زبد البيرة ـ ويقصد به المشاكل التي كان على بريطانيا أن تواجهها من قبل الكيانات المحلية التي ستسعى لاثبات وجودها ونيل حقوقها بعد جلاء العثمانيين عن الجزيرة العربية ، ولمواجهة هذه الظروف المتوقعة كان على بريطانيا أن تقوم بتحصين قاعدة عدن حتى تتمكن من الصمود ضد أية محاولات عدائية من قبل هذه الكيانات من جهة ، أو من قبل ما قد تستعين به هذه الكيانات من قوى أخرى دخيلة من جهة أخرى ، ولهذا فقد استبدلت بريطانيا الأسلحة القديمة التي كانت تحرس الميناء في « رأس مربط » و « طارشين » و « حجيف » بأسلحة جديدة ضخمة ومتطورة · كما جددت وأصلحت جميع وسائل الميناء الدفاعية · وقد أصبحت عدن تعرف في تلك الفترة بين المسئولين البريطانيين وفي الوثائق البريطانية بأنها « القلعة العسكرية » حتى أنه أصبح يعطى لسياسة الأمن العسكرى الأفضلية والأولوية على الاعتبارات الاقتصادية والتجارية رغم زيادة الاهتمام بها أيضا (٢) ·

ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل ان عدة دراسات قد أجريت في لندن فيما بين عامى ١٩٢٧ ـ ١٩٢٩ لتوضيح أهمية عدن ليس فقط كميناء بحرى حيوى هام محصن عسكريا كما هو حالها من قبل ، بل أيضا كقاعدة جوية وخاصة مع زيادة استخدام الطائرات في الأعمال الحربية والمدنية ، بل وبعد استخدامها في ضرب تجمعات قوات الامام يحيى التي زحفت الى بعض مناطق النواحي التسع المحمية المتاخمة لعدن منذ بداية العقد الثالث من القرن

---

(1) I.O. L., Secret, The Aden Protectorate, Letter from the General Officer Commanding, Aden, to the Government of India Foreign Department, dated 13 th May 1916

Enclosure No. 2., A Political Policy in our Hinterland. Not by Lieutenant -- Colonel H.F. Jacob, First Assistant Resident, Aden, dated 10 th May 1916.

(٢) Gavin, R. J. : Op. Cit., PP. 174, 176

العشرين على النحو الذى سنتناوله بالبحث فيما بعد ٠ وكان على هذه الدراسات أن تعالج الترتيبات المالية والادارية والحربيـــة والقضائية التى يمكن أن تتحول عدن بموجبها الى قاعدة جوية فى الأساس الى جانب أهميتها كقـاعدة بحرية ومركز هام للتجارة البريطانية ٠

ويمكننا التعرف على وضعية عدن فى نهاية العقد الثالث من القرن الحالى من وجهة النظـــر البريطانية من خــــلال التقـــرير الذى رفعــه « سير ستيوارت سايمز Sir Stewart Symes. المقيم السـياسى البريطانى فى عدن (١٩٢٨ ـ ١٩٣٠) (١) الى حكومة الهند البريطانية فى اليوم الثالث والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٢٩ والذى حـدد فيه الأهداف البريطانية للوجود البريطانى فى عدن حينذاك بأنها تنحصر فى ثلاثة أهداف رئيسية ٠ أولها أن تكون عدن ميناء مجهزا لتقديم الوقود والاحتياجات الأخرى للاسطول البحرى وللقوات الجوية البريطانية ، وكذلك المحافظة على خطوط المواصلات والاتصالات الخاصة بالامبراطورية ٠ وثانى هذه الأهداف أن تكون عدن قاعدة لممارسة النفوذ السياسى فى الجــــزء الجنوبى الغربى للجزيرة العربية وبخاصة فى المنطقة الساحلية للحيلولة دون قيام حكام المنطقة بعقد أية اتفاقات مع قوى أجنبية أخرى غير بريطانيا ٠ اما ثالث هذه الأهـداف البريطانية فينحصر فى أن تكون عدن مركزا لتجارة بريطانيـــا فى الجزيرة العربية والمحيط الهندى (٢) ، وهو ما كانت تحرص عليه بريطانيا منذ بداية احتلالها لعدن وحتى جلائها عنها ما بين عامى ١٨٣٩ و ١٩٦٧ (٣) ٠

كما أوضح « سايمز » فى تقريره أنه قد أمكن ضمان ولاء حكام المنطقة المتاخمة لعدن عن طريق منحهم مشاهرات تافهه وتقديم بعض المساعدات اليهم تمثلت فى تزويدهم بالأسلحة والذخائر بالقدر الذى يمكنهم به أن يحافظوا على الأمن والاستقرار فى مناطقهم ٠ هذا بالاضافة الى استقبال مستشفيات عدن للمرضى من جميع أنحاء المنطقة ، وأن طلبات العــلاج كانت فى زيادة مســـتمرة ٠

---

(١) Reilly, B. : Op. Cit., P. 7.

(٢) Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 444
Graham, G.S. : Great Britain in the Indian Ocean 1810 — 1850, PP. 282, 285.

(٣) Gavin, R. J. : Op. Cit., P. 293.

أما بالنسبة للخدمات التعليمية فانها لم تتضح بعد نظرا لأن التعليم باللغة العربية كان قائما على الدراسات الدينية ، وان كان هناك بعض الأمل فى امكانية تقديم تعليم أحسن وخدمات علاجية أفضل فى المستقبل (١) .

وجدير بالذكر فى هـذا الصـدد أن كل ما تحقق فى عدن والمنطقة المتاخمة لها فى جنوب اليمن فى مجالى التعليم والشئون الصحية أثناء الوجود البريطانى وحتى الاستقلال (١٨٣٩ ـ ١٩٦٧) لم يتعد انشاء مدرسة ثانوية واحدة للبنين وأخرى للبنـات وبعض المدارس الابتدائية فى مدينة عدن نفسها ، بالاضافة الى المدرسة التى خصصت لأبناء الشيوخ والسلاطين والتى استهدفت بريطانيا منها ضمان تنشئتهم على الولاء لها . أما فى المناطق المحمية المجاورة لعدن فلم توجد بها سوى الكتاتيب التى تعلم القراءة والكتابة وتقوم بتحفيظ القرآن الكريم .

وفيما يتعلق بالنواحى الصحية فلم تكن توجد فى عدن أثناء الحـكم البريطانى لها سوى « مستشفى الملكة اليزابيث » وهى المعروفة حاليا ومنذ نيل الاستقلال « بمستشفى الجمهورية » ، الى جانب مستشفى القوات المسلحة فى « التواهى » ، ومستشفى « الارسالية الاسكتلندية » فى « الشيخ عثمان » . وفيما عدا هذه المستشفيات الثلاثة فى عدن وضواحيها ، فلم تكن توجد سوى أربع مستشفيات صغيرة فى لحج ، وأبين ، وفى مدينة المكلا عاصمة السلطنة القعيطية ، وفى سيئون عاصمة سـلطنة الكثيرى فى حضر موت فى شرقى عـدن (٢) .

كما أوضح « سير ستيوارت سايمز » المقيم السياسى البريطانى فى عدن فى تقريره المشار اليه ، أن تكوين عدن البشرى ـ فى العقد الثالث من القرن الميلادى الحالى ـ رغم واقعه العربى الصرف ، غير قادر على القيام بحركة وطنية تهدد الوجود البريطانى آنذاك . ذلك لأن هذا التكوين البشرى شديد التخلف

I.O. L., Political and Secret Department, Middle East. No. 22. (١) Confidential.

Papers relating to the new arrangements for the Government of Aden, and relating with the Aden Protectorate. Part 3.

Correpondence (March 1927 — Feb. 1930). C. 69330/29.

(No. 3) Bombay, Aden, 23 th. December 1929. G. S.

Symes Resident and Commander in Chief, Aden.

(٢) قحطان محمد الشعبى : الاستعمار البريطانى ومعركتنا العربية فى جنوب اليمن ، (عدن والامارات) ، ص ٦٩ ـ ٨٣ .

من الناحيتين الثقافية والسياسية · ولهذا فقد حبذ فى تقريره « تهنيد » عدن طالما ظلت « الهند البريطانية » قائمة · ذلك لأن الهنود فى عدن ليست لديهم روح وطنية محليه ، أو اتجاهات سياسية معارضة ، بل انهم يقفون بالتحديد - وبحكم وضعيتهم الدخيله والمرتبطة بالوجـــود البريطـــانى - الى جانب البريطانيين هنـــاك ·

وفيما يتعلق بالادارة المدنية فى عدن - فى نهـــاية العقد الثالث من القرن العشرين - فقد أوضح « ســـايمز » فى نفس التقرير أنها انتقلت من دور الأعراف والتقاليد الى الأحكام القانونية · وعلى الرغم من ذلك فان مدينة عدن كانت صغيرة جدا بالنسبة لاقامة حكومة ذات طابع استعمارى كامل · كما أن عـــدن كانت تحظى ببعض الامتيـــازات نتيجة لارتباطها « بالهند البريطانية » · فعلى الرغم من أنها كانت تابعة منذ البداية « لحكومة بومباى » فانها كانت فى نفس الوقت تابعة لعدة ادارات مركزية فى « حكومة الهند » · وكان المقيم السياسى البريطانى فى عدن يرى حينذاك أنه من الأفضل أن تعامل عدن كولاية ملحقة بالهند ، وبذلك يمكن تجميع الانفاق المالى المتعلق بالجانب السياسى فى « المحمية » فى خزانة واحدة ، تتم موازنتها باســـهام من الخزانتين الهندية من جهة ، والبريطانية من جهة أخرى ، وفقا لمستلزمات الانفاق المدنى والسياسى · هذا مع الأخذ فى الاعتبار أن الأهداف الاستعمارية التى يعتبر تحقيقها مسئولية مشتركة بين الحكومتين البريطانية والهندية ، قد يعززها ظهور تقدم ادارى فى عدن كوحدة ملحقة « برئاسة حكومة الهند » · وكذلك فانه من الضرورى لتحقيق هذا التقدم الادارى رفع مستوى خدمات الادارة المحلية وخصوصا الشرطة والشئون التعليمية والصـــحية فى عـــدن نفسها · بل ان العلاقات السياسية والاجتماعية القائمة بين « بلدية عدن » والنواحى المحمية المتاخمة لها يجب أن تظل باقية بعد أن أصبحت اكثر استقرارا عن ذى قبل ، خاصة اذا عزز هذه الرابطة التقدم الاقتصـادى فى المنطقة الذى يمكن أن يجعل عدن عاصمة ادارية لمنطقة جنوبى اليمن بأكملها ·

هذا فيما يتعلق بتقدير « سير ستيوار سايمز » المقيم السياسى البريطانى فى عدن لواقع الأوضاع القائمة فيها فى نهاية العقد الثالث من القـــرن العشرين · أما بالنسبة لتحويل عدن الى قاعدة جوية أيضا الى جانب كونها قاعدة بحرية ، فقد قدم فى تقريره المشار اليه تصوره عن الفوائد المالية التى يمكن أن تنجم عن هذا التحويل · فأشار الى أن نفقات حامية عدن حينذاك كانت - بصفة رسمية - تبلغ ٣٠٠٫٠٠٠ ثلاثمائة ألف جنيه فقط · وأن

هذا التحويل سيغطى هذه النفقات . ويحقق فضلا عن ذلك عوائد مالية هائلة (١) ·

على أن ثمة ترتيبات عسكرية وادارية ومالية وقضائية ، فضلا عن ترتيبات أخرى تتعلق بشئون المخابرات ، قد صاحبت عملية تحويل عدن الى قاعدة جوية ، فى نهاية العقد الثالث من القرن العشرين (٢) · فمن الناحية العسكرية اقتضى تحول عدن الى قاعدة جوية ، انتقال تبعيتها عسكريا من « وزارة الحرب » الى « وزارة الطيران » ، وتعيين ضابط من قبل « القيادة العامة للقوات الجوية الملكية البريطانية » ليتولى مهام قيادة « قوات الحامية البريطانية » فى عدن ، فى أول ابريل سنة ١٩٢٨ (٣) · وقد أدى هذا التغيير الاستراتيجى فى تبعية عدن العسكرية « لوزارة الطيران » الى احداث تغييرات كبرى فى واقع عدن الادارى والمالى ، مما جعل « المجلس الدائم » فى عدن المعاون « للمقيم السياسى البريطانى » يقوم بدراسة كافة الترتيبات المطلوبة بالنسبة للادارة ومرتبات القوات المقترح تعديلها فى عدن · فمن الناحية الادارية وافقت وزارة الطيران على وجهات نظر وزارة المستعمرات بالنسبة لقنوات الاتصال بين عدن والسلطات البريطانية فى لندن فى الامور الخاصة « بالادارة العسكرية للقوات البريطانية » المعسكرة فى عدن · ونظرا لأن هذه القوات ستكون تحت رئاسة « وزارة المستعمرات » فان كل المراسلات الخاصة بها ستكون مباشرة بين المقيم السياسى البريطانى فى عدن « ووزارة المستعمرات البريطانية » · ومن ناحية أخرى اقترحت « وزارة الطيران » فى الأمور الخاصة بالقوات الجوية فى عدن (٤) · كما وافقت « وزارة

---

(١) I.O. L., Political and Secret Department. Middle East, No. 22. Op. Cit., No. 27.

(٢) جاد طه « دكتور » : أسس تحول عدن الى قاعدة جوية « ١٩٢٧ – ١٩٢٩ » ، مجلة دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، العدد الثانى ، السنة السادسة ، ربيع أول ١٤٠١ « يناير ١٩٨١ » ، ص ١٧٤ – ١٨٩ ·

(٣) I.O. L., Political and Secret Department, Middle East, No. 22, Op. Cit., C. 59264/28. (No. 3).

No. 28, Draft announcement for communication to the Press. Reserved in Colonial Office, 12 th January 1928.

(٤) I.O.L. Political and Secret Department. Middle East, No. 22. Op. Cit., C. 59282/28 (No. 13)

No. 31. Air Ministry to Colonial Office. London. W. C. 2. 13 th. March 1928.

الطـيران » على الترتيبات المالية التى اقترحتها « وزارة المستعمرات » بشأن الوفاء بالتزامات القاعدة الجوية فى عدن · أما بالنسبة للتسمية التى أطلقت على القوات الجـوية البريطانية التى سترابط فى عدن بعد تحقيق هـذه الترتيبات ، فقد وجهت « وزارة المستعمرات » بعض الاعتراضات على اطلاق اسم « قوات اليمن » عليها · وقد اقترحت « وزارة الطيران » أن تعرف القوات الجوية فى عدن باسم « قوات محمية عدن » · ثم رؤى اختصار هذه التسمية لتكون « قوات المحمية » وهو ما تمت الموافقة عليه من قبل « وزارة المستعمرات » وذلك فى اليوم السادس عشر من أبريل سنة ١٩٢٨ (١) ·

ومع التحول الاستراتيجى لعدن الى قاعدة جوية فى نهاية العقد الثالث من القرن العشرين ، فقد توفرت بعض الأراضى والمبانى الزائدة فى عدن عن حاجة القوات المعسكرة فيها ، نتيجة لانقاص عـدد أفرادها ، وللتغيير الذى طرأ على نظام الحامية البريطانية هناك · وقد رأت « حكومة الهند » أن هذه الأراضى والمبـانى الزائدة ينبغى أن تؤول للسلطات البـلدية فى عـدن لاستخدامها كمرافق عامة · وقد قامت « وزارة الطيران » بابلاغ ذلـك الى « وزارة المستعمرات » فى اليوم الثانى عشر من ديسمبر سنة ١٩٢٨ (٢) ·

والى جانب هذه الترتيبات العسكرية التى صاحبت تحول عدن الى قاعدة جوية فى نهاية العقد الثالث من القرن العشرين ، فقد تمت أيضـا بعض الترتيبات الادارية · اذ أن بعض المصالح والادارات فى «محمية عدن » لـم تكن تحت رئاسة المقيم السياسى البريطانى فى عدن من قبـل ، بل كانت تحت الاشراف المباشر لادارات مركزية فى الهند كالمواصلات والبريد · وقد رأى وزير الدولة للمستعمرات وجوب اتخاذ الاجراءات الكفيلة بتطبيق قـرار مجلس الوزراء البريطانى بجعل كل أعمال الخدمات فى عدن تحت الاشراف المباشر للمقيم السياسى البريطانى هناك · كما رأى أن تعيين المقيم ينبغى أن يصدر به قرار من ملك بريطانيا بنـاء على توصية من قبـل وزير الدولة للمستعمرات · كما أشار وزير الدولة للمستعمرات الى أنه قد فهم من زميله وزير الدولة لشئون الهنـد « ايرل أوف بيركنهيد Earl of Birkenhead.

---

(١) I.O. L., Political and Secret Department, Middle East, No. 22., Op. Cit., C. 59282/28 (No. 20) No. 35., Colonial Office to Air Ministry, Downing Street, 16 th. April 1928

(٢) I.O.L., Political and Secret Department. Middle East, No. 22., Op. Cit., C. 59259/28. No. 36., Air Ministry to Colonial Office. Air Ministry, Kingsway, W.C.2., 12 th December 1928.

أنه يفضل أن يختار المقيم السياسى بالتناوب دوريا من خـــدمة المستعمرات وخدمة الهند • الا أن وزير الدولة للمستعمرات لم يفضل هذا الاتجـــاه ، وفضل أن يكون الاختيـــار حـــرا ولأكثر الضباط ملاءمة للتعيين فى هـــذا المنصب (١) •

أما بالنسبة للترتيبات المالية التى صاحبت تحول عدن الى قاعدة جوية فان مستشارى هيئة الخزانة البريطانية قد وافقـــوا على التنظيم المقترح بالنسبة لتحويل عدن الى قاعدة جوية بشرط ألا تتخطى المشاركة البريطانية المالية للمخصصات المحددة لذلك ، خاصة اذا ما وزعت الواجبـــات الادارية والسياسية بين المساعدين الثلاثة للمقيم السياسى البريطانى فى عدن • وقد أرسلت « وزارة المستعمرات » الى « هيئة الخزانة البريطانية » تقريرا يوضح حصة كل من الاعتمادات البريطانية والهندية فى الانفاق على عدن فى السنة المالية ١٩٢٧/١٩٢٨ وحصة نفس الانفاق فى سنوات تالية • وقـــد وافقت « وزارة المستعمرات » على المقترحات التى قدمتها « حكومة الهند » بهـــذا الخصوص (٢) • كمـــا أن « وزارة المستعمرات » أوضحت « لهيئة الخزانة البريطانية » أنه « ما دام مستشارو الخزانة البريطانية يعلمون أنه قـــد تقرر مؤخرا أن الواجبات التى يتفرغ لهـــا المساعد الأول للمقيم السياسى فى عدن هى كلها مدنية ، وأن المساعد الثانى للمقيم وسكرتير المحمية سوف يخصص للاعمال السياسية فقط ، وأن مرتب المساعد الأول هو من مسئولية حكومة الهند ، ومرتب المساعد الثانى كله هو من مسئولية الحكومة البريطانية، فان حكومة الهند تطلب اعتمادا ماليا خاصا نتيجة لهـــذا القرار للسنوات القـــادمة » • واستفسر وزير الدولة للمستعمرات عن وجهـــات نظـــر مستشارى الخزانة البريطانية بالنسبة لهذه المسائل ، مع الأخذ فى الاعتبار أن هذا الترتيب سوف يستمر لفترة ثلاث سنوات تبدأ اعتبارا من أول ابريل سنة ١٩٢٨ ، وأنه يمكن فقط اجراء تعديلات فى نهاية الفترة المذكورة •

كما طلب وزير الدولة للمستعمرات أيضا موافقة مستشارى هيئة الخزانة البريطانية على أن حكومة الهند هى السلطة الوحيدة التى يقع عـــلى كاهلها الانفاق فى الفترة المشار اليها • وقد وافقت هيئة الخزانة البريطانية على مقترحات وزير الدولة للمستعمرات السابق بيانها ، ولكن على أســـاس

---

(١) I.O.L., Political and Secret Department. Middle East, No. 22., Op. Cit., C. 48041/27. (No. S. 31 and 32)

(٢) I.O.L., Political and Secret Department, Middle Eas., No. 22, Op. cit., C. 59270/28. (No. 66) 40. Treasury to C loni l O.f ce, 7th March, 1928.

التقسيم المقترح للانفاق من قبل الحكومتين الهندية والبريطانية . وبعد اجراء اتصالات عديدة بين وزارة المستعمرات وهيئة الخزانة البريطانية ووزارة الهند وحكومة الهند ، فقد وافق وزير الدولة لشئون الهند على أن بدلات السفر والهبات والهدايا لسلاطين وحكام النواحى المحمية المتاخمة لعدن تؤدى للمقيم . على أن تشترك فيها مناصفة الحكومتان الهندية والبريطانية ، وأن تتحمل كل حكومة مسئوليتها فى الانفاق على الضباط التابعين لها فى عدن (١) .

هذا فيما يتعلق بالترتيبات العسكرية والادارية والمالية التى صاحبت تحول عدن الى قاعدة جوية فى نهاية العقد الثالث من القرن العشرين . أما بالنسبة للترتيبات القضائية فقد كانت السلطه القضائية التى مارستها محمية عدن مستمدة من سلطة الحاكم العام للهند . وهذه السلطة انحصرت فى عدن فقط ودون أن تتخذ شكلا محددا . ذلك لأن حكومة الهند لم تكن ترغب فى اقحام نفسها بأى شكل من الأشكال فى تحمل مسئوليات التدخل فى شئون شيوخ القبائل لايقاف ممارستهم فى معاقبة رجالهم الذين يقترفون الجرائم . وعلى الرغم من ذلك فان حكومة الهند رأت أنه من المستحسن أن يقوم ضباط سياسيون فى محمية عدن بدور السلطة القضائية باعتبارهم ممثلين للسلطة القضائية لحكومة الهند ، وقد بدت خبرة الضباط السياسيين فى عدن واضحة عندما كانوا يستخدمون ما يتمتعون به من سلطة قضائية — على ضوء الاعتبارات المشار اليها — بكل تحفظ (٢) .

وتجدر الاشارة الى أن قواعد الممارسة القضائية فى عدن قد تحددت فى الدليل الذى أصدره الحاكم العام للهند فى أول فبراير سنة ١٩٠٧ . وقد جاء فى مقدمة الجزء الثانى من هذا الدليل أن مساعد المقيم السياسى فى عدن يمارس كل السلطات المخولة للمستشارين الاقليميين وقضاة المحاكم على نحو ما سبق أن ورد فى الدليل السابق اصداره فى سنة ١٨٩٨ . كما يمارس المقيم السياسى ومساعدوه سلطات نواب المستشارين وقضاة المحاكم طبقا للقانون الخاص بجرائم القتل على الحدود الصادر فى سنة ١٩٠١ ، وعلى ذلك فان المقيم السياسى ومساعديه فى عدن كانوا يمارسون صلاحيات القضاة

---

(١) I.O.L., Political and Secret Department. Middle East. No. 22. Op. Cit., C. 69274/29. (No. 48) No. 75 India Office to Colonial, 11th Sept. 1929.

(٢) I.O.L., Political and Secret Department. Middle East. No. 22. Op. Cit., C. 59288 / 28. (No.6.) No. 60. The Secretary of State — Colonial Office to the Acting Resident, Aden, 29 th September 1928.

غير أن هذا الدليل قد أوضح أيضا انه فى حالة ما اذا كان المتهم او المتهمين ليسوا رعايا بريطانيين فان المحكمة يمكنها لأسباب سياسية رفض ممارسة سلطاتها الا اذا كان الأمر لا يمكن حسمه وفقا للتقاليد القبلية أو المحلية • ومن الواضح أن بريطانيا حاولت عدم اقحام نفسها فى مشاكل مع القبائل اليمنية فى النواحى التسع المحمية المتاخمة لعدن • وقد بدا ذلك فى المعاهدات التى عقدتها بريطانيا مع حكام تلك النواحى ، على نحو ما أشارت اليه المادة الثالثة من المعاهدة التى عقدت مع سلطان لحج فى سنة ١٨٤٩ ، والتى توضح أن القضايا الخاصة بالرعاية البريطانيين يجرى الحكم فيها فى عدن نفسها (١) •

وبالاضافة الى الترتيبات العسكرية والادارية والمالية والقضائية التى صاحبت تحول عدن الى قاعدة جوية فى نهاية العقد الثالث من القرن العشرين، فقد كانت هناك أيضا ترتيبات أخرى تتعلق بالمخابرات البريطانية فى عدن حينذاك • اذ تم تعيين الملازم طيار « ريكاردز .Rickards » ضابط المخابرات البريطانى ، ممثلا لمخابرات القوات الجوية البريطانية فى عدن فى سنة ١٩٢٨ • وقد خوله هذا المنصب صلاحيات الاطلاع على كل تقارير المخابرات وابلاغ المقيم السياسى البريطانى فى عدن مباشرة بكل المناطق التى تطلب قيادة القوات الجوية فى عدن معلومات خاصة عنها • وقد أبدى المقيم السياسى البريطانى فى عدن أنه اذا أرادت القوات الجوية ان تبدأ فى أى وقت اقامة تنظيم للمخابرات خاص بها فانها تستطيع أن تفعل ذلك فورا ، وان كان ارتباط عمل ضابط المخابرات فى عدن بالمقيم السياسى هناك يشكل عاملا هاما لانجاح المهام الاستخبارية (٢) • ذلك لأن المقيم السياسى كان على اتصال دائم مع حكام النواحى المحمية الذين كانوا يمدونه هم أيضا بمعلومات مساعدة ، أما قيادة القوات الجوية فى عدن حينذاك فلم يكن لها عملاء محليين يمدونها بمعلومات منتظمة ودقيقة •

ومن هنا اتجهت الآراء الى عدم ضرورة تشكيل هيئة مخبرات محلية منفصلة وخاصة بالقوات الجوية حتى لا تكون هناك ازدواجية لا مبرر لها وحتى لاتثور منافسة غير مجدية بين الممثلين السياسيين والعسكريين • بل ان المقيم السياسى فى عدن رأى أنه يمكن أن يقوم مساعده الأول بالاشراف على

---

(1) Aitchison, C.U.: A Collection of Treatien, Engagments and Sanads Relating to India and Neighbouring Countries, Vol. XI. P. 131.

(2) I.O.L., Political and Secret Department, Middle East, No. 22., Op. Cit., C. 59330/28 (No. 1).

No. 62. The Acting Political Resident to the Secretary of State, Aden, 12 th June 1928.

المخابرات العسكرية والسياسية فى أن واحد ، وان رئاسة القوات الجوية فى عدن يمكن أن تكون ممثلة فى هذا العمل ببعض الضباط الذين ينحصر عملهم فى معاونة المساعد الأول للمقيم السياسى فى عدن فى النواحى العسكرية على وجه الخصوص (١) ٠

وعلى أية حال فقد أدى هذا التنسيق — بين مختلف الترتيبات العسكرية والادارية والمالية والقضائية ، فضلا عن الترتيبات الأخرى المتعلقة بشئون المخابرات ، والتى صاحبت تحول عدن الى قاعدة جوية (٢) — الى زيادة أحكام قبضة البريطانيين على عدن فى منتصف الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين ، بل وعلى النواحى المحمية المتاخمة لها ، فضلا عن تمكنهم من ممارسة كافة الضغوط الممكنة على الامام يحيى ٠ مما حول علاقاته العدائية معهم الى علاقات تنظمها معاهدة « الصداقة والتعاون المتبادل » بين الجانبين فى الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٣٤ ، على النحو الذى سنوضحه فى هذا البحث ٠

---

(١) I.O.L., Political and Secret Department, Middle East, No. 22..
Op. Cit., C. 59330 / 28. (No. 1). Enclosure in (No. 62). Memorandum regarding Local Intelligence. T. C. W. Fowle Acting Political Resident, Aden, to the Air staff Officer. Headquarters British Forces, Aden, Residency Office, Aden, 31 st. May 1928

(٢) جاد طه « دكتور » : أسس تحول عدن الى قاعدة جوية ٠ ص ١٨٩٠

بريطانيا والجزر اليمنية بين الحربين العالميتين :

وتجدر الاشارة هنا أيضا الى الجزر اليمنية التى كانت تتبع بشكل مباشر الادارة البريطانية فى عدن فى فترة ما بين الحربين العالميتين . وتتمثل هذه الجزر فى « بريم Berim » أو « ميون » كما يسميها العرب والتى تقع فى مضيق باب المندب (١) ، وأيضا فى جزيرة (سقطرى Socotra الواقعة فى بحر العرب وفى مواجهة القرن الأفريقى ، وكذلك فى جزيرة « قمران Kamaran » الواقعة فى مواجهة الساحل اليمنى المطل على البحر الأحمر شمالى ميناء الحديدة (٢) . وجزيرة بريم هى أولى الجزر اليمنية التى سيطر عليها البريطانيون فى نهاية القرن الثامن عشر تحسبا من المخاطر التى بدت من جانب الفرنسيين عقب احتلال بونابرت لمصر . وكانت حكومة بومباى البريطانية قد قامت بنشاط واسع النطاق مستعينة بقواتها الهندية للسيطرة على المراكز الاستراتيجية فى المدخل الجنوبى للبحر الاحمر للوقوف فى وجه أية محاولات فرنسية للوثوب الى الهند . كما أنها أبدت استعدادها للقيام بأية أعمال حربية تكلف بها ضد الفرنسيين أثناء وجودهم فى مصر حينذاك . ففى شهر أبريل سنة ١٧٩٩ تقدمت قوة بحرية قوامها ثلاثمائة أوربى وهندى يقودها « اللفتنانت كولونل جون موارى Lieutenant Colonel John Murray » تجاه المدخل الجنوبى للبحر الأحمر (٣) ، وقامت باحتلال جزيرة بريم الواقعة فى أضيق نقطة ببوغاز باب المندب (٤) الذى يصل البحر الأحمر بخليج عدن ، وذلك فى اليوم الثالث من شهر مايو من السنة المذكورة . غير أن البريطانيين تبينوا أن المضايق فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر لايمكن السيطرة عليها من جزيرة بريم بواسطة المدفعية الساحلية (٥) . كما أن مناخ الجزيرة ردىء للغاية (٦) . وليست بها مياه

---

(١) Ingrams, H. : Arabia and the Isles, P.7.

(٢) Reilly, B. : Op. Cit., P. 68.

(٣) Graham, G.S. : Op. Cit., P. 287

(٤) George, H.B. : A. Historical Geography of the British Empire, Seventh Edition, P. 124.

(٥) Play fair, R.L. : A. History of Arabia Falix or Jemen, PP. 122, 123.

(٦) صلاح الدين البكرى اليافعى : فى جنوب الجزيرة العربية . ص ١٥ .

صالحة للشرب (١) ولهذا سحب « موارى » قواته من جزيرة بريم فى اليوم الحادى والعشرين من سبتمبر سنة ١٧٩٩ • وكان هذا الانسحاب من الجزيرة نتيجة أيضا لنجاح الاسطول البريطانى فى تدمير القوة البحرية الفرنسية فى مصر فى موقعة « أبى قير البحريه » مما أدى الى تحول هذه القــوة من موقع الهجوم الى موقع الدفاع ، وهو الموقف الذى أصبحت معه فى حالة لا تمكنها من تشكيل أى تهديد جدى لمناطق البحر الأحمر الجنوبية وللطريق البحــــرى المؤدى الى الهند (٢) •

وبعد أن احتل البريطانيون عدن فى التاسع عشر من يناير سنة ١٨٣٩، فانهم قــد اتجهوا الى اعادة بسط سيطرتهم على جزيرة بريم من جــديد ، نظرا لأنهم تنبهوا الى أهمية تلك الجزيرة • فقد رفع « البريجادير وليم كوجلان Brigadier William M. Coghlan. المقيم السياسى البريطانى فى عدن (١٨٥٤ ـ ١٨٦٣) تقريرا الى حكومة بومباى فى سنة ١٨٥٦ أوضح فيه أهمية السيطرة على جزيرة بريم ، مؤكدا أن ذلك يدعم النفوذ البريطانى فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمــر (٣) ، خاصة وانها أصبحت تقع على مقربة من القــاعدة البريطانية فى عدن مما يضمن تأمينها على عكس ما كان عليه الحال عندما احتلها البريطانيون فى سنة ١٧٩٩ حيث كانت أقرب قاعدة لهم حينذاك فى بومباى مما كان يجعل الجزيرة غير آمنة الا اذا توفرت فيها قوة كبيرة لحراستها• وتبعد جزيرة بريم عن عدن بمسافة مائة ميل تقريبا من ناحية الغرب ، كما تبعد عن الساحل اليمنى لمضيق باب المندب بمسافة ميل واحد ونصف الميل ، بينما تبعد عن الساحل الافريقى بمسافة أحد عشر ميــلا (٤) • وجدير بالذكر أن الحكومة الفرنسية كانت تتطلع فى نفس الوقت للسيطرة على جزيرة بريم ، حتى أن بعض المسئولين فى تلك الحكومة أوصوا بضرورة احتلالها ، غير أنه لم يحدث أن احتل الفرنسيون هذه الجزيرة على الاطلاق •

وقد أوضح « كوجلان » لحكومته الأهمية البالغة لجزيرة بريم من الناحية الاستراتيجية من جهة ، ومن الناحية التجارية من جهة أخرى • فهى ستتيح للبريطانيين فرصة التحكم فى موانى الساحل الافريقى المواجه مثل : زيلع وتاجورة وزنجبار ، فضلا عن موانى البحر الأحمر الأخرى • كما أنها ستمكن

---

(١) The Middle East, a Political and Economic Survey, 1958. P. 103.

(٢) Graham, G.S. : Op. Cit., PP. 286, 287.

(٣) I.O., B.S.C., 1856. Bombay to Coghlan 5/30/56.

(٤) Marston, T.E. : Op. Cit., PP. 221, 222. Reilly, B. : Op. Cit., P. 70.

البريطانيين من وقف تجـارة الرقيق التى كانت تتنقل بين زيلع وتاجورة وساحل زنجبار على الساحل الشرقى لافريقيا وبين موانى الجزيرة العربية ، مؤكدا « أن وضع قوة بحـــرية صغيرة فى تلك الجزيرة سوف يكون كافيا لمراقبة المضايق وتفتيش أى سفينة تمر بها (١) • وكانت بريطانيا تستفيد من وراء حركة منع تجارة الرقيق نفوذا سياسيا ناتجا عن طريق قيامها بتفتيش السفن المتنقلة بين سواحل المنطقة والتى تشك فى قيامها بنقل تلك التجارة • ولم ينس « كوجلان » أن يشير فى تقريره الى مسألة الســـيادة على جزيرة بريم عندما أوضح أن « القوات البريطانية كانت قــد احتلتها فى سنة ١٧٩٩ ، غير أنه من المحتمل اذا سئل الباب العالى عن أية حقوق له فيهـــا فانه سوف يجيب بالايجاب لأنه يطالب باليمن كله رغم أنه لم يمارس أى سلطة على جزء كبير منه » (٢) •

وعلى أية حال فقد قام البريطانيون ـ بناء على التوصيات التى وردت بالتقرير الذى رفعه « كوجلان » المقيم السياسى البريطانى فى عدن ـ باحتلال جزيرة بريم للمرة الثانية بقوة قادها الملازم « جراى .Gray » فى اليوم السادس والعشرين من ينـــاير سنة ١٨٥٧ (٣) • وقد فعلوا ذلك بدعوة حاجتهم لبناء فنار فى تلك الجزيرة لارشاد السفن البريطانية (٤) • غير أنهم واجهوا مشكلة توفير المياه العذبة التى افتقرت اليها الجزيرة ، خاصـــة وأن غايتهم لم تكن قاصرة على توفير المياه للاستهلاك اليومى ، بل لتخزين كميـــات منها لمواجهة الطوارىء فى حالة ما اذا حطمت الرياح الشديدة القوارب التى تنقل المياه العذبة الى الجزيرة من عدن • وعـــلى الرغم من أن البريطـــانيين أقاموا فيها فنارا فى سنة ١٨٦٢ ، وبعض الأبنية الملائمة للسكنى ، كمــــا أقاموا الخزانات لحفظ المياه (٥) ، فان جـــزيرة بريم لم تحقق فائدة تذكر للمصـــالح البريطانية • خاصة بعد أن أغلقت شركة الفحم فيها أبوابها ، كما

(١) F.O. 78/1333, J.B. to F.O. 11/27/56, Encl. Coghlan to Bombay 10/27/58; also in B.S.C. 1856.

(٢) I.O., B.S.C. 1857, Coghlan to Bombay 6/9. 57.

(٣) Reilly, B. : Op. Cit. P. 70. Simonin, M.L. : La Presqu'il d'Aden et la Politique anglaise dans les Mers Arabiques. P. 24.

(٤) F.O. 78/1333, I.B. to F.O. 2/18/27 Encl. Resolution 1/13/57; also in B.S.C. 1857.

(٥) I.O., S.D., S.L.B., No. 12, 1858 Perim, Island, Lieutenant J.M. Greig, Assistant Executive Engineer to Lieutenant, N. Wilkens, August I., 1857.

أغلق ميناؤها فى سنة ١٩٣٦ (١) • ويرجح أن البريطانيين حافظوا على سيطرتهم على جزيرة بريم لخوفهم من قيام أية قوى منافسة لهم بالسيطرة عليها الأمر الذى كان من شأنه أن يؤدى الى تهديد المصالح البريطانية فى البحر الأحمر (٢) • وقد ظلت جزيرة بريم تابعة للادارة البريطانية فى عدن حتى جلاء البريطانيين عنها فى الثلاثين من نوفمبر سنة ١٩٦٧ فآلت بطبيعة الحال الى جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية •

وقد استمر البريطانيون ينفذون سياسة استعمارية تهدف الى الاستيلاء على الجزر اليمنية الأخرى مما جعلهم يوجهون أنظارهم الى جزيرة سقطرى (٣)• وكانت هذه الجزيرة تابعة لسلطان قبائل المهرة الذى كان يقيم فى عاصمته « قشن » الواقعة فى وسط الساحل الجنوبى للجزيرة العربية • غير أنها أصبحت موضع اهتمام البريطانيين منذ منتصف العقد الرابع من القرن التاسع عشر فى الوقت الذى استخدم فيه البحر الأحمر كطريق ملاحى للسفن التجارية • واتجه البريطانيون الى شراء جزيرة سقطرى لتكون محطة لتموين السفن التجارية البريطانية بكميات الفحم اللازمة لها • وقد قام « كابتن دانيل روس Captain Daniel Ross, I.N. أحد رجال البحرية الهندية بالتفاوض مع

---

(١) Reilly, B. : Op. Cit. P. 70.

(٢) Marston, T.E. : Op. Cit., PP. 223 — 226.

(٣) اتفق الهمدانى صاحب « صفة جزيرة العرب » ، وياقوت الحموى صاحب « معجم البلدان » ، على كتابة اسم هذه الجزيرة « سقطرى » • وهو اسم مشتق من كلمتين عربيتين هما « سوق القطرة » ، والقطرة هنا هى السوائل التى تنساب من الأشجار الكثيرة المتناثرة على جبال الجزيرة • وتبعد سقطرى عن عدن حوالى ٥٩٠ ميلا وعن المكلا ٣٢٧ ميلا على وجه التقريب • وتتميز الجزيرة بأنها بيضاوية الشكل تقريبا ، ويبلغ طولها ٨٠ ميلا ، وعرضها عند الأطراف خمسة أميال ، وهى تتسع فى الوسط حتى تصل الى ٢٢ ميلا ، وتبلغ مساحتها حوالى ١٢٠٠ ميل مربع • وهى تنقسم الى قسمين : البادية والساحل • وتكمن البادية فى وسط الجزيرة بين الجبال الشاهقة التى ترتفع حوالى ٥٠٠٠ قدم فوق سطح البحر • ولا تترك هذه الجبال متسعا كبيرا للساحل فى أغلب الأجزاء الشمالية من الجزيرة • وعند مصب أودية الجبال عند الساحل الضيق توجد بعض القرى أكبرها « حديبو » العاصمة التى تقع فى شمال الجزيرة • والمتوارد من الأخبار من الجزيرة منذ العصور القديمة أنها كانت تشتهر بالبخور واللبان والمسك ، وكانت من المنتجات المرغوبة للمعابد والتطبيب ، كما كانت تشتهر بالصمغ والتوابل وغيرها من النباتات الطبية المطلوبة سواء للطعام أو للدواء • عبد الرازق حسن « دكتور » : لمحات عن سقطرى ، مجلة الثقافة الجديدة ، مايو ١٩٧٤ ، عدن ، ص ٥١ •

سلطان المهرة حتى سمح للبريطانيين باستخدام الجزيرة لهذا الغرض فى أوائل العقد الرابع من القرن التاسع عشر (١) ٠

وفى سنة ١٨٣٤ توجه القبطان « ستافورد بيتزويرت هينز : Commander Stafford Bettesworth Hainez " الذى تم على يديه فيما بعد احتلال عدن — على ظهر السفينة البريطانية «بالينورس» الى جزيرة سقطرى ، وحاول شراء هذه الجزيرة مقابل عشرة آلاف ريال ، يدفعها لسلطان قبائل المهرة الذى رفض هذا العرض بشدة (٢) ٠

على أن حكومة الهند البريطانية أرسلت بعد ذلك بعض قواتها لتقوم باحتلال الجـــزيرة وعينت « كابتن باجلى » .Captain Bagley ليكون حاكما عليها ٠ وعندما وطئت أقدام الجنود البريطانيين أرض الجزيرة حلت بهم النكبات من كل جانب ٠ اذ انقلب أحد الزوارق المحمل بالجنود أثناء عملية انزالهم الى البر وغرق كل من كانوا فيه ٠ ثم تفشت الحمى بين الجنود فهلك الكثيرون منهم حتى وصف واحد منهم حالتهم بقوله أنه : « أصبح من الصعب العثور على من بقى به رمق ليحفر قبرا لنفسه أو لزملائه ٠٠ ولـــم ينج من الوباء الا القليل الذين رووا للآخرين مآساتهم فى سقطرى » بينما أشارت الوثائق البريطانية الى أن منـــاخ الجزيرة كان رديئا للغـــاية مما اضـــطر البريطانيين الى مغادرتها فى ســـنة ١٨٣٥ (٣) ٠ وكان الضابط البريطانى الملازم ويلستد Lieutenant J. R. Wellsted الذى ســـبق أن رافق القبطان « هنز » على الســـفينة (بالينورس) عند زيارته لجزيرة سقطرى قد ألف كتابا تحت عنوان « رحلات الى مدينة الخلفاء » (٤) أورد فيه وصفا تفصيليا للجزيرة ، كما استعرض المفاوضات التى دارت بشأنها بين البريطانيين وسلطان المهرة ٠ ورغم أن حكومة الهند البريطانية صرفت النظر عن البقاء فى جزيرة سقطرى ، وبدأت تتجه نحو محاولة السيطرة على عدن لاتخاذها محطة لتزويد سفنها التجارية بالفحم ، فضلا عن اعتبارات أخرى كثيرة (٥) ، فقد عرض بعض أعراب قشن القيـــام بزراعة بعض أراضى الجزيرة لســـد احتيـــاجات

---

(١) Marston, T.E. : Op. Cit., P. 475.

(٢) I.O., B.S.C. 1835, Bombay to Bagley 12/24/34.

(٣) Waterfield, G. : Sultanz of Aden, PP. 22, 23.

(٤) Wel'sted, J.R. : Travels to the City of the Caliphs Vol. I.P. 60

(٥) فاروق عثمان أباظة « دكتور » : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الاحمر ١٨٣٩ — ١٩١٨ ، ص ١٣٣ — ١٥٥ ٠

البريطانيين فى سنة ١٨٣٧ (١) ، بما يعود فى نفس الوقت على أهالى الجزيرة بالفائدة والنفع • غير أن البريطانيين لم يتقبلوا هذا العرض نتيجة لخبرتهم السابقة ومعرفتهم بامكانات الجزيرة (٢) •

وقد أثيرت شائعات كثيرة حول رغبة الفرنسيين فى السيطرة على جزيرة سقطرى جعلت « كابتن هنز » المقيم السياسى البريطانى فى عدن (١٨٣٩ — ١٨٥٤) يرسل مساعده « كروتندن » .Cruttenden ليتبين حقيقة الأوضاع فى الجزيرة فى سنة ١٨٤٧ أثناء قيامه برحلته على الساحل الصومالى (٣) • وقد وجد « كروتندن » أن جزيرة سقطرى تكاد تكون خالية تمـــاما من السكان نتيجة لانتشار الحمى فيها قرابة ثلاث سنوات متصلة ، كما عمتها المجـــاعة وأصبح لايوجد بعاصمتها أية مبان • غير أن « كروتندن » عثر بالجزيرة على كمية من الفحم تقدر بمائة طن تقريبا ، كانت متروكة هنـــاك منذ عـــام ١٨٣٥ (٤) •

بل ان لجنة تحريم تجارة الرقيق فى لندن المعروفة باسم " The Slave Trade Committee " قد اقترحت فى سنة ١٨٦٠ الاستفادة من جزيرة سقطرى لمراقبة تحريم هذه التجـارة وتحرير الرقيق المختطف من الســـاحل الصومالى المواجه لهـــا ، غير أن هذا الاقتراح لم يوضع موضع التنفيذ •

وقد ظلت أحوال جزيرة سقطرى على ما هى عليه حتى فتحت قنـــاة السويس فى سنة ١٨٦٩ وبدأت أهمية الجزيرة تزداد ، كما أثيرت تكهنـــات حول رغبة بعض القوى الأوربية فى السيطرة عليها • فقد قيـــل أن النمسا كانت ترغب فى السيطرة على هذه الجزيرة لـــكى تستخدمها شركة البواخر النمساوية المعروفة باسم "Thelioyd Trestrine Steamship Line" وتجعلهـــا محطة لسفنها فى سنة ١٨٧٠ بعد فتح قناة السويس بعام واحد •

وقد حاول الايطاليون فى مطلع العقد الثامن من القرن التاسع عشر أن يسيطروا على جزيرة سقطرى ذات الموقع الاستراتيجى الممتاز عند مدخل خليج عدن فى مواجهة رأس جورد فوى على الساحل الشرقى لأفريقيا • وقد حدث ذلك بالتحديد فى شهر يونيو سنة ١٨٧١ وهو الوقت الذى وصل فيه الى مصر

---

(١) I.O., B.S.C. 1838, Sheikh Ali Ibn Saad Ibn Wazir to Bombay Government 12/8/37.

(٢) Marston, T.E. : Op. Cit., P. 476.

(٣) I.O., B.S.C. 1847, Haines to Bombay 2/9/47.

(٤) I.O., B. S. C. 1847, Cruttenden to Haines 4/20/47.

« الجنرال دى فيكى » مبعوث الحكومة الايطالية للتفاوض مع اسماعيل باشا والى مصر فى مسألة السيادة على الساحل الغربى للبحر الأحمر • اذ أرسلت حكومة روما السفينة الحربية الايطالية « فيتور بيزانى » Vitor Pisani. الى البحر الاحمر لمحاولة الاستيلاء على جزيرة سقطرى وضمها الى الاملاك الايطالية فى شرق أفريقيا • وقد بنت الحكومة الايطالية آمالا عريضة على نجاح هذه السفينة فى الاستيلاء على سقطرى ، حيث أنها أرادت أن تكون هذه الجزيرة قاعدة لبسط نفوذها على سواحل افريقيا الشرقية • غير أن السلطات البريطانية فى عدن سرعان ما كشفت النقاب عن المهمة التى جاءت من أجلها السفينة الحربية الايطالية الى مياه خليج عدن • وقد أعلن المقيم السياسى البريطانى فى عدن حينذاك وهو « الجنرال تشارلز تريمنهير » (١٨٧٠ – ١٨٧٢) أن احتلال ايطاليا لجزيرة سقطرى أمر مرفوض تماما (١) •

وقد بدأ هذا الرفض بوضوح عندما طلبت الحكومة الايطالية من حكومة الهند البريطانية أن تسمح لها بشراء الجزيرة ، على نحو ما ورد فى مذكرة « فرير » فى ٢٧ يونيو ١٨٧٤ "Frere's Memorandum of June 27, 1874" غير أن حكومة الهند امتنعت عن السماح لها بذلك (٢) ، مما يؤكد حرص البريطانيين على عدم وقوع الجزيرة تحت سيطرة أية قوى أخرى يمكن أن تهدد طرق مواصلاتها الى الهند وخاصة الطريق الحيوى عبر البحر الأحمر بعد فتح قناة السويس •

على أن وزارة الهند البريطانية وجدت لزاما عليها أن تتفاوض مع سلطان المهرة بشأن جزيرة سقطرى (٣) وخاصة فى ضوء توسع الخديوى اسماعيل تجاه راس جوردى فوى وبدء تنفيذه لسياسته الافريقية • وعلى الرغم من أن الجزيرة لم يكن لها حينذاك أية قيمة ايجابية لبريطانيا • فان قيام أية قوى أخرى منافسة باحتلالها كان من شأنه أن يشكل تهديدا خطيرا للمصالح البريطانية فى البحار الشرقية وفى القاعدة البريطانية فى عدن على وجه الخصوص • ولهذا فقد رأى البريطانيون أن احتلالهم لسقطرى من شأنه

---

(١) Douin, G. : Histoire du Regne du Khedive Ismail, tome 3, 2 eme partie, PP. 254. 255.

(٢) Marston, T.E., : Op. Cit., P. 477.

(٣) عبد الرحمن أبو طالب : الجنوب اليمنى المحتل من النواحى التاريخية والطبيعية والسياسية ونصوص الاتفاقات والمعاهدات البريطانية مع امارات الجنوب ، تقرير قدمه للادارة السياسية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة فى ٥ أغسطس ١٩٥٩ ، ولم ينشر بعد ، ص ٦٠ •

حماية عدن والمصالح البريطانية فى البحر الأحمر وخليج عدن وبحر العرب والمحيط الهندى ، وذلك ضمن خطة الاستعمار السلبى The Passive Imperialism. التى اتبعتها بريطانيا فى ذلك الحين • وكانت تهدف من وراء هذه السياسة الى الحيلولة دون وقوع المناطق الهامة فى أيدى قوى استعمارية ولو لم يكن لدى بريطانيا أى غرض لاستغلال هذه المناطق لمصلحة الامبراطورية البريطانية بصفة مباشرة • وقد اتبع هذه السياسة «سالزبورى» فى المعاهدة التى عقدها مع شيخ الكويت فى سنة ١٨٩٩ وما نتج عنها من حماية للمصالح البريطانية فى الخليج العربى ، عندما كانت ألمانيا مندفعة لانشاء خط سكة حديد برلين — بغداد •

وعلى أية حالفقد استؤنفت المفاوضات الخاصة بجزيرة سقطرى من جديد فى اليوم الثالث والعشرين من يناير سنة ١٨٧٦ حتى تم عقد معاهدة بين البريطانيين وسلطان المهرة (١) ، وافق بموجبها السلطان على ألا يبيع الجزيرة أو يتنازل عنها لأية قوة أجنبية وذلك مقابل استلامه منحة سنوية من حكومة الهند البريطانية • وقد تم دفع مبلغ ثلاثة آلاف ريال لسلطان المهرة مقابل توقيع المعاهدة ، على أن يتلقى مبلغ ٣٦٠ ريالا شهريا كمنحة من بريطانيا • وحتى يتجنب البريطانيون اثارة أية مشاكل اذا ما توفى السلطان ، فقد وقع على المعاهدة المذكورة كل من يرثونه من بعده من أبنائه وذويه (٢) •

وهكذا أمنت بريطانيا مصالحها بعقد هذه المعاهدة (٣) حتى تضمن عدم سيطرة أى قوة استعمارية منافسة على جزيرة سقطرى ذات الموقع الاستراتيجى الهام ، بما يدعم الوجود البريطانى فى عدن ومنطقة البحر الأحمر حينذاك وخاصة فى أعقاب فتح قناة السويس • وقد ظلت جزيرة سقطرى تحت الاشراف المباشر للادارة البريطانية فى عدن (٤) حتى جلاء البريطانيين عنها فى سنة ١٩٦٧ ، فآلت بطبيعة الحال الى جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية •

---

(١) Aitchison, C.M. : Op. Cit, Vol. XI., P. 118. Reilly, B. : Op. Cit., P. 71.

(٢) I.O., Pol. 2136/07, Secret and Political Department, Secret Memorandum, British Protectorate over the Arabian Coast from Sheikh Said to Oman (Muscat) 1st November 1887. P. 3.

(٣) F.O. 78/3189, I.O. 2/24/76, Admiralty to F.O. 3/7/76, and I.O. to F.O. 4/8/76.

(٤) Reilly, B. : Op. Cit., P. 71.

أما بالنسبة لجزيرة قمران Kamaran • وهى ثالث هذه الجزر اليمنية التى كان البريطانيون يســـيطرون عليها فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، وأقلها شهرة ، فانها تقع على بعد قرابة مائتى ميل شمالى بريم ومضيق باب المندب ، وخمسة عشر ميلا جنوبى ميناء اللحية اليمنى ، وبضعة أميال شمالى الحديدة ، وتواجه شبه جزيرة الصليف الواقعة على الســاحل اليمنى المطل على البحر الاحمر من ناحيته الشمالية • وقد سيطر عليها الأتراك العثمانيون عقب عودتهم الى تهامة اليمن فى سنة ١٨٤٩ وأقاموا فيها محجرا صحيا لسفن الحجاج الآتية من الجنوب والمتجهة الى جده وللسفن العائدة من هناك أيضا (١) •

وتشير الوثائق البريطانية الى أن التواجد البريطانى فى قمران قد تم مع بروز أهميتها بالنسبة للاستراتيجية البريطانية فى بداية الحرب العالمية الأولى • ونظرا لأن الأحداث الجسام لهذه الحرب كانت تأخذ بتلابيب منطقة البحر الأحمر ، بل والعالم أجمع حينذاك ، فانه لم يكن لاحتلال البريطانيين لجزيرة صغيرة قاحلة مثل قمران (٢) ليثير انتباه أحد فى مثل هذا الجو الملبد بسحب الحرب الداكنة • بل والأكثر من ذلك أن تلك الجزيرة ما لبثت بعد سنوات قليلة من انتهاء الحرب ، ونتيجة لأنها استمرت عبئا ماليا على الجهة المسئولة عن ادارتها أن أخذت هذه الجهة ، وهى حكومة الهند البريطانية ، فى محـــاولة التخلص من هذه الادارة والقـــاء تبعيتها على عاتق وزارة المستعمرات •

وقد قام البريطانيون بارسال حملة عسكرية من عدن تمكنت من احتلال جزيرة قمران وجزيرتين آخريين قريبتين منها فى اليوم العاشر من يونية سنة ١٩١٥ (٣) • أما عن الأسباب التى أدت الى ذلك فيمكننا التعرف عليها من خلال تتبع شكلين من أشكال الصراع الذى اجتاح العالم آنذاك (٤) . وانعكست آثارها على منطقة البحر الأحمر ذات الأهمية البالغة لبريطانيا ولدول أخرى

---

(١) Reilly, B. : Op. Cit., P. 68
Reilly, B. : Ibid., P. 68.

(٢) يبلغ طول جزيرة قمران أربعة عشر ميلا ، كما يبلغ أقصى عرض لها ستة أميال • ويقال ان اسم قمـــران أطلق على هذه الجزيرة نتيجـة للاعتقاد السائد بين أهلها بأنه يمكن — فى ظروف جغرافية معينة — رؤية انعكاس القمر على سطح الماء على جانبى الجزيرة فى وقت واحد •

(٣) Reilly, B. : Ibid., PP. 68, 69.

(٤) يونان لبيب رزق « دكتـور » : جزيرة كمران بين الاحتـــلال العسكرى وتحديد التبعية السياسية « ١٩١٥ — ١٩٢٩ » ، ص ٦ •

غيرها (١) • وكان أول شكل من أشكال هذا الصراع يتصل بانعكاس عداوات الحرب العالمية الأولى على المنطقة والتى تمثلت بشكل واضح فى الدولة العثمانية التى انحازت الى جانب دول الوسط ، وبريطانيا التى كانت فى مقدمة دول الوفاق • وكانت بريطانيا قد أتخذت الاحتياطات اللازمة لمواجهة هذا الموقف مما دفعها الى عقد اتفاق مع الدولة العثمانية أقيم بموجبه خط للحدود بين منطقتى نفوذ الدولتين فى اليمن ، وتم التصديق على هذا الاتفاق فى لندن فى اليوم الثالث من يونيه سنة ١٩١٤ (٢) •

وكانت خطة العثمانيين فى منطقة البحر الأحمر أثناء الحرب العالمية الأولى قائمة على اساس الامساك بخناق بريطانيا فى المناطق الحاكمة فى هذا البحر ، فى الشمال بالاستيلاء على قناة السويس ، وفى الجنوب بطرد البريطانيين — اذا أمكنهم ذلك — من عدن • ولا شك أن هذا المخطط لو قدر له النجاح لكان قد أصاب الامبراطورية البريطانية فى مقتل (٣) • غير أن الدولة العثمانية أخفقت تماما فى اتجاه قناة السويس ، فى الوقت الذى احرزت فيه بعض النجاح فى اتجاه عدن وذلك عن طريق احتلال العثمانيين لسلطنة لحج ودخولهم عاصمتها « الحوطة » (٤) فى شهر يوليو سنة ١٩١٥ (٥)• ورغم المناوشات التى قام بها الاتراك تجاه عدن فانهم كانوا على معرفة بقدراتهم التى كانت أضعف من تحقيق هذه الغاية ، مما جعلهم يقنعون بما توصلوا اليه مع ترك عدن تحت السيطرة البريطانية ، خاصة بعد نجاح البريطانيين فى ضرب المحاولة العثمانية لاحتلال « الشيخ سعيد » ، وقيام بريطانيا باحتلال هذا المنفذ البحرى المطل على مضيق باب المندب من الناحية الشرقية فى اليوم العشرين من يوليه سنة ١٩١٥ • وكان على بريطانيا أن تقوم بعد ذلك بفرض سيطرتها على المراكز البحرية التى كانت فى أصلها

---

(١) I.O.L., 48076/27/2, Encl. 1. in No. 297, Report on the recent development of the Kamaran Civil Administration, July 15 th, 1927.

(٢) فاروق عثمان أباظة « دكتور » : الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢ — ١٩١٨ ، ص ٤٧٥ — ٤٧٨ •

(٣) أمين الريحانى : ملوك العرب ، ج • ١ ، ص ٣٦٦ — ٣٦٧ •

(٤) أحمد فضل العبدلى : هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ٢١٦ — ٢١٧ •

(٤) فاروق عثمان أباظة « دكتور » : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩ — ١٩١٨ ، ص ٥٩٥ •

جزءا من الممتلكات العثمانية قبل الحرب ، وكانت جزيرة قمران النموذج الامثل لهذا الجانب من الخطة البريطانية (١) ٠

وتجدر الاشارة الى أن الامام يحيى ـ الذى كان قد عقد « صلح دعان » مع الأتراك العثمانيين فى سنة ١٩١١ ، والذى اتخذ موقفا محايدا ازاء الصراع الدائر بين العثمانيين والبريطانيين أثناء الحرب العالمية الأولى ، وان بدا تعاطفه واضحا مع الجانب العثمانى ـ قد احتج على قيام بريطانيا بضرب ميناء الشيخ سعيد ، ومن المرجح أن الأتراك العثمانيين هم الذين حرضوا الامام يحيى على اتخاذ هذا الاجراء نكاية بالبريطانيين ودرءا لخطرهم ٠ وقد أدى ذلك الى قيام « الكولونيل جاكوب » المساعد الأول للمقيم السياسى البريطانى فى عدن بالكتابة للامام يحيى موضحا له « أن الضرورة الحربية هى التى حملت البريطانيين على ضرب (الشيخ سعيد) دون أن يكون لهم قصد خفى أو سياسى، وأن جلاءهم عن الناحية فى أقرب فرصة سوف يؤكد ذلك (٢) ٠ وكان البريطانيون يحرصون على بقاء الامام يحيى ملتزما بالحياد ازاء هذا الصراع رغم ما بدا منه من تعاطف مع الجانب العثمانى ٠ وعلى أية حال فان العمليات الحربية التى قام بها الأتراك العثمانيين فى اليمن أثناء الحرب العالمية الأولى لم يكن لها تأثير بالغ على مسار تلك الحرب على المستوى العالمى حتى أن «لينوفسكى» يقلل من قيمة هذه العمليات الحربية التى دارت فى اليمن لعدم تناسقها مع العمليات الحربية الرئيسية للخطط العسكرية التى وضعتها الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا فقال : « ان التحركات التركية فى اليمن لم تكن متناسقة مع العمليات الحربية الرئيسية للخطط العسكرية التى وضعتها الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى ، ولذلك كانت غير ذات تأثير على سير الحرب بصفة عامة » (٣) ٠ أما بالنسبة للنشاط البريطانى المعاكس للأتراك العثمانيين فى اليمن أثناء الحرب العالمية الأولى فقد بدا مؤثرا على مركزهم فى الجزيرة العربية ٠ وخاصة عندما قامت بريطانيا باستقطاب الادريس للوقوف الى جانبها ومساعدته لضرب العثمانيين فى عسير ، وفصل القوات العثمانية بالحجاز عن نظيرتها فى اليمن مما مهد السبيل لقيام الشريف حسين بثورته على الأتراك فى الحجاز فى سنة ١٩١٦ ٠ وقد استلزم ذلك ضرورة سيطرة البريطانيين على جزيرة قمران ، للتحكم فى عملية فتح موانى الأدارسة لتلقى المساعدات البريطانية من أسلحة وذخائر ومؤن مختلفة (٤) ، فى الوقت

---

(١) Reilly, B. : Op. Cit., P. 69.
(٢) Jacob, H. F. : Op. Cit., P. 159.
(٣) Lenczowski, G. : The Middle East in warld Affars, P. 60.
(٤) فاروق عثمان أباظة « دكتور » : سياسة بريطانيا فى عسير أثناء الحرب العالمية الأولى ، ص ٤٩ ٠

الذى فرض فيه حصار بحرى محكم على الموانى التابعة للعثمانيين بواسطة قطع الأسطول البحرى البريطانى التى كانت تعمل وفق خطة محكمة أدت الى تحقيق تلك الغـاية (١) ٠

أما بالنسبة للشكل الثانى من أشكال الصراع – الذى اجتاح العالم أثناء الحرب العالمية الأولى وانعكست آثارها على منطقة البحر الأحمر ذات الأهمية البالغة لبريطانيا ولدول أخرى غيرها ، وتسببت فى قيام البريطانيين باحتلال جزيرة قمران فى اليوم العاشر من يونيو سنة ١٩١٥ – فقد تمثل فى المنافسة التقليدية بين القوى الاستعمارية آنذاك ، والتى بدت بوضوح وأخذت تتزايد تدريجيا بين بريطانيا وايطاليا ٠ وتوضح ذلك تلك الرسالة السرية الصادرة من وزارة الهند الى وزارة المستعمرات البريطانية والمؤرخة فى ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٧ والتى جاء فيها : « كان الهدف الرئيسى من احتلال جزيرة قمران مع جزيرتين أخريين فى ١٠ يونيه سنة ١٩١٥ هو احباط المشروعات التى كانت تضعها الحكومة الايطالية وقتذاك لاحتلالها » (٢) ٠ وكان تحول الايطاليين من حلفاء لبريطانيا – يعاونونها فى تنفيذ بعض خططها الاستعمارية على الساحل الافريقى وعند المدخل الجنوبى للبحر الأحمر (٣) – الى منافسين لها تتحوط منهم وتحاول أن تسبقهم الى بعض المراكز الاستراتيجية فيه مثل جزيرة قمران ، انما يعود الى النمو المتزايد للوجود الايطالى فى الجزء الجنوبى من البحر الأحمر ٠ وقد بدا ذلك النمو بوضوح قبيل عقد الوفاق الودى بين بريطانيا وفرنسا فى أبريل سنة ١٩٠٤ وما ترتب عليه من تحسن فى العلاقات البريطانية الفرنسية ، اذ كانت ايطاليا تلعب الدور الذى ظلت تلعبه منذ عام ١٨٨٥ (٤) ، ومثلت فيه « كلب حراسة » للمصالح البريطانية ، واحتلت أثناء قيامها بهذا الدور ميناء مصوع وتمكنت من بناء مستعمرتها الشهيرة فى ارتيريا فى شـــهر مارس سنة ١٨٩٠ (٥) ٠ كما أن العمليات الحربية التى قام بها

---

(١) I.O.L., No. 87. Policy for His Majesty's Ships in the Southern Red Sea Patrol, Memoranda by C.H.U. Price, Brigadier-General, Political Resident, Aden, 27 January, 1916.

(٢) I.O.L. 48076/27/2, No. 296., India Office to Colonial Office Oct. 21, 1927.

(٣) شوقى عطا الله الجمل (دكتور) : سياسة مصر فى البحر الأحمر (١٨٦٣ – ١٨٧٩) ، ص ١٧٧ ٠

(٤) يونان لبيب رزق (دكتور) : السودان فى عهد الحكم الثنائى الأول (١٨٩٩ – ١٩٢٤) ، ص ١٤ ٠

(٥) السيد محمد رجب حراز (دكتور) : التوسع الايطـالى فى شرق أفريقيا ، ص ٢٧٤ ٠

الايطاليون خلال الحرب الايطالية التركية المعروفة بالحرب الطرابلسية في عامي ١٩١١ / ١٩١٢ ، وضرب اسطولهم آنذاك للموانى اليمنية التى كانت واقعة تحت الحكم العثمانى ، والتى كانت جزيرة « قمران » تعتبر جزءا منها ، قد أثارت المخاوف البريطانية • بل ان هذه العمليات أكدت قدرة ايطاليا على اثارة الاضطراب فى المياه الجنوبية للبحر الأحمر وعلى استعدادها لتحقيق أطماعها هناك •

وقد زاد من نمو الوجود الايطالى فى البحر الاحمر عقد معاهدة لندن السرية فى اليوم السادس والعشرين من أبريل سنة ١٩١٥ والتى دخلت بموجبها الحرب فى صف دول الوفاق • وقد بدت الاطماع الاستعمارية الايطالية بوضوح فى تلك المعاهدة سواء على صعيد الممتلكات العثمانية أو على الصعيد الافريقى، وهى الأطماع التى اضطر الحلفاء أن يظهروا موافقتهم عليها فى المعاهدة المذكورة • فقد جاء فى المادة السادسة منها التسليم بالمطلب الايطالى بمنطقة نفوذ فى « تركيا الآسيوية » ، كما تضمنت المادة السابعة الموافقة على توسيع مستعمراتها الافريقية اذا ضمت كل من فرنسا وانجلترا المستعمرات الألمانية(١) • ولا شك أنه فى ضوء هاتين المادتين كانت السواحل اليمنية أو بعض المناطق المتاخمة لها مرشحة للسيطرة الايطالية ، فهى من ناحية أراضى تابعة للدولة العثمانية ، وهى من ناحية أخرى مواجهة للمستعمرات الايطالية فى افريقيا التى تتوق حكومة روما الى توسيعها • ومن ثم فلا غرابة أن تتخوف بريطانيا من تلك الأطماع الايطالية وتبادر باحتلال جزيرة قمران والجزيرتين الملاصقتين لها فى اليوم العاشر من يونيه سنة ١٩١٥ ، أى بعد خمسة وأربعين يوما فقط من التوقيع على معاهدة لندن المشار اليها (٢) •

وتجدر الاشارة الى أن الحكم البريطانى لجزيرة قمران فى أعقاب احتلالها فى اليوم العاشر من يونية سنة ١٩١٥ ، واستمر على ما هو عليه خلال فترة ما بين الحربين العالميتين ، قد اتسم بالطابع العسكرى الذى فرضته ظروف الحرب العالمية الأولى • وتوضح ذلك القرارات التى أصدرتها السلطات البريطانية فى عدن بعد يومين فقط من احتلال الجزيرة • اذ اشتملت هذه القرارات على أربعة تنظيمات أشار اليها التقرير الذى أعدته حكومة الهند البريطانية فى شهر يولية سنة ١٩٢٧ لتنظيم الادارة المدنية بجزيرة قمران (٣) • وقد

---

(١) Roder, W.S. : Dictionary of European History, P. 169.

(٢) يونان لبيب رزق (دكتور) : جزيرة كمران ، ص ١٢ •

(٣) I.O.L. 49076/27/2, Encl. 2. in No. 295 Supplement Report on the Development of the Kamaran Civil Administration, P. 1. Captain Cadell

اختص « التنظيم الأول » بالتعيينات التى تقررت من جانب حاكم عدن لخمسة موظفين من العسكريين البريطانيين تولوا مسئولية ادارة الجزيرة بالاضافة الى موظف مدنى بريطانى . وأول هؤلاء أسماه التقرير « بضابط من ذوى الرتب الكبيرة » يتولى مسئوليته عن مختلف الشئون المدنية والسياسية . أما الموظف الثـانى فهـو الموظف المدنى الذى تولى وظيفـة مسـاعد الحـاكم للشـئون السـياسية ، وتركزت اختصاصاته فى الأمن الداخلى بالاضافة الى الشئون المالية والجمارك . وكان أول من شغل هذه الوظيفة « مستر ريتشاردسون Richardson, G. A. الذى كان يعمل من قبل نائبا للوكيل البريطانى فى الحديدة عند دخول الدولة العثمانية الحرب الى جانب دول الوسط . أما الموظف الثالث فكان برتبة « كابتن » وتولى مسئولية مختلف الشئون العمرانية فى الجزيرة حتى عرف « برئيس البلدية » ، وقد شغل هذه الوظيفة : « كابتن واطسون Captain Watson, R. G. A. وكان على هذا الموظف أيضا مسئولية توفير المياه العذبة وتخزينها لتفى بحاجات سكان الجزيرة والحامية البريطانية المعسكرة فيها فى جميع الأوقات . وكانت الوظيفة الرابعة لضابط برتبة « كابتن » أيضا يتولى الرقابة على شئون البريد والبرق، كما أسندت اليه أعمال المخابرات ، وقد شغل هذه الوظيفة لأول مرة « كابتن كادل Captain Cadell بينما كانت الوظيفة الخامسة برتبة « ملازم » ، وقد شغلها للمرة الأولى الملازم هيوز Lieutenant Hughs, R. N. R. وقد اختصت هـذه الوظيفة لشـئون المينـاء والتفتيش البحـرى ثم وكانت الوظيفـة الأخيرة لطبيب مسـئول عن الشئون الصـحية فى المينـاء بالاضـافة الى عمله جراحا . وقد شـغل هـذه الوظيفة للمرة الأولى « كابتن هاردنج Captain Harding R. A. C. الذى ارتبطت وظيفته بالدور الذى تلعبه قمران كمقر لحجر صحى يختص برعاية ألوف الحجاج المسلمين القادمين من الهند والشرق الأقصى ، والذى كانت تشرف عليه من قبل اللجنة الصـحية العثمانية أثناء تبعية الجزيرة لولاية اليمن العثمانية (١٨٧٢ ــ ١٩١٨)

أما بالنسبة « للتنظيم الثانى » ــ الذى اشتملت عليه القرارات التى أصدرتها السلطات البريطانية فى عـدن بعد يومين من احتلال البريطانيين لجزيرة قمران فى اليوم العاشر من يونية سنة ١٩١٥ ــ فقد اختص باعلان الأحكام العسكرية فى الجزيرة . على أنه قد تقرر فى نفس الوقت عدم تطبيق هذه الأحكام الا فى الأحوال التى يرى حاكم الجـزيرة ضرورة تطبيقها . أما فيما يتعلق بأحكام الاعدام فقد منع تنفيذها دون تصديق من قبل الحاكم العام فى عدن . على أنه فى الحالات التى يرى حاكم الجزيرة أنه ليس من داع لتطبيق الأحكام العسكرية فقد رؤى وضع القانون الانجليزى العام والقانون الهندى موضع التطبيق . وحتى يمكن تنفيذ كل ذلك فقد تم تخويل حاكم الجزيرة بصلاحيات قضائية من الدرجة الثانية ، أما استئناف المحكوم عليهم

من أبناء الجزيرة فقد تقرر رفعه من جانب الحاكم العام الى المحكمة العليا في عـــدن (١) ٠

وفيما يتعلق « بالتنظيم الثالث » ــ الذى اشتملت عليه القرارات التى أصدرتها السلطات البريطانية فى عدن عقب احتـــلال البريطانيين لجزيرة قمران ــ فقد اختص بقوة الأمن فى الجزيرة ، والتى تشكلت من اثنين من الضباط و ٢٦ من رجال الشرطة ٠ بينما اختص آخر هذه التنظيمات بميناء جزيرة قمران الذى كان يمثل حجر الزاوية بالنسبة للمصالح البريطانية، اذ ورد « بالتنظيم الرابع » تشكيل لجنة لادارة الميناء برئاسة حاكم الجزيرة وعضوية مساعده ومسئول الحجر الصحى ، بالاضافة الى أحد أهالى الجزيرة ممن يقع عليهم اختيار الحاكم العام ٠

كما أن التقرير ــ الذى أعدته حكومة الهند البريطانية فى شهر يوليو سنة ١٩٢٧ لتنظيم الادارة المدنية بجزيرة قمران ، والذى تضمن القرارات التى أصدرتها السلطات البريطانية فى عدن بعد يومين من احتلال الجزيرة فى العاشر من يونية سنة ١٥ ، واشتملت على التنظيمات الأربعة المشار اليها ــ قد أشار أيضا الى أنه قد تمت اقامة فرع للشئون المالية المتعلقة بالجزيرة فى نفس السنة التى تم فيها احتلالها ٠ وقد استمر هذا الفرع يزاول مهمته حتى ســـنة ١٩٢٣ ، حين أوكلت الشئون المالية الخاصة بالجـزيرة للادارة البريطانية فى عدن بعد أن تم الفصل بين كل من الميزانية المدنية للجزيرة من جهة ، وميزانية الحجر الصحى بها من جهة أخرى (٢) ٠

وتجدر الاشارة الى أن طبيعة الحكم البريطانى لجزيرة قمران قد تحولت من الحكم العسكرى الى الحكم المدنى التابع أيضا للســـلطات البريطانية فى عدن ، وذلك فى أعقاب عقد معاهدة لوزان بين الترك ودول الوفاق فى اليوم الرابع والعشرين من يوليه سنة ١٩٢٣ ، أثناء الدورة الثانية لمؤتمر الصلح الذى عقد بمدينة لوزان (٣) اذ نصت المادة السادسة عشرة من معاهدة لوزان التى أصبحت سارية المفعول اعتبارا من اليوم السادس من شهر أغسطس سنة ١٩٢٤ على « تنازل تركيا عن جميع حقوقها فى الأراضى الواقعة خارج الحدود التى عينتها المعاهدة » (٤) ، وكانت منطقة البحر الأحمر بما فيها عدن وقمران

---

(١) يونان لبيب رزق « دكتور » : جزيرة كمران ، ص ٢٧ ٠

(٢) I.O.L., 48076/27/2. Encl. 2 in No. 296.

(٣) على حسون « دكتور » : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٨٨ ٠

(٤) فاضل حسين « دكتور » : محاضرات عن مؤتمر لوزان وآثاره فى البلاد العربية ، ص ١٥ ــ ١٩ ٠

Reilly. B. : Op. Cit., P. 68.

خارج نطاق تلك الحدود (١) • ولهذا فقد خلق بعد هذه المعاهدة وضعا جديدا لجزيرة قمران (٢) سجله « مستر اتشيسون Aitchison, J. G. ممثل حكومة الهند فى لندن فى مذكرة سرية أعدها فى التاسع والعشرين من مارس سنة ١٩٢٨ وأشار فيها الى أن جزيرة قمران « كانت من أملاك تركيا قبل عام ١٩١٤ ، واحتلتها القوات البريطانية فى ظروف الحرب ولا تزال تحتلها (مارس ١٩٢٨) • ولما لم يرد ذكر لها فى معاهدة لوزان فقد تم اعتبارها ضمن الجزر التى تنازلت تركيا عن سيادتها عليها بمقتضى المادة السادسة عشرة المشار اليها • غير أن هذا التنازل لم يتم للبريطانيين أو لأية حكومة بعينها ، اذ أن تلك المادة أشارت الى مستقبل تلك الأراضى الواقعة خارج الحدود التى عينتها المعاهدة بأنه « سوف يتم اقراره بالاتفاق بين الأطراف المعنية » • كما حدد « مستر آتشيسون » فى مذكرته طبيعة الوضع الجديد لجزيرة قمران مؤكدا تبعيتها لحكومة الهند بقوله : « ولما كانت قمران تقع فى نطاق الممتلكات البريطانية ، ولما كان يقوم بادارتها جهاز تابع لحكومة الهند ، فانها تشكل قسما منها طالما بقيت تحت ادارة هذه الحكومة » (٣) •

وهكذا تؤكد هذه المذكرة السرية التى أعدها « مستر آتشيسون » ممثل حكومة الهند فى لندن اصرار البريطانيين على ابقاء جزيرة قمران فى حوزتهم بعد أن استفادوا من موقعها الاستراتيجى أثناء الحرب العالمية الأولى مع محاولة التعرف على الدور الذى يمكن أن تلعبه هذه الجزيرة فى الاستراتيجية البريطانية فيما بعد تلك الحرب — أى فى فترة ما بين الحربين العالميتين • وقد تناولت هذا الموضوع مذكرة « مستر ستيوارت سايمز Stewart Symes. المقيم السياسى البريطانى فى عدن (١٩٢٨ — ١٩٣١) وحددت الأسس التى تقوم عليها هذه الاستراتيجية على النحو التالى :

أولا — منع وقوع جزيرة قمران تحت سيطرة أية قوة اجنبية أو أية دولة غير صديقة ، وهذا ما دفع بريطانيا الى احتلال الجزيرة فى سنة ١٩١٥ كعمل من أعمال الحرب •

---

(١) فاروق عثمان أباظة « دكتور » : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩ — ١٩١٨ ، ص ٦٦٦ •

(٢) يونان لبيب رزق « دكتور » جزيرة كمران ، ص ٢٠ — ٢١ •

(٣) I.O.L. 59285/28/15. Encl. 1. in No. 302.
The Deputy Secretary to the Government of India in the Foreign and Political Department to the Mnder Secretary of State for India, March 29, 1928.

ثانيا ـ العمل على تأمين مركز الحجر الصحى الذى يقوم أساسا بخدمة الحجاج المسلمين من الهنود ومن أبناء جزيرة جاوه مما أدى الى وضع الجزيرة تحت ادارة حاكم بريطانى يمارس نوعا من الحكم الفردى تدعمه فى ذلك الراية البريطانية والزيارات المنتظمة التى تقوم بها الى الجزيرة الطائرات الحربية البريطانية المرابطة فى عدن ·

ثالثا ـ وفيما يتعلق بمسألة السيادة فقد رأى المقيم السياسى البريطانى فى عدن أنه ليس من حق أية قوة أن تنازع بريطانيا على جزيرة قمران سوى امام اليمن يدعمه فى ذلك حق الجوار من ناحية · وأن أبناء الجزيرة ينتمون الى اقليم تهامة اليمن ، من ناحية أخرى ـ على أنه يمكن مواجهة هذين الأمرين من خـــلال الابقاء على الوضع القائم فى الجزيرة على ما هو عليه ، مع التصميم على اعتبار مسألة السيادة على الجزيرة قضية منتهية (١) ·

وتجدر الاشارة أيضا الى أنه على ضوء هـذه الاستراتيجية البريطانية رفض البريطانيون مشاركة أية قوى أخرى لهم فى ادارتهم لجزيرة قمران فى فترة ما بين الحربين العالميتين · وقد بدا ذلك فى المفاوضات التى جرت فى باريس خلال شهر يونيه سنة ١٩٢٦ بين كل من بريطانيا وهولندا بشأن مستقبل تلك الجزيرة · ذلك أن الهولنديين كانوا قد تقدموا وقتذاك بطلب للمشاركة فى ادارة الجزيرة على اعتبار أن أعدادا كبيرة من رعاياهم المسلمين من أبناء جزيرة جاوه يقومون باستخدام مركز الحجر الصحى بها أثناء موسم الحج · وقد بحثت لجنة بريطانية الطلب الهولندى وكان رأيها أن أى شكل من اشكال الادارة الدولية أو الادارة الأنجلو ـ هولندية تتناقض مع متطلبات البحرية والطيران البريطانيين ، ومن ثم فقد تقرر عدم السماح للهولنديين بالمشاركة فى ادارة الجزيرة ، وعلى هذا الأساس بدأت المفاوضات بين الطرفين · وقد تمخضت هذه المفاوضات عن عقد اتفاقية انجليزية ـ هولندية تم توقيعها فى العاصمة الفرنسية فى اليوم التاسع عشر من شهر يونيو سنة ١٩٢٦ تقرر بمقتضاها السماح لهولندا بالمشاركة فقط فى ادارة مركز الحجـر الصـحى بالجزيرة « دون أن يمس ذلك الادارة المدنية التى تبقى فى أيدى البريطانيين» · وحتى يتم تجنب أى ازدواج فى ادارة الجزيرة فقد تقرر فصل الميزانية الخاصة بتلك الادارة عن الميزانية الخاصة بمركز الحجر الصحى (٢) ·

---

(١) I.O.L. 69285/29/12. No. 311. The Resident to the Secretary of State. Feb. 25th. 1929. Conf.

(٢) I.O.L. 48076/27/2. No. 296.

وهكذا بدأت حكومة الهند البريطانية عقب نهاية الحرب العالمية الأولى في عمل كافة الترتيبات اللازمة لانهاء الحكم العسكرى فى جزيرة قمـــران واحلال حكم مدنى بريطانى أكثر دواما واستقرارا · وقد بدا ذلك فيما حدث اعتبارا من مطلع سنة ١٩١٩ حين سحبت هذه الحكومة كافة الموظفين العسكريين الذين حكموا الجزيرة خلال السنوات الأربع السابقة ، ولم تبق منهم ســوى الحاكم العسكرى لقمران ، الذى تقرر أن يعاونه مســاعد المقيم السياسى البريطانى فى عدن الذى تولى وظيفة مساعد الحاكم العسكرى (١) · وقد تحدث « كابتن ويكهام Captain C. Wickham. — الذى تولى منصب الحاكم العسكرى لجزيرة قمران — عن أحوال الجزيرة عقب نهــاية الحــرب العالمية الأولى فقال : « لم يزد عدد السكان عن ألفى نسمة كانوا فى حالة يرثى لها من الفقر نتيجة لتوقف الحج خلال الفترة الممتدة بين عامى ١٩١٥ و ١٩١٩ · وكانت التجارة مع الساحل ضعيفة . ثم أن السفن التى كانت تصل من عدن نادرا ما كانت تحمل أى بضائع ··· كما لم تكن البيوت صحية ، فقد كان أغلبها أكواخا من البوص ، ولم تكن هناك أية رعاية صحية . وكان كثير من الأطفال يعانون من أمراض فى عيونهم بسبب القذارة » (٢) ·

وعلى أية حال فبالرغم من تعطل الحكم العسكرى البريطانى فى قمران فى سنة ١٩١٩ الا أن الوضع لم يستقر باحلال حكم بريطانى مدنى الا بعد عقد معاهدة لوزان فى الرابع والعشرين من شهر يوليه سنة ١٩٢٣ ، والتى اعتبرت بريطانيا أن مادتها السادسة عشرة — الخاصة بتنازل تركيا عن كل حقوقها فى السيادة على الأراضى غير التركية — تنسحب على الجزيرة لصالحها مبررة بقاءها فيها واستمرار تبعيتها للســلطات البريطــانية فى عــدن حينذاك (٣) · ومنذ هذا التاريخ أعادت بريطانيا تنظيم الادارة البريطانية فى جزيرة قمران مع اعلان الحكم المدنى بحيث تشتمل على الأقسام السبعة التــالية ·

أولا — الادارة السياسية والقسم القضائى . وقد عملت الادارة السياسية على التقاط الأخبار السياسية من الساحل اليمنى المواجه لقمران فضلا عن قيامها بأعمال الادارة العامة داخل الجزيرة ، بينما عنى القسم القضائى بالشئون القضائية المستوحاة من الشريعة الاسلامية ·

---

(١) I.O.L. 48076/27/2., Op. Cit. Encl. 2 in No. 296

IO.L. 48076/27/2. Op. Cit., Encl. I. in No. 296.

(٣) Reilly, B. : Op. Cit., PP. 68, 69.

ثانيا ــ ادارة الجمارك بجزيرة قمران وكانت تقوم بجمع الرسوم المفروضة على القات وغيره من السلع التى تقرر فرض الرسوم عليها ، غير أنها لم تفرض أى نوع من الرسوم على السلع الغذائية ٠

ثالثا ــ ادارة البلدية وتقوم بجمع الرسوم المستحقة على رخص التجارة ، وتشرف على أسعار السلع الغذائية فى الأســواق ، وكانت تلك الأسعار تتحدد على ضوء مثيلاتها فى عدن ٠ وقد تولت هذه الادارة أيضا الأشراف على مستشفى جزيرة قمران ٠ وقد قام هذا المستشفى بعلاج سائر أبناء الجزيرة بدون مقابل ، ولكنه كان يعالج القادمين من خارجها بنفقات تقدر فى كل حالة على حده ٠ وقد أدى هذا المستشفى ــ كما يقول الحاكم البريطانى العام لقمران ــ خدمة عظيمة « سواء على الصعيد الصحى أو على الصعيد السياسى حيث ساعدت على ازكاء الشعور بالثقة فى الحكومة لدى الأهالى بالاضافة الى تنمية علاقات الود بينها وبينهم » ٠

رابعا ــ أما الادارة التعليمية فقد كانت مهمتها الأساسية قائمة على التعليم الدينى بعد القراءة والكتــابة ٠

خامسا ــ وتأتى بعد ذلك ادارة الشرطة والسجون التى كانت تقوم بأعمال الأمن داخل الجـــزيرة وكانت أكبر الادارات من ناحية عــدد المشتغلين بها (١) ٠

سادسا ــ كانت ادارة الميناء تقوم بجمع الرسوم على القوارب بالاضافة الى اصدار تراخيص صيد اللؤلؤ ٠

سابعا ــ وأخيرا كانت ادارة الخزينـــة مسئولة عن مختلف الشئون الماليـــة فى الجـــزيرة ٠

ويمكن القول بأن جزيرة قمران قد أحرزت تقدما ملحوظا فى ظل حكم هذه الادارة على نحو ما يظهــره تقرير « كابتن ويكهام » الذى أوضح فيه ما تطورت اليه أحوال الجزيرة فى سنة ١٩٢٧ (٢) ، فقال : « لقد بلغ عدد سكان قرية قمران وحدها أربعة آلاف نسمة ، وهناك حــالة من الرخاء ،

---

(١) Reilly, : Op. Cit., P. 69 .

(٢) يونان لبيب رزق « دكتور » : جزيرة كمران ، ص ٢٢ ٠

وتحسنت كثيرا طريقة بناء البيوت ولم يعد يسمح ببناء الدور من البوص كما كان الحال من قبل فيما عدا الأسقف والشرفات • وقد زادت التجارة بقدر ملحوظ وتستخدم قمران الآن كمنطقة عبور لميناء اللحية وغيره من الموانى الواقعة على الساحل اليمنى • أما المستشفى فقد قام بالكثير لتحسين الأحوال الصحية بالجزيرة ، ويبلغ عدد المترددين عليه نحو ٣٥٠ فردا شهريا » •

وعلى الرغم من هذه الصورة المتفائلة التى أوردها « كابتن ويكهام » فى تقريره ، فانه قد أشار فى نهاية هذا التقرير الى حقيقة خطيرة تتمثل فى العجز الواضح فى ميزانية الجزيرة • اذ بلغت جملة المصروفات فى عامى ١٩٢٥ ــ ١٩٢٦ مبلغ ٤٧ر٧٧٣ جنيها بينما لم تزد الايرادات عن ١٣ر٠٤٠ جنيه (١) • ولا شك أن هذا العجز قد دفع الادارات البريطانية الى أن تحاول كل منها القاء تبعة ادارة الجزيرة على الأخرى • وقد بدا ذلك عندما وضعت وزارة الهند فى لندن مذكرة سرية طويلة بعثت بها الى وزارة المستعمرات البريطانية فى خريف عام ١٩٢٧ تطلب منها تخليص حكومة الهند من الاستمرار فى ادارة جزيرة قمران واسناد هذه الادارة الى الحكومة البريطانية• وقد أوردت المذكرة مجموعة من الأسباب التى دعت حكومة الهند البريطانية أن تطلب هذا الطلب عن طريق وزارة الهند فى لندن ، ويمكننا أن نلخص هذه الأسباب فيما يلى :

أولا : أنه لم تعد ثمة فائدة تذكر تعود على حكومة الهند من استمرار تحملها لأعباء احتلالها للجزيرة ، خاصة وأن المذكرة قد أشارت فى هذا الصدد الى أن المصالح التى تحققها تتساوى مع مصلحة الحكومة البريطانية فى أن احتلال الجزيرة يؤدى الى تأمين الطريق البحرى الى الشرق • وعلى ضوء فهم هذه الحقيقة منذ احتلال البريطانيين للجزيرة فقد تقرر أن يتحمل الجيش البريطانى نفقات الجزيرة مناصفة مع حكومة الهند على أن يقسم دخلها أيضا مناصفة بين الجانبين •

ثانيا : وتشير مذكرة وزارة الهند الى الوضع الدولى المعقد فى الجزيرة فتذكر أن تركيا قد تنازلت فعلا عن سيادتها عليها ولكن ليس الى بريطانيا ــ كما سبق أن أشرنا ــ بل انه ترك للأطراف المعنية أن

(١) I.O.L. 48076/27/2. Op. Cit., Encl. I. in No. 296.
(٢) يونان لبيب رزق « دكتور » : جزيرة كمران ، ص ٢٣ •

تقرر مصير تلك الأراضى المتنازل عنها • وترى وزارة الهند أن هذا الموقف سوف يؤدى الى نتيجة محددة وهى « أن الجزيرة بأى المقاييس ليست جزءا من الأراضى الهندية ، وأنه بالامكان أن تنشأ فى أى وقت حولها تعقيدات دولية لن تختص بها حكومة الهند بقدر ما تختص بها الوزارة المشرفة على السياسات العربية ، وأنه ليس من المعقول أن تبقى تلك الحكومة مسئولة عن الجزيرة لمجرد أن لها مصلحة محدودة فى مركز الحجر الصحى القائم فيها •

ثالثا : ثم تسجل مذكرة وزارة الهند حجة ثالثة للتخلص من الجزيرة مؤداها أنه لما كانت كل من حكومة الهند والحكومة البريطانية بصدد عقد اتفاق تنتقل بمقتضاه الادارة العسكرية والسياسية لعدن وملحقاتها الى الحكومة الأخيرة (أى الى وزارة المستعمرات كما حدث فيما بعد) فمن الطبيعى أن يصحب ذلك انهاء التبعية الادارية لجزيرة قمران وفصلها عن اختصاص حكومة الهند •

رابعا : وانتهت مذكرة وزارة الهند الى الاشارة بأن حكومة الهند على استعداد لاعارة الجهة التى ستتولى مسئولية ادارة جزيرة قمران كافة الموظفين العاملين فى ادارة الجزيرة حينذاك الى حين تدبير الموظفين اللازمين لها •

وعلى أية حال فقد بدأت السلطات المعنية فى كل من وزارة المستعمرات، ووزارة الخارجية ، ووزارة الطيران ، فى دراسة مطلب حكومة الهند الذى عبرت عنه وزارة الهند فى مذكرتها المشار اليها (١) • وكانت أهم العقبات التى وقفت فى طريق الاستجابة لمطلب حكومة الهند ما يمكن أن يترتب على تغيير التبعية السياسية والادارية لجزيرة قمران من اثارة الايطاليين المتمركزين فى ارتيريا على الساحل الأفريقى المواجه للجزيرة • خاصة وأن الفترة الممتدة من اليوم السادس من أغسطس سنة ١٩٢٦ واليوم الحادى عشر من ابريل سنة ١٩٢٧ قد شهدت محاولات ايطالية حثيثة لايجاد موضع قدم للايطاليين فى جزيرة قمران • ذلك أن وكيل شركة بترول ايطالية فى الحديدية ، وهى الشركة الايطالية العربية المعروفة باسم « سكيتار Scitar. قد تقدم بطلب لاقامة خزان بترول فى الجزيرة • وقد ساندت وزارة

---

(١) يونان لبيب رزق « دكتور » : جزيرة كمران ، ص ٣٤ •

الخارجية الايطالية هذا المطلب بشتى الوسائل ، بيد أن الحكومة البريطانية استطاعت أن تتملص من الاجابة عليه (١) ·

ومن ناحية أخرى فكرت السلطات البريطانية على ضوء مطلب حكومة الهند بتغيير تبعية جزيرة قمران فى جس نبض الجانب الايطالى بأن قامت بابلاغ الحكومة الايطالية بأنها تنوى اجراء تغيير لقوات الشرطة المحلية فى الجزيرة بقوات من الجنود التابعين لحكومة عدن · ومرة أخرى تشهد الفترة الممتدة بين شهرى يناير وأكتوبر سنة ١٩٢٩ محاولات مستميتة من الجانب الايطالى لاقتناص الفرصة والمشاركة فى ادارة الجزيرة (٢) · وقد دعت كل هذه المواقف الحكومة البريطانية الى التحوط ، والى اتفاق كافة الادارات المسئولة فيها ، ابتداء من وزارة المستعمرات التى كان مطلوبا منها أن تتولى ادارة شئون جزيرة قمران ، ومرورا بوزارة الخارجية التى تحملت عبء الاتصالات الدبلوماسية مع الحكومة الايطالية ومواجهة ضغطها ، وانتهاء بوزارة الطيران التى كانت ترى نفسها صاحبة مصلحة حقيقية فى استبقاء الجزيرة فى حوزة الامبراطورية البريطانية مهما كانت الجهة التى تديرها · وأخيرا اتفقت كافة هذه الوزارات البريطانية على ابقاء الأوضاع فى جزيرة قمران على نحو ما كانت عليه خلال الفترة التى بدأت منذ احتلالها فى اليوم العاشر من يونيه سنة ١٩١٥ وحتى سنة ١٩٢٩ · ولم يكن أمام حكومة الهند ازاء هذا الاجماع من قبل الوزارات البريطانية المعنية سوى الرضوخ وتأجيل تنفيذ مطالبها حتى يحين الوقت المناسب لتحقيق ذلك بما يتفق والمصالح البريطانية فى منطقة البحر الأحمر والمحيط الهندى (٣) · وقد استمرت تبعية جزيرة قمران للسلطات البريطانية فى عدن حتى تحولت عدن نفسها من تبعيتها لوزارة الهند الى تبعيتها لوزارة المستعمرات فى أول أبريل سنة ١٩٣٧ ، فتحولت معها بالتالى تبعية قمران الى تلك الوزارة الأخيرة (٤) · وقد أصبح يشرف على ادارة جزيرة قمران ــ وهو الوضع الذى انطبق كذلك على جزيرتى بريم وسقطرى ــ « وكيل » بريطانى (٥) تعينه الحكومة

---

(١) I.O.L., Docs. 314 to 326 Italian attitude in connexion with Scitar Oil Company.

(٢) I.O.L., Docs 327 to 433, Italian attitude in connexion with Police Arrangements.

(٣) I.O.L. 69285/29/21, India Office to Colonial Office, June 18 th 1929.

(٤) King, G. : Op. Cit., PP. 46, 47.

(٥) محمد عمر الحبشى « دكتور » : المصدر السابق ، ص ٢٠ ــ ٢١ ·

البريطانية بنـاء على اقتراح من قبل « حـاكم عدن » البريطانى (١) ، بعد تحول عدن الى « مستعمرة تاج » فى التاريخ المشار اليه • وكان من الطبيعى أن يؤدى هذا الوضع الجديد فى تلك الجزر اليمنية الى تدعيم مركز بريطانيا فيها • وجدير بالذكر أن الامام يحيى طالب بحقوقه فى الجزر اليمنية الواقعة فى البحر الأحمر أثناء مفاوضاته مع البريطانيين التى انتهت بعقد المعاهدة البريطانية اليمنية فى سنة ١٩٣٤ ، وقد أرفق بهذه المعاهدة خطاب الامام الذى عبر فيـه عن مطالبه • غير أن بريطانيـا لم تعر هـذه المطالب أى اهتمام (٢) • مما أدى الى استمرار سيطرتها على تلك الجـزر حتى خرجت قواتها نهائيا من اليمن فى الثلاثين من نوفمبر سنة ١٩٦٧ •

---

(١) Reilly, B. : Op. Cit., P. 69. Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 444.

(٢) Reilly, B. : Op. Cit., PP. 69, 70.

ثانيـــا :

مركز بريطانيا فى النواحى التسع المتاخمة لعـــدن بيـــن الحربين العالميتين

ارتبط حرص بريطانيا على تدعيم مركزها فى النواحى التسع المتاخمة لعدن بجنوبى اليمن فى فترة ما بين الحربين العالميتين (١٩١٩ ــ ١٩٣٩) بحرصها على تدعيم مركزها فى عدن نفسها • وقد تبنت بريطانيا هذا الموقف منذ احتلالها لعدن فى ١٩ يناير سنة ١٨٣٩ حفاظا على ميناء عـــدن الحيوى الهام ضد أى مخاطر تتهدده من داخل اليمن أو من خارجها ، بما يحفظ لهـــا بالتالى مصالحها الامبراطورية على الطريق البحـــرى الموصل بين الجـــزر البريطانية وبلاد الهند والشرق الاقصى • كما كانت بريطانيا تهدف أيضا الى تأمين الطرق الممتدة بين عدن والمناطق الداخلية المتاخمة لهـــا فى جنـــوب اليمن ضمانا لوصول المواد التموينية اللازمة لعدن • وحرصا على انتظـــام عمليات التبادل التجارى بينها وبين هذه المناطق •

ومن هنا فقد اتبعت بريطانيا سياسة مرنة فى المنطقة المتاخمة لعدن بجنوبى اليمن (١) ، بدأتها بتنفيذ ســـياسة التهدئة فى تلك المنطقة حتى تضمن استقرار الأمـــور فى عدن نفسها بمـــا يحقق فى النهاية مصـــالحها الاستراتيجية والسياسية والتجارية (٢) •

وقد اتخذت هذه السياسة مظاهر شتى ، أولها : عقد المعاهدات الولائية مع حكام تلك النواحى ، والتى صـــاحبها صرف رواتب شهرية أو ســـنوية اختلفت باختلاف مكانة كل منهم ، فضـــلا عن اطلاق مدافع للترحيب بهـــم ولتوديعهم عند حضورهم الى عدن وعند خروجهم منها • كما منحتهم بريطانيا أيضا ألقابا ونياشين وخصصت لهم هدايا موسمية • وفى مقابل ذلك كانت بريطانيا تتدخـــل فى السياسة المحلية لتلك النواحى ، وعند اختيـــار حكامها كثيرا ما كانت تتحزب لبيت طامع فى الملك على بيت مالك أو عكس ذلك ، بل انها كانت تحرص على استقلال كل أمير فى ناحيته عن الآخر ابقـــاء على انفصال كياناتهم الضعيفة • وقد عقدت بريطانيا هذه المعاهدات الولائية مع غالبية هؤلاء السلاطين والأمراء والشيوخ حكام هذه النواحى خـــلال قرابة نصف

---

(١) Sanger, R.H. : The Arabian Peninsula, P. 204.

(٢) Playfair, R.L. : Op. Cit., P. 164.

قرن من الزمان فى أعقاب احتلالها لعدن فى سنة ١٨٣٩ (١) • وقد تكونت من هذه الوثائق مجتمعة النواة التى نمت منها تدريجيا « محمية عدن "The Aden Protectorate"

ومنذ عودة الأتراك العثمانيين الى تهـــامة اليمن فى سنة ١٨٤٩ وما أعقب ذلك من سيطرتهم على صنعاء واقامة حكمهم فيها فى السادس والعشرين من ابريل سنة ١٨٧٢ (٣) ، فقد أصبح الوجود البريطانى فى عدن مهددا من ناحية المنطقة المتاخمة لهـا والتى بدأ الأتراك يحاولون استقطاب حكامها الى جانبهم • وقد بدا واضحا من وجهة النظر البريطانية ــ والتى بالغت فى تقدير هذا التهديد واتخذته ذريعة ــ ضرورة الانتقال من مرحلة المعاهدات الولائية مع حكام تلك النواحى ، الى مرحلة جديدة تؤمن الوجود البريطانى فى عدن وتدعم بقاءه • وقد توصلت بريطانيا الى ذلك بعقد معاهدات الحماية مع هؤلاء الحكام اعتبارا من عام ١٨٨٦ ، ولم يكن الهدف بطبيعة الحال حماية هؤلاء الحكام من العثمانيين (٤) ــ كما ادعت بريطانيا ــ وانما كان محاولة من جانبها لاحكام قبضتها على النواحى المتاخمة لعدن ضمانا لبقائها فيهـــا ولابعاد أى ظل لأية قوى أجنبية عن هذا الميناء الحيوى الهام (٥) •

وعلى الرغم من أن أبعاد السياسة البريطانية فى سلطنات وامارات ومشيخات المنطقة المتاخمة لعدن فى جنوب اليمن كانت تتغير من آن لآخر طبقـــا لتغير المقيمين السياسيين فى عدن ولتعدد وجهات نظـــرهم المختلفة ، فان هــذه السياسة كانت تلتزم بصفة عامة بعدم التدخل فى شئون القبـــائل اليمنية الا بالقدر الذى يحقق المحافظة على المصالح البريطانية فى عدن نفسها (٦) • وقـــد اتفقت جميع هذه المعاهدات التى كانت أولها المعاهدة التى عقدتهـــا بريطانيا مع سلطان المهرة بشأن جزيرة سقطرى فى سنة ١٨٨٦ ــ فى أن

---

(١) جاد طه « دكتور » : سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن ، « ١٧٩٨ ــ ١٩١٤ » ، ص ١٧٩ •

(٢) I.O.L., Secret, The Aden Protectorate, letter from the General Officer Commanding, Aden, to the Secretary to the Government of India, Foreign Department, dated 13 th. May 1916. P. 1.

(٣) فاروق عثمان أباظة « دكتـــور » : الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢ ــ ١٩١٨ ، ص ٩٠ •

(٤) أمين الريحانى : ملوك العرب ، ج١ ، ص ٣٨٢ •

(٥) Ingrams, H. : The Yemen, Imams, Rulers and Revolutions, P.

(٦) Jacob, H.F. : Kings of Arabia, P. 252.

بريطانيا تمنح هؤلاء السلاطين والامـــراء والشيوخ حكـــام تلك النواحي حمايتها ، نظير تعهدهم بعدم الاتصال باية قوة اجنبية اخـرى غيرها • وقد عقد البريطانيون احدى وثلاثين اتفاقية للحمـــاية تغطي الجانبين الشرقي والغربي لمحمية عدن (١) •

وتجدر الاشارة الى أن الوجود البريطاني في جنوب اليمن قـد ساعد عن طريق عقد هذه المعاهدات المشار اليها مع حكام النواحي المتاخمة لعـــدن «على تعميق عملية التفتيت ، فرئاسة القبيلة هي في الأصل وظيفة اجتماعية ، وبعقد اتفاقيات حماية أو أمن مع الحكومة البريطانية ، تحول رؤساء القبائل تدريجيا من مجرد شيوخ يعتمدون على علاقة الدم الى حكام سياسيين (٢) » • ويتحدث المؤرخ اليمني عبد الواسع الواسعي عن النواحي المحمية المتاخمة لعدن في جنوبي اليمن معبرا عن وجهة النظر الزيدية فيقول : « أما المـراد بالنواحي التسع ، فهي الامارات والمشيخات الكائنة في سـفلى اليمن ، وهي التي دخلت شيئا فشيئا تحت حماية الحكومة البريطانية على يـد والى عدن أو بواسطة اليه (هكذا ورد في النص) التي تشرف على الامارات والمشيخات الآتي ذكرها : لحج ، أبين ، الحواشب ، الصبيحة ، القطيب ، الضـــالع ، يافع العليا والسفلى ، والعوالق ، حضرموت ، على أن موقف هـــذه الامارات مختلف عن بعضها البعض من حيث وطيء الحماية ونفوذ الحكومة البريطانية وسيطرتها • ولرؤساء الامارات والمشيخات رواتب شهرية مقررة يتناولونها من خزانة عدن ، على أنها في حـد ذاتها حقيرة لا أهمية لهـا بالنسبة لسيطرة الانجليز ولبســط الحماية وما يتفرع عنها من الخنوع والخضوع ، وليس للانجليز في هذه الامارات من احتلال مسلح أو سيطرة عسكرية ، ولكن لهـا نفوذ أدبي وسياسي لا يحتاج الى الالتجاء للقوة والاحتلال • ولا يغرب عنك أن رؤساء هذه الامارات صادقون مخلصون لحكومة عدن • ولحج ، والحواشب ، والمكلا ، وأبين ، والضالع معدودات من الامارات ، ويخاطب رؤسائها بفخر الامراء ويسمى بعض الرؤساء بلقب السلطان والباقي من الامارات رؤساؤها مشايخ لهم احترام خاص من حكومة عدن • وكانت هذه المحميات التسع سـابقا في الدولة العثمانيـــة ، وأئمـــة اليمن تعتبرها نواحي من حيث التقســيمات الادارية (٣) •

---

(١) Reilly, B .: Op. Cit., PP. 15, 16.

(٢) صلاح العقاد « دكتور » : جـزيرة العرب في العصر الحديث ، السعودية ـ اليمن ـ جمهورية اليمن الشعبية ، ص ١١٣ •

(٣) عبد الواسع الواسعي : تاريخ اليمن ، المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧ •

ويشير « سير برنارد رايلى » ــ الذى عمل مقيما سياسيا فى عدن فى الفترة الممتدة بين عـامى ١٩٣١ و ١٩٤٠ كما سـبق أن أشرنا ــ الى أن القبائل اليمنية كان من مصلحتها وضع نفسها تحت الحمـاية البريطانية للحفاظ على حريتها · ذلك لان هذه القبائل خضعت للعثمانيين أثناء فتحهم الأول لليمن « ١٥٣٨ ــ ١٦٣٥ » (١) ، ثم خضعت بعد ذلك لحكم ائمة صنعاء الزيديين غير المرغوب فيه من قبل الشوافع السنيين فى جنوب اليمن وفى سهول تهامه الواقعة بين الهضبة اليمنية والساحل الشرقى للبحر الأحمر · ولهذا فانهم خلعوا طاعتهم للأئمة الزيديين منذ مطلع القرن الثـامن عشر وأصبحوا مستقلين فى ديارهم · ولهذا توفرت لهم صلاحيات عقد معاهدات مباشرة مع السلطات البريطانية فى عدن · ويستطرد ــ رايلى ــ قائلا : انه أثناء القرن التاسع عشر والسنوات الاولى من القرن العشرين كان العـدو الأساسى فى منطقة جنوب الجزيرة العربية هو الأتراك العثمانيين الذين عادوا الى تهامة فى سنة ١٨٤٩ وسيطروا على اليمن وحولوها الى ولاية عثمانية فى سنة ١٨٧٢ بحيث أصبحوا مجاورين لمحمية عـدن البريطانية · والواقع أن البريطانيين نظروا فى بداية الأمر الى تحركات العثمانيين بعين الرضا تحسبا أن وجود سلطة مركزية شمالى منطقة نفوذهم فى جنوب اليمن ستكون أفضل من الأوضاع السابقة المشتتة (٢) · غير أن الأتراك العثمانيين تمسـكوا بالمطالبة النظرية بحقهم فى جنوب الجزيرة العربية وهى المنطقة التى تضم بينها عدن أيضا ، وقد جعل هذا الموقف البريطانيين يتلمسون مكامن خطـر الجار الجديد (٣) · على أن العثمانيين من الناحية العملية تقبلوا وجود الحماية البريطانية على النواحى المتاخمة لعدن ، وتعارف الجانبان العثمـانى والبريطانى على تسـميتها « بالنواحى التسع The Nine Cantons.

---

(١) السيد مصطفى سالم « دكتور » : الفتح العثمانى الأول لليمن « ١٥٣٨ ــ ١٦٣٥ » ·

(٢) F.O. 78/2755, Memorandum by Frere, June 1874.
Gavin, R. J. : Op. Cit., P. 137.

(٣) يقول « جافن » ان البريطانيين لم ينظروا الى وجـود العثمانيين فى اليمن على أنهم يشبهون قبيلة يتعاملون معهـا وفقا لمتطلبـات المواقف والأوضاع المحلية · لقد نظر البريطانيون الى العثمانيين على أنهم يشكلون قوة كبرى لها ارتباطاتها المعقدة بالدبلوماسية الأوربية · وهو ما تحقق بالفعل عندما تحالفت الدولة العثمانية مع دول وسط أوربا فى الحـرب العالمية الأولى ·

رغم أن عدد النواحي التى اتفق البريطانيون مع حكامهـــا قد فاقت هـذا العـدد (١) ٠

وقد بدا مفهوم « النواحي التسع » واضحا فى الخـــارطة السياسية للمنطقة المتاخمة لعدن بجنوبى اليمن والتى طلب البريطانيون من البـــاب العالى اعتبارها تحت نفوذهم مع عدم التدخل فى شئونها وذلك منذ مطلع عام ١٨٧٣ ، وقد تكونت النواحي التســـع فى تلك الخارطة من « العبـدلى ، والفضلى ، والعولقى ، واليـــافعى ، والحوشبى ، والأميرى ، والعلوى ، والعقربى ، والصبيحى » ٠ ورغم أنه من الناحيتين الاستراتيجية والاقتصادية كانت الامارات الثلاثة الهامة لحماية قاعدتهم فى عدن هى فقط « الفضلى » و « لحج » و « العقربى » ، الا أن المسألة فى النهاية أصبحت تخطيطا يخدم حاجة حليفتهم الكبرى « لحج » وليست حاجة عدن ٠ ولهذا كان الكيان الذى حدده البريطانيون « بتسع نواحى » بدلا من ثلاث ، هو فى الواقع تخطيـط سياسى لتعميق الوحدات الانفصالية الصغيرة التى انفصلت عن الحكم المركزى فى صنعاء فى القرن الثامن عشر لتصبح فى وحدة سياسية واحدة تحت النفوذ البريطانى (٢) ٠

وقد بقيت النواحي المحمية المتاخمة لعدن فى جنـوبى اليمن حتى عام ١٩٣٧ خاضعة لتنظيم ادارى بدائى تعسفى ٠ فقد تعددت السلطنات والامارات والمشيخات وتعددت معها المتناقضات وفقد عنصر الترابط والتجانس فيمـا بين الأنظمة السائدة هناك حينذاك ٠ كما كانت الأعراف القبليـــة وبعض القوانين المصطبغة بالشريعة الاســـلامية تســـيطر على الحيـــاة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات فى تلك النـــواحى ٠ وغالبا ما كان رؤساء القبائل يحتكرون وحدهم السلطة ، اذ لم تكن توجد ثمة هيئة تمثيلية لسكان تلك النواحى ٠ وهكذا كانت المؤسسات الاقطاعية والدينية كمجالس السلاطين ومجالس القبائل ومحاكم الشريعة هى التى تحكم هـذه المناطق ، ولم يكن هناك وزراء ولا ميزانية ولا دوائر اقتصادية أو اجتماعية ٠ وكان الحاكم يتمتع بسلطات مطلقة ، وكانت قوته أو ضعفه مرتبطين بدرجة دعم

---

(١) Reiliy, B. : Op. Cit, PP. 15, 16

تجدر الاشارة الى أن الساســـة البريطانيين فى وزارة المستعمرات البريطانية ظلوا يستفيدون من مشورة سير برنارد رايلى بالنسبة لليمن حتى وفاته ، ومن المعروف انه مثل الجانب البريطانى فى التوقيع على المعـــاهدة البريطانية اليمنية « معاهدة صنعاء » فى سنة ١٩٣٤ ونال لذلك ألقـــاب شرف كثيرة ، كما قام بزيارة عدن على رأس لجنة تحقيق « منع القات » التى أدى بتحقيقها الى رفع المنع ٠

(٢) Gavin, R. J. : Op. Cit., P. 143.

القبائل التى ينتسب اليها وولائها له • أما بالنسبة للمحكومين داخل هذه النواحي فقد كان مستواهم الأدنى ليس فيه سوى الفراغ الكامل تقريبا •

وتجدر الاشارة الى أن حكومة الهند البريطانية التزمت منذ احتلال بريطانيا لعدن فى التاسع عشر من يناير سنة ١٩٣٩ بعدم التدخل فى الشئون الادارية الداخلية للسلطنات والامارات والمشيخات المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن ، ولهذا لم يطرأ على الادارة المحلية أى تغيير يذكر • وفى سنة ١٩٢٧ بدأت الحكومة البريطانية فى لندن تهتم بتحسين هذا النظام الادارى لهذه النواحى حفاظا على مصالحها فى عدن نفسها • فبدأت بسحب اشراف حكومة بومباى • ثم بتغيير النظام الادارى للمحميات فى سنة ١٩٣٧ ، فأصبحت موزعة على وحدتين اداريتين تمثلتا فى المحمية الغربية من جهة . والمحمية الشرقية من جهة أخرى • ووضع على كل وحدة ادارية (معتمد) بريطانى يكون مسئولا مسؤولية مباشرة أمام «حاكم .Governor » عدن الذى جاء يخلف بدوره « المقيم السياسى Political Resident » هناك • واخذت بريطانيا تخطط الأقسام الادارية للنواحى التى أصبحت تابعة « لمستعمرة عدن » ، وان كانت تختلف بذلك اختلافا كبيرا عن محميات الخليج العربى التى كانت بريطانيا تسيطر عليها (١) • ومنذ أول ابريل سنة ١٩٣٧ ومع تحول عدن الى « مستعمرة تاج .Crown Colony » أصبحت تعرف هى والنواحى المتاخمة لها والتى انقسمت الى المحمية الغربية من جهة ، والمحمية الشرقية من جهة أخرى ، باسم « عدن ومحمياتها Aden and the Protectorate وبقيت على هذا الحال حتى تم ادخالها ضمن اطار كيان موحد عرف باسم « اتحاد الجنوب العربى » فى سنة ١٩٥٩ (٢) •

وقد قسمت المحمية الغربية الى خمس مناطق رئيسية . المنطقة الشمالية الشرقية وهى تضم امارة بيحان وسلطنة العوالق العليا ومشيخات العوالق العليا • والمنطقة الجنوبية الشرقية وتشتمل على سلطنتى العواذلى والعوالق السفلى واتحاد دثينه وهو اتحاد قبلى كان يجدد انتخاب رئيسه سنويا ، لذلك شبهه البعض بالجمهورية • والمنطقة الوسطى وتضم سلطنات الفضلى ويافع السفلى ويافع العليا • والمنطقة الجنوبية الغربية وهى تضم دولة واحدة وثلاث مشيخات : سلطنة لحج ومشيخات العقربى والعلوى والحوشبى • والمنطقة الشمالية الغربية وهى تضم امارة الضالع ومشيخات شعيب ومفلحى وردفان •

---

(١) صلاح العقاد « دكتور » + المصدر السابق ، ص ١١٤ •
(٢) محمد عمر الحبشى « دكتور » : المصدر السابق ، ص ٢٠-٢١•

أما الوحـــــدات الرئيسية فى المحمية الشرقية فهى سلطنات القعيطى والكثيرى والواحدى فى بير على وبلحاف واتحاد سلطنة المهـــرة . وتتفاوت هذه الوحدات تفاوتا كبيرا من حيث القوة وعدد السكان ، كما يختلف حكامها من حيث وضعهم الاجتماعى والسياسى . ومن أقدم الأسر الحـاكمة وأرقاها شأنا القعيطى والكثيرى فى حضرموت (١) ، وهى أقـــرب الأنظمة الى شكل الدولة القديمة وتتميز هذه الأسر بأنها تحتفظ بجند خاص وبعـــدد من الموظفين تدفع لهـــم مرتبات شهرية (٢) .

وقد أراد البريطانيون من التغييرات التى أحدثوها فى «عدن ومحميتها) سنة ١٩٣٧ أن يقووا من قبضتهم هناك . ولذلك اســـتبدلوا بنظام الحماية نظاما آخر أكثر فعالية هو نظام « الاستشارة » ، ذلك النظام الذى سمح لهم ببث « مستشاريهم » فى طول المحميات وعرضها الذين أصـبحوا فى الواقع الحكام الفعليين هناك . وقد وقع اختيار بريطانيا على ضباط سياسيين دهاة ليقوموا بهـــذا العمـــل « كانجرامز » فى « المحمية الشرقية » و سيجر . و «هاملتون»، و « ديفى » ، فى المحمية الغربية . وقد جاءت (اتفاقيات الاستشارة) لتحل محل (اتفاقيات الحماية) التى عقدتها بريطانيا مع السلاطين والأمراء والشـــيوخ حكام النواحى المتاخمه لعدن فى جنوبى اليمن . وقد الزمت (اتفاقيات الاستشارة) هؤلاء الحكام « بالتعاون » كاملا وبقبول « نصيحة »

---

(١) اتيحت لى فرصة زيارة ومشـاهدة قصر القعيطى فى المكلا وقصر الكثيرى فى سيئون بمنطقة حضرموت (المحافظة الخامســة بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية حاليـــا) أثناء اشـتراكى فى بعثة « المتخصصين فى الدراسات اليمنية بالجامعات المصرية » فى شهرى أبريل ومايو سنة ١٩٧٠ ، بناء على دعوة من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، للمشاركة فى وضع خطة لتجميع التراث اليمنى واقامة مكتبة وطنية فى عدن تضم أصول التراث من مخطوطات ووثائق . وقد اقترحت البعثة فى تقـريرها العـلمى أهمية الحفاظ على هذين القصرين بمحتوياتهما من سجلات وألبومات وأثاث نظرا لأهميتهما من الناحيتين الأثرية والتاريخية .

كما أتيحت لى الفرصة أيضا لزيارة ومشاهدة دور المستشارين البريطانيين فى حضرموت ، وبعض المكتبات العـامة والخاصة والموقوفة ، للاطلاع على ما فيها من مخطوطات ووثائق تضمنها تقرير البعثة .

(٢) صلاح العقاد (دكتور) : المصدر السابق ، ص ١١٤ ــ ١١٥ .

حاكم عدن البريطاني (١) غير انه لم يكن في عرف البريطانيين هناك أثنـاء تنفيذ هذه الاتفاقيات حدا واضحا بين « النصيحة » و « التوجيه » ٠

على آن نشاط البريطانيين لم يقتصر على آراضي « عدن ومحمياتها » التى تغطى النطاق الذى يضم النواحي التسع التى سبق آن أشرنا اليهـا ، بل انه امتد أيضا الى مناطق أخرى لا تدخل ضمن هـذا النطاق ، كمنطقة «شبوة» ٠ فقد احتلت هذه المنطقة قوة بريطانية بقيادة «هاملتون» ــ الذى عرف فيما بعد « لورد بلهافن Lord Belhaven. ــ لاحتمال وجـود البترول فيها ٠ وقد اعترف « هاملتون » نفسه بأنه احتل شبوة بالقوة على الرغم من عدم وجود أية معاهدة مكتوبة تخول للبريطانيين التدخـل فيهـا واحتلالها (٢) ٠ وتجدر الاشارة الى أن الامام يحيى الذى كان لا يملك القوة لرد العـدوان البريطاني من جهة ، كما كان قد عقد مع بريطانيا معاهدة الصداقة والتعاون المتبادل في الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٣٤ من جهة أخرى ، لم يستطع سوى ان يرسل رسالة طريفة الى ملك بريطانيا « جورج السادس » في التاسع والعشرين من يونيه سنة ١٩٣٩ جاء فيها : « وانى بكامل احترامى وتعظمى لذات جلالتكم المعظمة ، وبتمام تقـديرى لحكومة جلالتكم السنية ، ولشعبكم المنصف الكريم ، أرجو من جلالتكم تحقيق وتدقيق هذه المعاملة واصدار أوامركم العـادلة الى من يلزم بأن يتفضلوا باحترام

---

(١) صلاح البكرى : في جنوب الجزيرة العربية ، ص ٢١٦ ــ ٢١٩ ٠

أورد صلاح البكرى في كتابه نص « معاهدة الاستشارة » التى عقدت بين السـلطان صالح بن غالب القعيطى نيـابة عن حكومته وبين « السير برناردرايلى » حاكم عدن « والمستر انجرامز » بالنيابة عن الحكومة البريطانية في اليوم الثالث عشر من أغسطس سنة ١٩٣٧ ٠ وقد ألحقناها بالبحث كنموذج لمعاهدات الاستشارة التى عقدت مع حكام النواحي المتاخمة لعـدن بجنوبى اليمن في نهاية الثلاثينات من القرن الحالى ٠

(٢) Lord Belhaven : The Kingdom of Melchoir, P. 148.

كان هاملتون (لورد بلهافن فيما بعد) ضابطا سياسيا في محمية عدن الغربية في الثلاثينات من هذا القرن ٠ و «مملكة ملكيور » التى يعنون بها كتابه يعنى بها أرض العوالق اليمنية حيث لايزال يسكنها نسل « ملكيور » أنقى الأجناس البشرية دما ــ من وجهة نظره ٠ والكتاب عبارة عن وصف لرحلة قام بها ــ يوم كان ضابطا صغيرا بصحبة « الكولونيل ليك » ، مؤسس جيش محميات عدن ــ الى بيجان والعوالق ٠ وقد وصف فيه الحملة البريطانية التى قادها الى شبوه ضد عساكر الامام يحيى ، لاحتمال وجود البترول فيها ٠

شعبنا بلا جرح قلوب أمتنا » (١) • وكانت هده الرسالة رغم طرافتها جوهرا واسلوبا تعبر عن تمسك الامام يحيى بأن هذه المناطق التى ســيطر عليها البريطانيون فى جنوب اليمن ، انما تعتبر من وجهة نظره جزءا لا يتجزأ عن الأراضى اليمنية التى كان يحكمها فى الشطر الشمالى من اليمن ، وقد ظلت بالفعل موضع نزاع بين الامام يحيى وبريطانيــا فى فترة ما بين الحربين العالميتين على النحو الذى سنتناوله بالدراسة فى الصفحات التالية من هذا البحث •

---

(١) سلطان عبده ناجى : معالم تاريخ اليمن ، مجلة الثقافة الجديدة ـ عدن ـ العدد الثامن ـ السنة الأولى ـ يونيه ١٩٧١ ، ص ٣٨ •

ثالثـــا

بريطانيا والامام يحيى بين الحربين العالميتين

من أهم نتائج الحرب العالمية الأولى التى انعكست على اليمن فى فترة ما بين الحربين العالميتين حصولها على استقلالها فى المناطق التى كانت تتشكل منها ولاية اليمن العثمانية بانسحاب الأتراك العثمانيين منها فى مطلع سنة ١٩١٩ تنفيذا لهدنة « موندروس .Mudurs المعقودة فى اليوم الثلاثين من أكتوبر سنة ١٩١٨ (١) والتى نصت على انسحاب القوات العسكرية والادارة المدنية العثمانية من شبه الجزيرة العربية (٢) • وقد اختلف بذلك مركز الامام يحيى فى الشطر الشمالى من اليمن عما كان عليه من قبل أثناء خضوع اليمن للحكم العثمانى حتى مطلع سنة ١٩١٩ • اذ كان يمارس فى نطاق مكانى محدود ـ فيما حول مدينة صعدة بشـــمالى اليمن منذ توليه الامامة الزيدية فى ســـنة ١٩٠٤ ـ ســـلطة ذات طابع دينى مذهبى على أتبـــاعه الزيديين (٣) • ثم أصبح يمارس بعد جلاء العثمانيين عن بلاده فى مطلع سنة ١٩١٩ ـ الى جانب سلطاته الدينية المذهبية ـ سلطاته كملك لدولة ذات سيادة وهى « المملكة اليمنية المتوكلية » •

وقد وجد الامام يحيى نفســه فى مواجهة مبـــاشرة مع البريطانيين المتمركزين فى عـــدن فى جنوب بلاده ، والذين كانت تربطهم بالنواحى المتاخمة لها معاهدات حماية عقدت بينهم وبين حكام تلك النواحى عقب عودة الأتراك العثمانيين الى اليمن ونجاحهم فى اقامة حكمهم فى صنعاء فى السادس والعشرين من أبريل سنة ١٨٧٢ (٤) • وقد بلغ عدد هذه المعاهدات احدى وثلاثين معاهدة للحماية غطت الجانبين الغربى والشرقى لمحمية عدن ـ على النحو الذى سبق أن أشرنا اليه • وقد نتج عن ذلك أن أصبحت معظم أجزاء اليمن فى الفترة المدة بين عامى ١٨٧٢ و ١٩١٨ منطقتى نفوذ للبريطانيين المتمركزين فى عدن فى الجنوب من جهة ، وللعثمانيين المتمركزين فى صنعاء

---

(١) Reilly, B. : Op. Cit., P. 16

(٢) Bremond, E. : Op. Cit., P. 84.

(٣) السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، اليمن والامام يحيى ١٩٠٤ ـ ١٩٤٨ ، ص ٦٧ •

(٤) فاروق عثمان أباظه (دكتـــور) : الحكم العثمـــانى فى اليمن ١٨٧٢ ـ ١٩١٨ ، ص ٩٠ •

فى الشـــمال من جهة أخرى • مما أثار بطبيعة الحال عدة مشكلات حول تحديد الحدود بين منطقتى نفوذ الجانبين • ومن خلال البروتوكولات التى عقدت بين بريطانيا والدولة العثمانية فى الفترة الممتدة بين عامى ١٩٠٢ و ١٩٠٥ توصل الجانبان الى عقد اتفاقية سويت فيها مشاكل الحدود بين منطقتى نفوذهما داخل اليمن فى شهر مارس سنة ١٩١٤ (١) ، قبيل قيام الحرب العالمية الأولى • ورغم أن هذه الاتفاقية قد أقرت ـ بصفة مؤقتة ـ تسوية مشاكل الحدود بين منطقتى نفوذ البريطانيين والعثمانيين داخل اليمن ، فان العثمانيين كانوا يتمسكون بالسيادة النظرية لهم على اليمن بأكملها منذ سيطرتهم عليها لأول مرة فى الفترة الممتدة بين عامى ١٥٣٨ و ١٦٣٥ ، وان كانوا يعترفون من الناحية العملية ـ وبناء على اتفاقية الحدود المشار اليها (٢) ـ بخضوع النواحى التسع المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن « للحماية البريطانية » • وهكذا ارتضى الجانبان البريطانى والعثمانى حدودا معينة تنظمها اتفاقية كان من مساوئها أنها أغفلت جانب اليمنيين أصحاب البلاد الذين لم يعترفوا باتفاقية شطرت بلادهم الى شطرين ، والذين أصبح يمثلهم الامام يحيى بعد جلاء العثمانيين عن بلاده فى مطلع عام ١٩١٩ • وكان رفض اليمنيين لهذه الاتفـاقية مسـتندا الى أنها عقـدت بين مغتصبين للأراضى اليمنية (٣) •

وتجدر الاشارة الى أن أسباب الاتفاق بين الدولة العثمانية وبريطانيا على تحديد الحدود بين منطقتى نفوذهما فى اليمن قبيل قيام الحرب العالمية الأولى انما ترجع الى أن الدولة العثمانية كانت قد تعرضت فى الفترة التى صاحبت وأعقبت عقد الصلح بينها وبين الامام يحيى فى سنة ١٩١١ لأزمات عصيبة متتالية • كان أولها الحرب الطرابلسية مع ايطاليا التى نشبت فى نفس السنة والتى رجحت فى نهايتها كفة ايطاليا وانحسر النفوذ العثمانى

---

(١) Aitechison, C.U. : A Collection of Treaties, Engagements and Sanads Relating to India and the Neighbouring Countries, Vol. XI, P. 42.

(٢) محمد محمود السروجى (دكتور) : موقف بريطانيا فى البحر الأحمر فى الحرب العالمية الأولى ، مجلة دارة الملك عبد العزيز ، العدد الثانى ، السنة السادسة ، ربيع أول ١٤٠١ ، يناير ١٩٨١ ص ٧٢ •

(٣) مازال خط الحدود الذى اتفق عليه الجانبان البريطانى والعثمانى فى سنة ١٩١٤ يشكل خط الحدود الفاصل بين الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية حتى وقتنا الحاضر •

نهائيا عن طرابلس الغرب • وكان ثانيها الحرب البلقانية فى سنة ١٩١٢ • التى انتهت بخروج الولايات البلقانية من ممتلكات الدولة العثمانية بعد أن تكبد الترك خسـائر فادحة • أما ثالث هذه الأزمات فقد تبلور فى اقتناع الدول الأوربية وعلى رأسها بريطانيا بضرورة اتباع سياسة جديدة لحـل « المسألة الشرقية » ، وذلك بالاتفاق على تحديد مناطق نفوذ كل منها فى البلاد العثمانية استعدادا واحتسابا لليوم الذى يصبح فيه اقتسام الامبراطورية العثمانية المنهارة أمرا محتوما ، حتى لا يتعرض الجميع فجأة لكارثة خطيرة اذا نشبت المنافسة بينهم • وكانت كل دولة من الدول الأوربية الكبرى تطمع فى امتلاك بعض الأقطار من الممالك العثمانية ، وهذه المطامع كانت تتعارض وتتصادم فى معظم تلك الأقطار • وكانت كل دولة تتمسك بموقفها تمسكا شديدا ، فلا تتنازل عن شىء من مطامعها ترضيه لمنافساتها • ومع ذلك ، لم تكن هذه الدول تجد لزوما للتعجيل فى حل الأمور ، بل كانت تكتفى بالعمل على توسيع نفوذها ، انتظارا لحلول الفرص المواتية لتحقيق مطامعها بكاملها• وكانت بريطانيا من أولى الدول التى تؤمن بذلك وتحرص على تحامية الدولة العثمانية حتى تحين الفرصة المناسبة ليكون لها النصيب الأوفى •

ويوضح حافظ وهبه بايجاز حقيقة مركز الدولة العثمانية فى العالم العربى قبيل قيام الحرب العالمية الأولى بقوله « كان احتـلال تركيا الفعلى موجودا فقط فى العراق ، وسوريا ، وفلسطين ، ومكة ، والمدينة ، ومدن الحجاز الساحلية ، وشاطىء عسير ، واليمن ، ولكن النفوذ الأجنبى القوى كان يتسرب الى هذه البلاد ، فلم يبق للحكومة كبير احترام فى نفوس رعاياها. أما الجزء الشرقى الجنوبى من بلاد العرب من الكويت الى عدن فلم يكن للأتراك سلطة يعتد بها ، بل كان النفوذ الانجليزى متغلبا ، ولو أنه لم يكن مباشرا الا فى عدن » (١) •

وعندما أنهكت الحروب الطرابلسية والبلقانية قوى الدولة العثمانية رأى ساسة أوربا ومن بينهم ساسة البريطانيين وجوب التعجيل بالاتفاق على تقسيم ممتلكات الدولة بعد أن اعتقدوا أن عمرها لن يطول كثيرا • كما أن خروج الولايات الأوربية من حوزة السـلطنة العثمانية غير تركيبها الداخلى تغييرا جذريا جعل من المستحيل عليها أن تبقى على حالتها السابقة طويلا • وكان لابد أن ينتج عن ذلك صعوبات وأزمات جديـدة قد تؤدى الى انهيار السلطنة بصورة فجائية تثير حربا كبرى بين الدول الأوربية التى تنتظر سقوط « الرجل المريض » لتنقض على أملاكه • بل ان رجال الحكومة العثمانية أيضا أدركوا وجوب تسوية المسائل المعلقة بين دولتهم وبين الدول الأوربية

(١) حافظ وهبه : جزيرة العرب فى القرن العشرين ، ص ١٧٠ •

حتى يصونوا بلادهم من خطر الاضمحلال . وكان حقى باشا ـ الذى شغل مناصب وزارة الخارجية فالصـــدارة العظمى ـ على رأس القائلين بذلك والداعين الى اتباع « سياسة التمويه » للوصول الى اتفاق مع الدول الأوربية ، وعلى الأخص مع بريطانيا (١) .

ولهذه الأســباب مجتمعة بدأت سلسلة من المفاوضات بين الحكومة العثمانية وكل من روسيا ، وفرنسا ، وبريطانيا ، وألمانيا . كما تقدمت ايطاليا بعد ذلك ببعض المطالب ودخلت فى المفاوضات التى جرت فى جو ملائم للتسوية وانتهت بالتوقيع على عدة اتفاقيات . وقد كانت هذه الاتفاقيات جميعها سرية فلم تذع حين عقدها ، بل ان الأتراك أنفسهم لم يذيعوها الا فى سنة ١٩٥١ ، عندما خصص « يوسف حكمت بابور » أحد مجلدات كتابه عن « تاريخ الانقلاب التركى » لبحث هذه المفاوضات والاتفاقيات ، مستندا الى محفوظات وزارة الخارجية التركية (٢) . وقد تولى حقى باشا المفاوضات مع البريطانيين فى لنـدن ومثل بلاده هناك . وقد نجمت عن هذه المفاوضات مجموعة من الاتفاقيات مع عدة بيانات تم التوقيع عليها فى تواريخ مختلفة فى عامى ١٩١٣ و ١٩١٤ ، ويهمنا منها بشكل مباشر « اتفاقية المحميات وحضر موت » ، وهى الاتفاقية التى عقدت بين الحكومتين العثمانية والبريطانية لتحديد الحدود بين منطقتى نفوذهما فى الأراضى اليمنية . وقد وقع على هذه الاتفاقية كل من ابراهيم حقى باشــا عن الدولة العثمانية ، « ســير ادوارد جراى » عن بريطانيا فى اليوم التاســع من مارس سـنة ١٩١٤ (٣) . وهى تتضمن البنود التالية :

أولا ـ وافق الطـــرفان على تثبيت البـــروتوكولات التى وقعها المبعوثون البريطانيون والعثمانيون فى أعوام ١٩٠٣ ، ١٩٠٤ ، و ١٩٠٥ .

ثانيا ـ وافق الطرفان على أنه اثباتا لما تعهدا به فى القسم الأول من البروتوكول المؤرخ فى ٢٠ ابريل سنة ١٩٠٥ ، يصرح امبراطور العثمانيين بأنه لن يتنازل بأى وجه من الوجوه عن الأرض التى تبلغ مساحتها نحـو

---

(١) ساطع الحصرى : البـلاد العربية والدولة العثمانية ، ط ٧ ،ص ١ ـ ٢ ـ ٣ .

(٢) نشر هذا المجلد فى سنة ١٩٥١ بين مطبوعات « لجنة التــاريخ التركى » ويقع فى ٥١٢ صفحة من القطع الكبيرة .

(٣) ســيتون ولمز ، م٠ف . : بريطانيا والدول العربية ـ عرض للعلاقات الانجليزية العربية (١٩٢٠ ـ ١٩٤٨) ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

٥٥٠ ميلا مربعا انكليزيا والملاصقة لجبل نعمان ـ حصن مراد ـ والواقعة ضمن حدود مقاطعة صبيحة القديمة ·

ثالثا ـ وافق الطرفان على أن تكون حدود الأراضي العثمانية تتبع خطا مستقيما يبدأ من « أكمة الشوب » متجها للشمال الشرقي نحو صحراء الربع الخالي بانحراف ٤٥ درجة ، وهذا الخط يلتقي في الربع الخالي على الخط الموازي لدرجة ٢٠ من الخط المستقيم المتجه مباشرة نحو الجنوب المبتدىء من نقطة واقعة على الشاطىء الجنوبي من خليج « عجير » فاصلا الأراضي العثمانية من سنجق نجد وأرض قطر وفقا للمادة الثانية من الاتفاقية الانكليزية العثمانية والخاصة بالخليج « الفارسي » والمناطق المجاورة له المؤرخة في ٢٩ يوليو سنة ١٩١٣ ·

رابعا ـ تخلت الدولة العثمانية عن كل ما كان لها من حقوق ومطالب في حضرموت » (١) ·

وعقب التوقيع على هذه الاتفاقية في التاريخ المذكور تم التصديق عليها في لندن في اليوم الثالث من يونية سنة ١٩١٤ (٢) · ويلاحظ أن الدولة العثمانية اعترفت بحماية بريطانيا للنواحي التسع المتاخمة لعدن بجنوبي اليمن، وتخلت عن المطالب المتعلقة بحضرموت ، كما وافقت على تحديد الحدود بين منطقتي النفوذ العثماني والبريطاني في الأراضي اليمنية (٣) ·

وتجدر الاشارة الى أن اليمنيين لم يعترفوا بهذه الاتفاقية التي لم يشتركوا فيها والتي استغل فيها البريطانيون كعادتهم ضعف الدولة العثمانية عقب الحربين التي خاضتهما مع ايطاليا في سنة ١٩١١ ومع دول البلقان في سنة ١٩١٢ فحملوها بأساليبهم على توقيع هذه الاتفاقية التي تنازلت فيها عن حقوق الشعب اليمني التي كانت في حوزتها أثناء فترة الحكم العثماني في اليمن · بل ان العثمانيين أنفسهم شعروا بما في هذه المفاوضات والاتفاقيات من مساس بحقوق السيادة العثمانية ، غير أنهم حاولوا أن يعالجوا الأمر بصورة غريبة

---

(١) Aitchison, C. U. : Op. Cit., Vol. XI., P. 42.

(٢) أمين سعيد : اليمن ، تاريخه السياسي منذ استقلاله في القرن الثالث الهجري ، أنظر النص المترجم الاتفاقية ص ١٥٤ ـ ١٥٩ ·

(٣) British Documents on the Origins of the war 1898 — 1914. Edited by G.B. Gooch, D., Litt. F.B.A. and Harold Temperly, Litt. D.F. B.A., Vol. X., Part II, No 211, PP. 340, 341.

عندما كتب الصدر الأعظم سعيد حليم باشا فى احدى رسائله الرسمية : « ان المفاوضات التى تجرى بين الدول الأوربية حول الأمور التى تتعلق ببلادنا تخل بحقوق سيادتنا اخلالا كليا ، ولذلك يجب علينا ألا نتبلغ نتائج تلك المفاوضات، بل يجب علينا أن نتجاهلها تماما » • غير أن تجاهل رجال السلطنة العثمانية لهذه المفاوضات لم يكن ليغير شيئا من حقائق الأمور ، لأن مفاوضات الدول الأوربية فيما بينها كانت توجه المفاوضات التى تجرى بين الدولة العثمانية وبين كل واحدة من تلك الدول • وقد ذكر « يوسف حكمت بابور » فى مؤلفه المشار اليه أن تجاهل العثمانيين للمفاوضات المذكورة يشبه « عمل النعامة التى تدفن رأسها فى الرمال وتتوهم بأنها خفيت عن الأبصـــار » • وقد وضعت هذه الاتفاقيات « أسس اقتسام آسيا العثمانية من الوجهتين الاقتصادية والسياسية » ورسمت خطوط اقتسامها بصورة فعلية ، مما جعل ساطع الحصرى يقول : « ان أسس اقتسام البلاد العربية ــ التابعة للدول العثمانية ــ كانت قد تقررت قبل الحرب العالمية الأولى ، تحت علم الحكومة العثمانية نفسها » (١) •

وجدير بالذكر أنه فى أعقاب جلاء العثمانيين عن اليمن فى نهاية الحرب العالمية الأولى كتب الامام يحيى الى السلطات البريطانية فى عدن بأنه لم يعترف باحتلال العثمانيين لليمن ، وأنه بالتالى لا يعترف ولن يلتزم بالمعاهدات التى عقدوها مع بريطانيا (٢) • وقد أكد الامام أن كل هذه الأقاليم اليمنية كان يحكمها أسلافه قبل مجيء العثمانيين والبريطانيين اليها وأنه الوريث الشرعى لكل تلك المناطق • وقد اعتبر الامام يحيى أن الاحتلال العثمانى والبريطانى لبعض مناطق اليمن أمر غير شرعى ، وأن الحدود المشار اليها غير معترف بها نظرا لأنها وضعت بمعرفة جانبين مغتصبين ، وأن سيطرته على بعض مناطق النفوذ البريطانى فى جنوب اليمن انما هو استرجاع لأملاكه السليبة (٣) •

ولكن بريطانيا كانت لها وجهة نظر مخالفة لوجهة النظر اليمنية التى أبداها الامام يحيى ، كما أنها قدمت حججا مقابل الحجج التى أوضحها • اذ رأت بريطانيا ان أملاك الأمة الزيديين قبل القرن السابع عشر كانت محصورة فى المنطقة المحيطة « بصعدة » فى الجزء الشمالى من الهضبة اليمنية • كما أنها رأت أن نفوذ الأئمة الزيديين وسلطتهم لم تكن فعالة على الاطلاق عندما كان ميدان اليمن بأكمله خاليا أمامهم منذ منتصف القرن السابع عشر وطوال القرن

---

(١) ساطع الحصرى : المصدر السابق ، ص ٢٠٣ ــ ٢٢٧ •

(٢) Jacob., H.F. : Op. Cit., P. 242.

(٣) سيتون وليمز ، م•ف• : المصدر السابق ، ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣ •

الثامن عشر (١) . هذا فضلا عن أن السلطة التى أسسها الأئمة كانت عوامل الانهيار قد اعترتها قبل ظهور بريطانيا على مسرح الأحداث اليمنية بشـــكل واضح منذ احتلالها لعدن فى سنة ١٨٣٩ ، وقبل عودة الأتراك العثمانيين الى اليمن فى سنة ١٨٤٩ (٢) بناء على استنجاد بعض الزعماء اليمنيين الذين كانوا يأملون فى استقرار الأمور على أيدى العثمانيين بعد أن عمت الفوضى أرجاء البــــلاد نتيجة تنافس الأئمة وتصارعهم طمعا فى الاستئثار بالامامة (٣) . وأخيرا كان البريطانيون يحتجون بأن المذهب الزيدى الذى يقبل اتباعه حكم الأئمة الزيديين ليس سائدا فى كل أرجاء اليمن ، وأن ثمة مذاهب أخرى عديدة يؤمن بها جزء كبير من الشعب اليمنى ، ولا يرتضون الخضوع لحكم الأئمة الزيديين ولا يقبلون ذلك الا كرها . ولعل رأى « سير برنارد رايلى » يكمل وجهة نظر بريطانيا فى هذا الموضوع ، فهو يعتبر أن موقف الامام يحيى مناقض للقانون الدولى ذلك لأنه بصفته وريثا للدولة العثمانية فى اليمن عليه أن يلتزم بالاتفاق العثمانى البريطانى بخصوص تحديد حدود « المحميات » . ولهذا يعتبر الامام من وجهة النظر البريطانية فى موقف المعتدى عندما هاجم «الضالع» فى سنة ١٩٢٠ ، و « البيضا » فى سنة ١٩٢٣ ، و « العوذلى العليا » فى سنة ١٩٢٤ ، و « العوذلى السفلى » فى سنة ١٩٢٦ بعد أن تم جلاء العثمانيين عن اليمن فى مطلع عام ١٩١٩ (٤) .

وقد حرصت بريطانيا دائما أن تتخذ من الاتفاقية التى عقدت بينها وبين الدولة العثمانية بشأن تحديد الحدود بين منطقتى نفوذ كل منهما فى جنوبى اليمن فى سنة ١٩١٤ سندا تتمسك به لابقاء تلك الحدود المتفق عليها على ما هى عليه . ذلك لأن بريطانيا كانت تحرص كل الحرص على جعل المنطقة المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن خالية من كل نفوذ أجنبى يهدد وجودها فى عدن نفسها . وكانت عدن مركزا لتموين السفن البريطانية ، كما كانت مركزا لتأمين الطريق البحرى الهام الى الهند والشرق الأقصى . وقد بلغ الأمر ببريطانيا أن اعتبرت أى نفوذ عربى يمتد من داخل اليمن صوب عدن نفوذا أجنبيا يستحق المقاومة وخاصة بعد المحاولات العربية لاخراج البريطانيين من عدن فى الفترة التى أعقبت سيطرتهم عليها فى اليوم التاسع عشر من يناير سنة ١٨٣٩ ، وبعد

---

(١) السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، ط ٢ ، ص ٢٩٤ .

(٢) Hogarth, D.G. : Arabia, P. 111.

(٣) Scott, H. : In the High Yemen, P. 228.

(٤) Reilly, B. : Op. Cit., PP. 16, 17.

التجربة المريرة التى مرت بها بريطانيا فى الخامس من يولية سنة ١٩١٥ ، عندما هاجم العثمانيون النواحى الخاضعة لحمايتهم فى جنوب اليمن وسيطروا على لحج وطرقوا أبواب عدن نفسها ، فى الوقت الذى كانت فيه بريطانيا مشغولة فى الميادين الأخرى العديدة أثناء الحرب العالمية الأولى (١) ٠

وقد واجه البريطانيون فى بداية الحرب العالمية الأولى محاولات العثمانيين – بعد انضمامهم الى جانب دول وسط أوربا – لاجتذاب حكام النواحى التسع المتاخمة لعدن فى جنوب اليمن للوقوف معهم ضد بريطانيا وحلفائها دون جدوى ٠ كما حاول البريطانيون من جانبهم الابقاء على ولاء سلاطين هذه النواحى ومشايخها مؤكدين لهم خطأ دخول الدولة العثمانية تلك الحرب ضدهم ٠ بل انهم حاولوا أن يقنعوهم بعدم وجود أية أغراض عدائية لدى بريطانيا ضد العرب عموما ، وأصدروا منشورات عدائية بهذا المعنى أكدوا فيها احترامهم للأماكن الاسلامية المقدسة ٠ وكان لسلطان لحج دور كبير فى اقناع سلاطين النواحى التسع ومشايخها بحسن نية بريطانيا لا سيما وأنه كان يتمتع هو وأسرته بينهم بمكانة رفيعة واحترام عظيم (٢) ٠ كما كان لصداقة سلطان لحج مع الامام يحيى أبلغ الأثر فى تحديد موقف الامام المهادن لبريطانيا ، وان عزى ذلك الى حرص الامام على عدم اقحام نفسه فى تلك الحرب التى ليس له فيها ناقة ولا جمل ، وترقبا من جانبه لما يمكن أن تسفر عنه من أمور تساعده على تعزيز مركزه فى بلاده (٣) ٠

وكان موقف بعض أهالى عدن ازاء البريطانيين قد اتصف بالتأييد والمساعدة مما كان له أكبر الأثر فى نشر دعاياتهم فى النواحى المتاخمة لعدن ، وتأييد معظم سلاطينها ومشايخها للسياسة البريطانية ٠ وقد ذكر « هارولد جاكوب » المساعد الأول للمقيم السياسى البريطانى فى عدن حينذاك أنه ليس أدل على ذلك من مهاجمة السيد عبد الله عيدروس قاضى عدن وشيخها الأكبر للدولة العثمانية عندما ذكر هذا السيد أن العثمانيين أقحموا أنفسهم فى حرب ضد بريطانيا التى وصفها بقوله : « الصديق الحميم للمسلمين ، الصديق الذى طالما قدم المعونة للباب العالى » ٠ كما قال « جاكوب » أن السيد عبد الله عيدروس هذا قد أكد أن حكومة عدن البريطانية « أحسن وأعدل حكومة عملت من أجل الاسلام ، وأنهم (أى أهالى عدن اليمنيين) أصدقاؤها منذ احتلالها

---

(١) أمين الريحانى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٦٦ ٠

(٢) أحمد فضل العبدلى : هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ٢٢٩ – ٢٣١ ٠

(٣) Jacob, H. F. : Op. Cit., P. 161.

لعدن فى سنة ١٨٣٩ » (١) • وواضح أن التحيز واضح فى رواية «جاكوب» هذه مما يجعلنا نميـــل الى القول بأن بعض سكان عدن هم الذين أيدوا هذا الاتجاه ضد دولة الخلافة العثمانية وهؤلاء البعض ممن اتفقت مصالحهم الشخصية مع أهواء بريطانيا • ويؤكد ذلك أن بعض حكام النواحي المتاخمة لعدن بجنوبى اليمن سرعان ما غيروا موقفهم هذا من بريطانيا بعد أن دخلوا تحت طائلة الترك الذين جثمت قواتهم العثمانية فوق أراضيهم • بينما كان موقف البريطانيين فى عدن متميعا سلبيا ، ذلك لأن القوة البريطانية هنـــاك كانت غير قادرة على الوفاء بالتزامات بريطانيا ازاء النواحى المحمية (٢) ، بدليل تراجعها أمام القوات العثمـانية التى كانت اسـتولت على مدينـة « الشــيخ عثمان » الواقعة شــمالى عدن (٣) ، ولم يتمكن البريطانيون من استعادة هذه المدينة من أيدى الأتراك فى الحادى والعشرين من أبريل ســنة ١٩١٥ الا بعد أن وصلت اليهم نجدة من مصر قوامهـــا فرقة هندية أرسلها « الجنرال مكسويل » القائد البريطانى العام فى القاهرة للمشاركة فى الدفاع عن عدن (٤) • وكانت حكومة عدن قد استنجدت فى نفس الوقت بالفرنسيين فى جيبوتى ، وقد أمدوها بقوة قوامها ثمانمائة جندى حاميتها فى مدغشقر (٥)•

وبعد أن استرجعت بريطانيا مدينة «الشيخ عثمان» فان العمليات الحربية فى جنوب اليمن بين العثمانيين والبريطانيين فى الفترة الباقيـة من الحرب العالمية الأولى لم تتعد المناوشات بن الجانبين ، وكـــان يعقبها الانسحاب الى المراكز الأصلية • وعلى الرغم من قلة أهمية تلك العمليات الحربية فى حـد ذاتها الا أن كلا الجانبين العثمانى والبريطانى حرصا على ابقاء قوات لابأس بها هناك لتقف كل منها فى وجه الآخرى لصد أى هجوم مفاجىء • حقيقة أن الجانبين كان يمكنهما أن يستفيدا بقواتهما هذه فى الميادين الأخرى العديدة للحرب الكبرى آنذاك ، غير أن طبيعة الموقف فى اليمن اقتضت بقـاء قوات الجانبين العثمانى والبريطانى هناك فى مواجهة صامتة • على أن العثمانيين كانت لديهم جبهة أخرى مفتوحة فى شمال اليمن يحاربون فيها الادارسة فى عسير • وكان البريطانيون قد اســتقطبوا الى جانبهم محمد الادريسى فى

---

(١) Jacob, H. F. : Op. Cit., P. 162.

(٢) أمين الريحانى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٦٦ •

(٣) Scott, H. : Op. Cit., P. 230

(٤) أحمد فضل العبدلى : المصدر السابق ، ص ٢٢١ •

(٥) Jacob, H.F. : Op. Cit., P. 169.

عسير وعقدوا معاهدة معه فى الثلاثين من أبريل سنة ١٩١٥(١) أمدوه بموجبها بالأسلحة والذخائر والمؤن المختلفة ليواصل الحرب التى بدأها ضد الأتراك العثمانيين منذ تحالفه مع ايطاليا أثناء الحرب الطرابلسية فى عامى ١٩١١ و ١٩١٢ (٢) . ولهذا فان الأسطول البريطانى كان يساند تحركات الادارسة ضد العثمانيين وبخاصة فى المناطق الساحلية أثناء الحرب العالمية الاولى (٣). وقد استمرت هذه الأوضاع على ما هى عليه دون تغيير جوهرى فى الموقف المتوازن للبريطانيين والعثمانيين فى اليمن طوال الفترة الباقية من سنى الحرب العالمية الأولى ، نتج عنه تقارب بين قوات الجانبين فرضه الموقف المتجمد والمنعزل داخل اليمن من جهة ، كما فرضته مطالب الحياة الضرورية والحاجة الى تسيير قوافل التجارة اليمنية بين منطقتى نفوذ الجانبين من جهة أخرى . وقد بالغ أمين الريحانى فى وصف هذا التقارب والتعاون بين البريطانيين والعثمانيين فى اليمن آنذاك بأنه كان أشبه بصلح عقد بين دول الوفاق ودول الوسط أو بالأحرى بين ممثليهم فى اليمن قبل انتهاء الحرب الكبرى الأولى بعامين كاملين (٤) . على أن هذا الموقف المتجمد فى اليمن انتهى باعلان اتفاقية « مودروس .Mudrus فى الثلاثين من أكتوبر سنة ١٩١٨ ، والتى نصت على انسحاب القوات العسكرية والادارة المدنية العثمانية من شبه الجزيرة العربية (٥) .

وقد أسفر انتهاء الحرب العالمية الأولى عن ظهور عدة قوى متصارعة فى اليمن بعد جلاء العثمانيين عنها فى مطلع عام ١٩١٩ . وقد تمثلت هذه القوى فى الامام يحيى الذى بدأ يتحرك من شمالى الهضبة اليمنية ليبسط سيطرته على اليمن باعتباره الوريث الشرعى لحكم الأتراك العثمانيين هناك . غير أن تحركه هذا أدى الى اصطدامه بالقوى الأخرى الموجودة آنذاك فى الساحة اليمنية ، والتى تمثلت فى محمد الادريسى فى عسير من ناحية الشمال ، وفى البريطانيين فى عدن والنوحى التسع — المحمية من قبلهم — من ناحية الجنوب . وقد احتدم النزاع بين الامام يحيى ومحمد الادريسى حول

---

(١) Hurewitz, J.C. : Diplomacy in the Near and Middle East. Vol. 2, P. 12.

(٢) فاروق عثمان أباظه (دكتور) : سياسة بريطانيا فى عسير أثناء الحرب العالمية الأولى . ص ٢٥ .

(٣) محمد بن أحمد عيسى العقيلى : تاريخ المخلاف السليمانى أو الجنوب العربى فى التاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٠٩ .

(٤) أمين الريحانى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ .

(٥) Bremond, E. : Op. Cit., P. 84.

تقرير مصير منطقة عسير التى كان يعتبرها الامام يحيى جزءا من ممتلكاته، وانها كانت تابعة من قبل لأجداده من الأئمة الزيديين • وكانت قوة الادريسى قـد بدت أثناء صراعه مع الوجود العثمانى فى عسير منذ تحالفه مع ايطاليا لاشغال العثمانيين عن الهجوم الايطالى على طرابلس الغرب فى سنة ١٩١١ . مما جعل ايطاليا تزوده بالأموال والسلاح لتحقيق تلك الغاية • كما تحالف الادريسى مع بريطانيا للقيام بنفس الدور ضد الوجود العثمانى المعـادى لها أثناء الحرب العالمية الأولى على النحو الذى أشرنا اليه •

ورغم أن الامام يحيى والادريسى كانا يقفان فى معسكر واحد مضاد للوجود العثمانى فى اليمن قبيل اتفاق الامام يحيى مع العثمانيين بعقد صلح دعان فى سنة ١٩١١ ، فقد افترق الرفيقان بعد ذلك ليستمر الادريسى على عدائه للأتراك ، فى الوقت الذى آثر فيه الامام يحيى عقد صلح مع العثمانيين الذين قبلوا أن يعترفوا بمكانته فى شمالى الهضبة اليمنية بين أتباعه الزيديين حتى يتفرغوا للجبهات الأخرى فى طرابلس الغرب وفى بلاد البلقان ، وقنع الامام بأن هذا الصلح مع الدولة العثمانية سيدعم مركزه تمهيدا لأن يرث حكمهم اذا ما تم جلاؤهم نهائيا عن بلاده • وقد استمر الامام يحافظ على موقفه السلمى مع العثمانيين أثناء الحرب العالمية الأولى حتى شارفت هذه الحرب على نهايتها • وقد سلم له العثمانيون فى نهاية الحرب العاصمة صنعاء فى مطلع عام ١٩١٩ ، كما قدموا اليه كل ما كان تحت أيديهم من أسلحة وذخائر ، بل وظل بعضهم يعملون فى خدمته مفضلين ذلك عن العودة الى بلادهم • ومن هنا شرع الامام يحيى فى بسط نفوذه على كل المناطق التى كانت تشكل ولاية اليمن العثمانية ، مما جعله يصطدم ــ كما أشرنا ــ بالادريسى فى الشمال وبالبريطانيين فى الجنوب •

حدث ذلك فى الوقت الذى كانت بريطانيا تعتبر نفسها فيه صاحبة حق فى عدن منذ احتلالها فى سنة ١٨٣٩ ، وفى النواحى التسع المتاخمة لها فى جنوب اليمن والتى ارتبطت معها بمعاهدات الحماية ــ التى أشرنا اليها ــ كما أن بريطانيا تمسكت بخط الحـدود الذى حددته الاتفاقية العثمانية البريطانية التى عقدت فى التاسع من مارس سنة ١٩١٤ (١) ، وهى الاتفاقية التى اعترفت أيضا بالوجود البريطانى فى جنوب اليمن (٢) • غير أن قيام الحرب العالمية الأولى قد أدى الى خرق العثمانيين لخط الحدود المشار اليه عندما

---

(١) فاروق عثمـان أباظه (دكتور) : الحكم العثمـانى فى اليمن ص ٤٧٥ ــ ٤٧٨ •

(٢) محمد محمود السروجى (دكتور) المصدر السابق ص ٧٢ •

هاجموا النواحى المحمية فى جنوب اليمن واحتلوا لحج (١) وطرقوا أبواب عدن نفسها بمهاجمتهم لمدينة « الشيخ عثمان » التى استعادها البريطانيون منهم فى الحادى والعشرين من أبريل سنة ١٩١٥ (٢) بعد أن تم تعزيز قواتهم هناك على النحو الذى سبق أن أشرنا اليه · وباعلان هدنة « موندروس » فى الثلاثين من أكتوبر سنة ١٩٤٨ ، فقد تولت بريطانيا باسم دول الوفاق اخراج الاتراك العثمانيين من الجهات التى يحتلونها فى اليمن ، مما جعلها تحتل ميناءى الحديدة واللحية عقب جلاء العثمانيين عنها فى مطلع عام ١٩١٩ ·

ونظرا لأن الحديدة كانت من بين المدن اليمنية التى كان ينبغى أن يتسلمها الامام يحيى من الأتراك العثمانيين عقب جلائهم عنها — كما حدث بالنسبة للعاصمة اليمنية صنعاء نفسها — وفوجىء الامام باحتلال البريطانيين للحديدة ، فقد سارع الامام بالكتابة الى المقيم السياسى البريطانى فى عدن يحتج على احتلال القوات البريطانية لها · وقد تلقى الامام يحيى ردا على رسالته من المقيم السياسى البريطانى فى عدن جاء فيه : « اننا دخلنا الحديدة لنحفظ فيها الأمن والنظام وسنعيدها اليكم » (٣) · وقد أصبح هذا الوعد من قبل البريطانيين حجة الامام يحيى السياسية ، فضلا عن حقه الشرعى ، فى مسألة استرجاع الحديدة (٤) ، وخاصة عندما تعقدت مسألتها بعد أن سلموها لحليفهم الادريسى · ومن الواضح أن هذا الرد البريطانى انما كان ينطوى على مراوغة من قبل البريطانيين ، ذلك لأن غرضهم لم يكن يستهدف المحافظة على الأمن والنظام على حد دعواهم ، بل ان احتلالهم للحديدة كان جزءا من خطة سياسية بعيدة المدى · فبريطانيا لم يكن يهمها البقاء فى هذا الميناء والاستمرار فى احتلاله ، بل انها كانت لا تأمن جانب الامام يحيى وموقفه ازاء الوجود البريطانى فى جنوب اليمن ، ولهذا أرادت أن تتخذ من الحديدة « ورقة رابحة » فى يدها تساوم بها الامام حتى يغض الطرف عن وجودها هناك وحتى لا يشكل تهديدا ضدها فى المستقبل (٥) · وقد عبر البريطانيون — عندما كانوا على وفاق مع الدولة العثمانية — عن ارتياحهم للوجود العثمانى فى اليمن باعتباره يشكل عامل استقرار فى المنطقة الشمالية للنواحى المتاخمة لعدن ، وعن قلقهم من المستقبل اذا ما خرج العثمانيون من

---

(١) أحمد فضل العبدلى : المصدر السابق ، ص ٢٢١ ·

(٢) Ingrams, H. : The Yemen Imams, Rulers and Revolution, P. 62.

(٣) أمين الريحانى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٩٢ — ١٩٣ ·

(٤) Jacob, H.F. : Op. Cit., P. 423.

(٥) Gavin, R.J. : Op. Cit., PP. 249, 260

هناك (١) ، ولكن البريطانيين واجهوا موقفا حرجا عندما تأزم الموقف بينهم وبين العثمانيين الذين انحازوا لاعدائهم فى الحرب العالمية الأولى وهاجموا النواحى المحمية المتاخمة لعدن فى جنـوبى اليمن · لهذا كان البريطانيون حريصين على ألا يتكرر ذلك فى المستقبل من قبل الامام يحيى الذى ورث حكم العثمانيين فى اليمن عقب نهاية الحرب العالمية الأولى · ولم يجد البريطانيون أمامهم سوى احتلال الحديدة ليحصلوا على تعهد من جانب الامام يحيى بعدم القيام بأية جهود عدائية ضد الوجـــود البريطانى فى جنـــوب اليمن فى المستقبل (٢) ·

وتجدر الاشارة الى أن البريطانيين تحركوا فى سياستهم فى اليمن عقب نهاية الحرب العالمية الأولى فى ضوء التقارير السياسية التى رفعها خبراؤهم فى عدن أثناء فترة الحرب وعقب نهايتها · ويؤكد ذلك الخطاب الذى أرسله « بريجادير جنرال والتون » المقيم السياسى والقائد العام البريطانى فى عدن الى سكرتير حكومة الهند البريطانية ، القسم الخارجى ، فى اليوم الثالث عشر من مايو سنة ١٩١٦ بعنوان « محمية عدن » ، والذى أرفق به مذكرتين أولهما أعدها « كولونيل ووهوب » ضابط المخابرات السياسى والعسكرى فى عدن بعنوان « حدود محمية عدن » ، وثانيهما أعدها « كولونيـــل هارولد جاكوب » المساعد الأول للمقيم السياسى البريطانى فى عدن بعنوان « خطة سياسية فى الأراضى المتاخمة » لعدن · وقد عرض « والتون » فى خطابه الى حكومة الهند البريطانية (٣) أربع اقتراحات رأى أنها تفرض نفسها ويمكن

---

(١) أمين الريحـــانى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٩٣ ·

(٢) F.O., 371/4212, Reg. No. 36308/53210, D.M.I. to F.O., 4 April 1919.

(٣) أوردنا بملاحق البحث النص الأصلى لهذا الخطـاب وللمذكرتين الملحقتين به باللغة الانجليزية . وقمنا بترجمتها الى اللغة العربية :

- I.O.L., Secret,
  The Aden Protectorate,
  Letter from the General Offices Commanding Aden to the Secretary to the Government of India, Foreign Department, dated 13 th May 1916.
- Enclosure No .1., The Boundary of the Aden Protectorate, Note by Colonel R. A. Wauhope R. E., C. B., C.M.G., Political and Military Intelligence Officer, Aden.
- Enclosure No. 2., A Political Policy in our Hinterland, Note by Lieutenant. Colonel H.F. Jacob, First Assistant Resident, Aden, dated 10 th May 1916.

استبدال أحدهما بالآخر لحماية المصالح البريطانية فى اليمن أثنـــاء الحرب العالمية الأولى وعقب نهايتها ٠

وكان أول هذه الاقتراحات أن يستمر البريطانيون فى تحمل مسـئولية الدفاع عن عدن مع وجود قوات كافية لحماية منطقة « الشيخ عثمان » وهو ما كان جاريا فعلا حينذاك ٠ وثانى هذه الاقتراحات أن يحتل البريطانيون لحج للتحكم فى الطرق المؤدية الى عدن من ناحية الشمال ٠ وثالث هذه الاقتراحات أن يتقدم البريطانيون الى خط الحدود القديم لمحمية عدن ليقوموا باحتلال الضالع ٠ أما رابع هذه الاقتراحات فيتمثل فى أن يقوم البريطانيون باحتلال مدينة تعز ، وهذا كان يتطلب فرض الحمـــاية البريطانية على كل الركن الجنوبى الغربى لليمن بحدود استراتيجية جديدة يسهل الدفاع عنها ٠ وفى جميع الحالات رأى « والتون » أن احتلال البريطانيين لمنطقة « الشيخ سعيد » الواقعة فى الطرف الجنوبى الغربى للجزيرة العربية يعتبر أمر حتمى لوقوعها فى مواجهة جزيرة بريم التى تتوسط مضيق باب المندب ٠ كما يقدم وصفا دقيقا لمنطقة « الشيخ سعيد » وامكاناتها الاستراتيجية وضرورة عدم وقوعها فى أيدى أية قوى أخرى غير بريطانيا ٠ أما بالنسبة للاقتراح الأخير الخاص باحتلال تعز فقد أوضح « والتون » أن « كولونيل ووهوب » قد ناقشه فى مذكرته ــ المرفقة كملحق أول بخطابه ٠ كما أشـــار « والتون » أيضا الى المذكرة التى أعدها « كولونيل هارولد جاكوب » المساعد الأول للمقيم السياسى البريطانى فى عدن ــ والمرفقة بخطابه كملحق ثان ــ والتى اقترح فيها خطة سياسية يمكن اتباعها فى الأراضى المتاخمة لعدن والمؤرخة فى العاشر من مايو سنة ١٩١٦ ٠ وقد استعرض فيها موقف القوى المحلية من حكام النواحى المجاورة لعدن ازاء بريطانيا وازاء الصراع الدائر هنـــاك بين البريطانيين والعثمانيين منذ قيام الحرب العالمية الاولى ٠ كما استعرض أيضا موقف الامام يحيى فى الهضبة اليمنية وموقف الادريسى فى عسير فى تلك الفترة ٠

ويهمنا أن نشير الى توقعات البريطانيين عن الأوضاع التى ستطرأ على اليمن عقب نهاية الحرب العالمية الأولى والتى جعلتهم يضعون الخطط التى تتفق مع هذه التوقعات للحفاظ على مصالحهم هناك ٠ ويلفت انتباهنا ما ذكره « هارولد جاكوب » عن هذه التوقعات فى مذكرته ــ التى أشرنا اليها (١) ــ بقوله : « وعندما يخرج الأتراك (من اليمن) سيكون للحدود (بين منطقتى نفـوذ البريطانيين والعثمانيين فى الأراضى اليمنية التى نظمتها الاتفاقية

---

(١) أوردنا نص المذكرة باللغة الانجليزية مع ترجمة لها باللغة العربية ضمن ملاحق البحث ٠

البريطانية التركية المنعقدة فى التاسع من مارس سنة ١٩١٤) ظل من الماضى، وستعم الفوضى • فالأتراك فى الوقت الحاضر (المذكرة المؤرخة فى العاشر من مايو سنة ١٩١٦) مثل سدادة زجاجة البيرة ، فعندما تنزع السدادة يتصاعد زبد البيرة • وستكون ديمقراطية العرب مما يزيد الأمر صعوبة . فالعربى يفتقر الى الالتحام مع غيره ••• فاليمن ترفض التعامل مع دول أخرى وتتقوقع على نفسها • وهذه العزلة لن تجمع شتات القبائل تحت أى شعور بالتماسك الوطنى ، ولكن العكس هو الواقع • ذلك أن تماسكهم فى أقاليم عشائرية يؤدى الى أن السكان يعرفون بعضهم البعض . بينما تضعف معرفتهم بجيرانهم كعرب ، وانما كشافعيين وزيديين ، وأهل الجبال يافعيين، وسكان السهول من العوالق والعواذل والبيضانيين » • ثم يشير « جاكوب » الى استنتاج يتوقع حدوثه أيضا بقوله : « وربما تشترى القبائل ، ثم يعاد شراؤها بين مختلف الأطراف المتصارعة » ، وهو يعبر بذلك عن واقع القبائل اليمنية التى لم يكن لها أساس اقتصادى مستمر تعيش عليه فضلا عن انعزالها ، مما يجعلها تنجذب الى من يلوح لها بحريتها الذاتية مع معاونتها ماليا • ويواصل « جاكوب » عرض توقعاته فيقول : « فلو ذهب الأتراك فسيبتهج العرب لاستعادة استقلالهم • فهل عندئذ سيرحبون باضطلاعنا بما كان يتحمله الأتراك من أعباء ومسؤوليات ؟ ان الامام يعارض حكم الأتراك ليس لأنه يحبنا ، بل لأنه يعتقد أن اليمن ملك لأسلافه • ولقد أبدى اشمئزازه من الغارة (التى قام بها الأتراك فى سنة ١٩١٥) على لحج لانه يعتبرها جزءا من أملاكه السابقة ، كما توجد معاهدة سرية بينه وبين سلطانها السابق (أحمد فضل العبدلى) • وعندما ترك الأتراك اليمن فى سنة ١٦٤٠ (التاريخ الصحيح سنة ١٦٣٥) بسط الامام نفوذه عليها • فهل هو الآن وبعد هذه الفترة من الزمن وبالصورة التى اختفى بها الأتراك سيقنع بأن يظل حبيسا محصورا فى المناطق التى حددها له الأتراك فى شمالى اليمن ؟ » •

ويوضح « هارولد جاكوب » سبب عدم ثقة الامام يحيى فى البريطانيين أثناء الحرب العالمية الأولى فيقول : « وعندما أفهمنا الامام أننا لا نبحث عن أملاك شاسعة فى اليمن وطلبنا منه أن ينضم الينا لطرد عدو (يقصد الأتراك العثمانيين) يقف حائلا دون تقدم العرب ، فانه اتخذ من هجومنا على « الشيخ سعيد » دليلا يكذب به تأكيدنا ، وأننا نسطوا على أرض هى له وحده ، وأنه لا يستطيع أن يصدق عدم وجود نوايا خفية وراء التماس صداقته » •

ثم يشير « جاكوب » الى توقعاته بضرورة نشوب خلافات حول خط الحدود بين منطقتى النفوذ العثمانى والبريطانى فى جنوب اليمن عقب نهاية

الحرب الكبرى الأولى فيقول : « ولقد ذكرت أن خط حدودنا سيكون لوحة ملساء عندما يذهب الأتراك ، فهذا الخط تم رسمه بيننا وبين الأتراك وليس بيننا وبين العرب الذين أنكروه دوما • ان الخط يفصل بين قبيلتين تعتبران نفسيهما كيانا واحدا في الهجـــوم والدفاع ، وأعنى بذلك « جوبان » ونارا وبنى دبيان وموسطا • وأثناء التقسيم كانت « جوبان » مع الأتراك ، وقد التمس شيخها منا مرارا بحرارة أن تمتد حمايتنا اليه • وكنا نرد عليه دائما أنه داخل نطاق أصدقائنا الأتراك • ولكن عندما يرحـل الأتـراك فان المعاهدة التى بيننا وبين الحكومة العثمانية المعقودة فى مارس سنة ١٩١٤ ستكون ورقة ميته » •

ومن هنا فقد رأى « هارولد جاكوب » ان على البريطانيين اتباع خطوات حددها فى مذكرته بقوله : « يجب علينا أن نعود الى خطنا المحدد وأن نطرد الاتراك الذين اخترقوه ، ولهذا يجب أن نمد نفوذنا الى قبـــائل الحواشب والأميرى •• وحتى يتم لنا ذلك فسوف نفتقد هيبتنا فى نظر العرب فى منطقة نفوذنا ، وينبغى أن نتحدث بعدها عن تحديد جديد لحدودنا مع الامام يحيى ، اذ لابد لنا أن نبقى الامام داخل منطقة محددة » • أما بالنسبة لاقتراح قيام البريطانيين باحتلال تعز فقد أظهر « جاكوب » عدم تأكده من جدوى هذا الاقتراح بقوله : « واذا كان كولونيل ووهوب ينصح بالتوجه الى تعز ، فأنا لست متأكدا من جدوى أهداف هذا الاقتراح ، وان كانت نتائجه تبدو باهرة • فالأتراك قد جعلوا من تعز المقر الرئيسى لهم ، وكانوا قبل هذه الحرب (العالمية الأولى) يتركون للامام النفوذ الفعلى على شمال اليمن • وكنا نحن أيضا سنبقيه هناك على الا نسمح له بالتقدم جنوبا » • ويستطرد « جاكوب » موضحا وجهة نظره فى عدم موافقته على اقتراح احتلال البريطانيين لتعز فيقول : « وأنا لا أحبذ تغلغلنا عسكريا فى هذه المنطقة الجديدة (تعز). لأن العرب (اليمنيين) لن يرحبوا بنا فى ثوب الأتراك • فالأتراك عموما مسلمين ، وحتى وان كانوا مسلمين غير طيبين ، فانهم كانوا يستمدون هيبة حكمهم فى اليمن من خليفتهم (العثمـــانى) رغم أن حكمهم كان استبداديا مستهجنا » •

ويقارن « جاكوب » فى مذكرته بين موقف اليمنيين من الوجود البريطانى فى الضالع منذ سنة ١٩٠٧ وبين ما يمكن أن يكون عليه موقفهم ازاء بريطانيا اذا سيطرت على تعز فيقول : « واذا كان العـــرب (اليمنيون) قد ارتاحوا لوجودنا فى الضالع منذ سنة ١٩٠٧ ، فانما يرجع ذلك الى أننا لم نضايقهم • فلم نقم بحكم المنطقة ، وانما بالاشراف على ادارتهم لها بلا تعال أو عجرفة ، كما أننا لم نفرض أى ضرائب • بينما قام الأتراك بنزع سلاح كل من

يخشون شوكتهم ازاء حكمهم ، كما فرضوا الضرائب على الناس بالقوة . فاذا ما شرعنا في ادارة البلاد فان شعبيتنا ستختل ، ولكن مالم نسر على النهج الرئيسى للأتراك مبدئيا ، فاننا لن نقوى على الاستمرار فى البلاد لكى نجعل لبقائنا فائدة مربحة ! .

وأخيرا يؤكد « جاكوب » رفضه للتوصية الخاصة باحتلال تعز والتى أبداها « الكولونيل ووهوب » ضابط المخابرات السياسى والعسكرى بعدن فى شهر مايو سنة ١٩١٦ بقـــوله : « ولهذا السبب فاننى لا أوصى بالغزو العسكرى للبلاد . واعتقد فى امكانية نجاح حكمنا لهم بالانابة . اننا يمكننا أن نسيطر على تعز ونواحى « شورمان » وكامرا والحجرية ، وفى الحقيقة كل الجهات الواقعة جنوبى « الشيخ سعيد » ، الا أن هذه المنطقة (الشيخ سعيد) يجب اعتبارها منطقة نفوذ لا تسمح بتدخل أى قوة أجنبية فيها . كما تنص المعاهدة الحالية (وهى واحدة من معاهدات الحماية مع النواحى التسع المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن) على عدم التفريط أو بيع الأراضى التى بمقتضى المشاهرات المدفوعة (لحكامها من قبل بريطانيا) تدخل ضمن دائرة النفوذ البريطانى . وكان شيخ ماويه يحكم تعز وماويه باسم النفوذ التركى . وكذلك كان أحمد نعمان يحكم الحجرية باسمهم ، وعلينا يقصد البريطانيين) أن نحذو حذوهم .

ولو أنه يجدر بنا (بالبريطانيين) أن نمنح العبـــدلى (ســلطان لحج الذى احتل الترك بلاده فى سنة ١٩١٥) الذى فقد الكثير ماليا ومعنويا ، جزءا من منطقة الحجرية قبل ومنذ الرابع من يوليه لانحيازه لصفنا وبسببنا . وانى أقول بسببنا للنصيحة ، فقد كانت لحج من ممتلكاته ، وكانت مصالحه الرئيسية معرضة للخطر ، ولكن لوجود المعاهدة التى عقدناها معه كنا ملزمين بحراسة وحماية حدود بلاده » .

على أن « جاكوب » عاد وأوضح فى مذكرته التى رفعها المقيم السياسى البريطانى فى عدن الى حكومة الهند فى الثالث عشر من مايو سنة ١٩١٦ مقترحاته لمد النفوذ البريطانى الى تعز بأساليب أخرى غير الاحتلال الذى اقترحه « كولونيل ووهوب » فقال : « وللوصول بسهولة لهذه المنطقة فان مد خط حديدى الى تعز هو أحسن الوسائل . وهناك أساليب عدة لبسط نفوذنا الواســع ولضمان سيطرتنا على هذه المنطقة الجديدة ، وقد سبق أن عرضت بعضا منها فى مذكرتى فى التاسع من سبتمبر سنة ١٩١٥ والتى رفعها الى الحكومة « سير جورج بانجها سبند » مع رسالة له ــ تحمل رقم (س ــ ٦٩٤) ومؤرخة فى الثالث والعشرين من سبتمبر سنة ١٩١٥ . وهذه الاعتبارات تشمل التجنيد والضرائب وافتتاح مدرسة لأبناء رؤساء

القبائل ... الخ ، وبهذه الوسائل سنبرهن للعرب على مودتنا لهم عندما نلتمس منهم نبذ الأتراك الذين ظلوا فترة طويلة حجر عثرة فى سبيل تقدم العرب فى اليمن ، وأكثر من ذلك نستبعد أى فكرة شخصية للتوسع » .

ثم أوضح « هارولد جاكوب » فى مذكرته المشار اليها أن أصعب مشكلة ستواجه البريطانيين فى اليمن أثناء الحرب (الكبرى الأولى) وفى أعقابها من وجهة نظره هى التى رآها متمثلة فى الامام يحيى الذى سوف يطالب بحقوقه فى الأراضى اليمنية وستصطدم حقوقه هذه بطبيعة الحال بالمصالح البريطانية. وقد أشار « جاكوب » الى ما ينبغى أن يواجه به البريطانيون هذه المشكلة فقال : « الا أن أصعب مشكلة ستواجهنا هى كسب جانب الامام ، وأفضل حل لذلك ان نضع على الادارة العربية (المحلية) فى منطقة تعز واحدا من المعروف عنهم معاداة الزيديين والأتراك معا فى آن واحد » . ومن هنا جاء التفكير فى شخصية الادريسى الذى نجحت بريطانيا فى استقطابه الى جانبها ، لعلمها بمعاداته للأتراك من جهة ، ولاختلافه مع الامام يحيى فى مذهبه الدينى ـ فالامام زيدى وهو شافعى ـ وفى معاداته للأترك العثمانيين الذين تصافى الامام معهم بعقد صلح دعان فى سنة ١٩١١ من جهة أخرى . وكان ذلك هو السبب فى قيام البريطانيين بتسليم الادريسى ميناء الحديدة بعد أن أستلموه من الأتراك العثمانيين عقب نهاية الحرب العالمية الأولى . وكانت بريطانيا تهدف الى استخدام هذا الميناء ورقة رابحة تضغط بها على الامام يحيى فى حالة تطلعه للمطالبة بحقوقه فى النواحى المحمية المتاخمة لعدن الأمر الذى تنبأ بوقوعه خبراؤها واقترحوا الحلول المناسبة لمواجهته قبيل أن تصل الحرب العظمى الأولى الى نهايتها ، على نحو ما رأيناه فى مذكرة « جاكوب » التى تناولناها بالدراسة لصلتها الوثيقة بموقف بريطانيا فى اليمن وسياستها فيما بين الحربين العالميتين.

أما بالنسبة لمعاهدات الحماية مع النواحى التسع المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن ، فقد أبدى « جاكوب » ، فى مذكرته المشار اليها ، مقترحاته لحكومة الهند البريطانية فى هذا الصدد فقال : « وبالنسبة للمعاهدات القائمة مع العرب (يقصد اليمنيين) فالواجب اما أن نحتفظ بها أو نتجاهلها . فالعرب لم ينضموا الى جانبنا لمحاربة الأتراك ، لأنه كان من العسير عليهم محاربتهم معتمدين على أنفسهم دون أن تتوفر لديهم مدافع لمواجهتهم . غير أنهم ضايقوا الأتراك فى مواصلاتهم ، وفى امكانهم أن يفعلوا الكثير لو أننا تقدمنا من « الشيخ عثمان » تجاه الشمال . ولهذا فانهم لن يتعجلوا القيام بأى عمل معاد للاتراك مالم يطمئنوا من سياستنا فى المستقبل . والحقيقة أننا منذ عام ١٩٠٧ فقدنا اتصالاتنا مع الداخل ، ولهذا فاننااذا لم نتمكن

من طرد الأتراك وهى غايتنا النهائية ، فان العرب سوف يترددون فى القيام بأية أعمال عدائية ضد الأتراك خشية ما يجلبه ذلك عليهم من انتقام الاتراك منهم اذا ظلوا قائمين فى أماكنهم • ولهذا فقد تمسك العرب (اليمنيون) بالحياد واعتبروا هذه الحرب ــ العظمى الأولى ــ معلقة بين حكومتين • ان العرب سيرحبون بنا اذا أقمنـــا فى بلادهم حكومة متسلطة تمنحهم الأموال بسخاء وتحميهم من التدخل الأجنبى • أما عن حيادهم الحالى فانه لا يعبر عن حبهم للأتراك ، وانما يتمثل فى حبهم أن يتركوا وشأنهم يحيون حياتهم الخاصة • أما المعاهدات الأولى التى أبرمناها عقب سنة ١٨٣٩ فكانت نتيجة لامتداد نفوذنا على حكم العبدلى (سلطان لحج) حليفنا الكبير ، ولكن هدفنا الأساسى منها كان ينحصر فى الابقاء على طرق التجارة (بين عدن والنواحى التسع المتاخمة لها) مفتوحة • وعلى هذا فاننى أعتقد أن المعاهدات الحالية يجب الابقاء عليها قائمة ، فيما عدا ما بين الحوشبى والأميرى ، فهاتان تستحقان التعديل • أما تجاهل المعاهدات الأخرى (بين عدن والنواحى التى سيطر الأتراك عليها أثناء الحــــرب العالمية الأولى) فذلك من قبيـــل النكث بالعهد ، وعلينا أن نتجنب ترديد مثل هذه التلميحات فى هذا الوقت الحرج »•

وفيما يتعلق باقتراح عقد معاهدات جديدة بين بريطانيا وحكام النواحى المتاخمة لعدن أثناء الحرب العالمية الأولى فقد رأى « جاكوب » ارجاءه بقوله : ان موضوع عقد معاهدات جديدة سيعتمد على الموقف الدقيق لخط الحدود ، وعلى موقف القبائل القاطنة داخل هذه الحدود ، اذا تمكنا من العودة الى الحدود القديمة • وعلى الرغم من أن « البيضاء » كانت ضمن منطقة نفوذنا ، غير أن حاكمها لم يستطع الوصول الينا (بعد أن اقتحم الترك بلاده فى بداية الحرب العظمى) ويجب أن تظل حضرموت تحت سيطرتنا • وقد حاول الامام (يحيى) مرارا مد نفوذه الروحى الى هذه المنطقــة التى تقتــرب كثيرا من ناحية البيضاء ،وكان ذلك مشروعا قديما محببا لديه ،وأرجأ تنفيذه الى مابعد الحرب التركية الايطالية (١٩١١ ــ ١٩١٢) والى وقت يكون أكثر ملاءمة »• وقد بدت أهمية حضرموت فى مذكرة « جاكوب » التى أشار اليها بقوله : « أما بالنسبة للميناء البحرى الرئيسى لممتلكات سلطان القعيطى فهو ميناء المكلا النامى • وهذا الميناء يتطلب وجود وكيل بريطانى فيه نظرا لما تتميز به منطقة حضرموت من امكانات كبيرة • غير أن موجة من الاستياء والهياج أثارها سلطان الكثيرى الذى عاد بدولارات كثيرة من جاوه وسنغافوره • وعلى هذا يجب أن نوجه عوننا المالى الى القعيطى وأن نؤازره بكل ما نستطيع »• وهذا يوضح مدى تعاطف بريطانيا مع السلطان القعيطى فى حضرموت ، ويظهر أيضا مدى الحذر الشديد الذى بدأت تنظر به الى السلطان الكثيرى فى المنطقة الداخلية من حضرموت أثناء الحرب العالمية الأولى ورغم ما كان

يربطها بالجانبين القعيطي والكثيري من معاهدات حماية • ولكن هذا الموقف يفسر تشكك البريطانيين الدائم وخشيتهم من أى تغير يطرأ على مسلك ومواقف حكام النواحي المتاخمة لعدن ازاء النفوذ البريطاني في بلادهم •

واختتم « جاكوب » مذكرته السرية التي رفعها الى وزارة الهند البريطانية المقيم السياسي البريطاني في عدن ملحقة بخطابه المؤرخ في الثالث عشر من مايو سنة ١٩١٦ ، بأن حصر مقترحاته بشأن تدعيم النفوذ البريطاني في النواحي المتاخمة لعدن بجنوبي اليمن بقوله : « وبانشاء الخط الحديدى ، والطرق ، وبالتجنيد ، واقامة مدرسة لابناء رؤساء القبائل . نستطيع فرض سيطرة أفضل على اليمن . وأن نترك الجزيرة العربية للعرب تحت النفوذ البريطاني • ولكن لابد من العودة أولا الى الحدود التي تجاوزها الأتراك أخيرا ، لأن ذلك سيحدث نكسة تصيب الأتراك بأضرار قاتلة •• وما لم نعد (الى تلك الحدود) بالقوة فسيصبح اليمن أسعد صيد برى للدول الأوربية ، وان كانت هذه الدول ستردد في تحدى موقفنا كقوة تمارس اشرافا فعليا على المنطقة » • ثم واصل « جاكوب » عرض مقترحاته التي اتخذت أساسا للمخطط الذى نفذته بريطانيا في اليمن بعد جلاء العثمانيين عنه عقب نهاية الحرب العالمية الأولى والتي كان لها أبلغ الأثر على تطور العلاقات البريطانية اليمنية بين الحربين العالميتين فقال : « انني أؤمن بأن الامام (يحيى) سوف يكون أكثر استجابة للانصات لرغبتنا للعيش في هدوء وحسن جوار اذا أقمنا شخصا عربيا على حكم جنوبي اليمن • ذلك لأن الامام سيستمر في التآمر ضدنا ، وسيستمر حتى لو قهرنا المنطقة كلها بالقــوة • وهذا الأسلوب الأخير (أسلوب استخدام القوة) من مساوئه أن يترك أثر ملطخا واستياء خفيا ضدنا في عقول العرب ولغطا عن التوسع وضم الأراضي • ولهذا السبب فانني أعتقد أن موضوع اضافة أراضي جديدة يجب أن يستبعد كموضوع له خطورته • وانني أستثنى من ذلك ميناء الحديدة الذى اذا ظل في أيدينا يمكن أن يكون استرضاء في الوقت المناسب لتهدئة «سير بروس» صنعاء (وهو يقصد بذلك الامام يحيى) • وتتحكم عدن والحديدة والمكلا في منافذ الامدادات في ثلاثة أماكن هامة • وان أناقش حدود الادريسي فهي دانية من مرمى البصر • وهو لن يعترض على أسلوبنا المقترح للحكم بالاشراف العام على مقاطعات معينة هي الآن تحت أيدى الأتراك (مايو سنة ١٩١٦) • وهو نفسه (أى الادريسي) الذى اقترح أنه ينبغي علينا أن نسيطر على الحديدة • أما بالنسبة لحدود الادريسي فانها سوف تتسع بوقوفه وجها لوجه ضد الامام في شمالي اليمن ، وستكون مهمتنا آنذاك الفصل بين الجانبين • وسيكون وضع الحكم غير محتمل (بالنسبة للبريطانيين في جنوب اليمن)

ما لم نعمل على الرجـــوع الى الحدود التى تم الاتفــاق عليها بيننا وبين الأتراك » (١) ٠

ومن هنا يتضح لنا أن هذه التقارير السياسيةوالعسكرية التى رفعهاالخبراء البريطانيون فى عدن الى حكومة الهند البريطانية أثناء الحرب العالمية الأولى . قد حددت مسار السياسة البريطانية فى اليمن عقب نهاية تلك الحرب ٠ واذا ما قارنا فحوى هذه الوثائق بخط سير العلاقات البريطانية اليمنية فيما بين الحربين العالميتين ، فاننا سوف نتبين بوضوح مدى التناســق بين المقترحات والتوصيات التى اشـتملت عليها وبين المنهج الذى اتبعه البريطانيون فى علاقاتهم مع الامام يحيى فى تلك الفترة ، وهو ما سوف نتناوله بالدراسة فى الصفحات التالية من هذا البحث ٠٠

ـ بعثة « جاكوب » البريطانية الى الامام يحيى (١٩١٩) :

حرصت بريطانيا عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى على أن تطبق على الجزيرة العربية مبدأ شبيها « بمبدأ مونرو » بحيث تكون لها اليد الطولى فى شئون الجزيرة العربية بعد الحرب والقدرة على استبعاد الدول الأخرى من جهة ، ثم محاصرة حركة النمو الذاتى لسكان الجزيرة حتى لا تتعارض هذه الحركة مع مصالحها هناك من جهة أخرى (٢) ٠ وهذا ما جعلها تحرص على أن تكون أكثر ايجابية فى علاقاتها مع السيد الجديد فى اليمن الذى حل محل العثمانيين هناك وهو الامام يحيى ٠ وكان الامام قد أرسل الى عدن فى شهر يناير سنة ١٩١٩ بعض مبعوثيه ومعهم رسـائل موجهة من الامام الى كـل من المقيم السياسى البريطانى فى عدن والى قناصل فرنسا وايطاليـا والولايات المتحدة الأمريكية يطلب أن يمثل بلاده فى مؤتمر الصلح فى باريس ٠ وقد أعيد هؤلاء المبعوثين الى صنعاء مع تعليق الرغبة التى أبدوها على نحو ما حدث

---

(١) I.O.L., Secret,
— The Aden Protectorate, letter from the General Offices Commanding, Aden, to the Secretary to the Government of India, Foreign Department, dated 13 th May 1916.
— Enclosure No. 2., A Political Policy in our Hinterland, Note by Lieutenant Colonal H. F. Jacob, First Assistant Resident, Aden, dated 10 th May 1916.

(٢) Gavin, R. J. : Op. Cit., P. 258.

مع المصريين وبعض القوميات الأخرى حينذاك · غير أن هذا الطلب لم يلق اهتماما لدى القوى العظمى المنتصرة حينذاك (١) · وعندما أبدت الصحافة الايطالية قلقها من تحول الجزيرة العربية الى منطقة نفوذ لبريطانيا نظرا للفراغ السياسى المتوقع بعد جلاء العثمانيين عن الجزيرة العربية فى مطلع عام ١٩١٩ فقد حرصت بريطانيا على شغل وملء هذا الفراغ الدبلوماسى The Diplomatic Vacuum عن طريق ارسال بعثة لفتح باب المفاوضات مع الامام يحيى ·

ولهذا أرسلت بريطانيا بعثة سياسية الى الامام يحيى (٢) على رأسها « هارولد جاكوب » المساعد الأول للمقيم السياسى البريطانى فى عدن (٣) · وقد أوضح « جاكوب » أهداف بعثته بقوله : « كان غرضنا هو بحث مستقبل البلاد بعد هزيمة الأتراك · ولم يكن هناك ما يدعو الى عقد معاهدة مع الامام. بل كان غرضنا هو التعرف على موقفه ووجهة نظره » (٤) · وهذا يعنى ان بعثة « جاكوب » كانت تهدف الى ألتعرف على شخصية الامام يحيى وعلى حقيقة موقفه وأحوال بلاده · وهذا ما دفع « جاكوب » الى أن يختار طريق الحديدة للوصول الى صنعاء ، على الرغم من نصح بعض أصدقائه بأن يتجه الى صنعاء عن طريق ماوية (٥) · وكان طريق ماويه أقل خطورة من طريق الحديدة غير أن الطريق الأخير كان يتيح الفرصة للبعثة بالاطلاع على أحوال اليمن نظرا لمروره بقبائل كثيرة وطوائف متعددة ، كان فى مقدمتها الشوافع الذين يسكنون تهامه ولا يدينون بالولاء لامام صنعاء الزيدى · وكانت تهدف بريطانيا من وراء ذلك الى الاستفادة من التناقضات المذهبية للضغط على الامام اذا اقتضى الأمر ذلك بالانحياز الى الجانب المعارض له من أجل تحقيق المصالح البريطانية ·

وقد حرصت بريطانيا على ألا تثير شكوك حليفها الادريسى فى عسير اذا ما فهم أن بعثة « جاكوب » الى ألامام يحيى تحمل معنى التقرب الى منافسه ، ولهذا فقد أرسلت بريطانيا فى نفس الوقت بعثة أخرى الى الادريسى لتؤكد له أن مصالحه لن تتعرض لأى أهمال من جانبها (٦) ·

---

(١) F.O. 406/42, A.N., 31 March 1919. C.O. 725/4 Jacob's criticism of the Resident's action 22 June 1922.

(٢) F.O. 371/4212, Reg. No. 36308/76653. Curzon to Balfour, 31 May 1919; 7480, Balfour to Curzon, 19 May 1919.

(٣) Reilly, B. : Op. Cit., P. 17.

(٤) Jacob, H.F. : Op. Cit., P. 202.

(٥) أحمد فضل العبدلى : المصدر السابق ، ص ٢٦٨ ·

(٦) Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 261.

وقد حاول الامام يحيى عقب تسلمه لمقاليد الأمور فى صنعاء خلفا للحكم العثمانى فى بلاده فى مطلع سنة ١٩١٩ ، أن يتصل بالقبائل الشافعية فى تهامة لينشر نفوذه بينهم حتى يؤمن طريق تجارته ما بين الهضبة اليمنية والساحل الشرقى للبحر الأحمر ٠ وكانت أقوى هذه القبائل اليمنية قبيلة « الفخرى » مما جعل الامام يحيى يختار من بينهم مندوبا له فى « باجل » التى تبعد خمسة وثلاثين ميلا شرقى الحديدة حفاظا على مشاعرهم المذهبية (١) ٠ ولهذا كان وصول بعثة « جاكوب » الى الحديدة فى اليوم الثامن عشر من أغسطس سنة ١٩١٩ سببا فى اثارة قلق الامام الذى كان يتفاوض مع القبائل الشافعية فى تهامة من أجل تدعيم مركزه هناك (٢) ٠ وبمجرد وصول البعثة البريطانية الى « باجل » فى اليوم الثلاثين من نفس الشهر ، فقد اعترضتها قبيلة الفخرى واعتقلت افرادها ، رغم تعهد هذه القبيلة للامام يحيى تعهدا كتابيا بعدم التعرض للبعثة والمحافظة على وصولها بسلام الى « الحجيلة » الواقعة على حدود الهضبة التى تقطنها القبائل الزيدية وتدخل تحت النفوذ المباشر للامام (٣) ٠ غير أن قبيلة القحرى نقضت عهدها مع الامام وقامت بأسر بعثة « جاكوب » خشية أن يؤدى تفاوض البعثة مع الامام الى تسليم بلادهم فى تهامه اليه لتصبح ضمن منطقة نفوذه المباشر (٤) ٠ ومما يؤكد ذلك اشتراط « الفحرى » لفك أسر البعثة أن لايكون للامام يحيى سيطرة عليهم ولا على بلادهم (٥) وكان ذلك هو هدفهم الحقيقى (٦) مما جعلهم يرفضون أى عروض مالية عرضها « جاكوب » لفك أسر بعثته ٠ وقد أكد ذلك « جاكوب نفسه » عندما قال : « اننى لا ألوم الفحرى على قيامهم بأسرنا، ذلك لانهم كانوا يعتقدون أننى متوجه للامام لأسلم بلادهم اليه (٧) ٠

على أن الامام يحيى بذل من جانبه كل جهد ممكن محاولا تخليص بعثة « جاكوب » البريطانية من أسر قبيلة القحرى ٠ وقد فعل ذلك نظرا لأنه كان يعقد آمالا كبارا على التفاهم مع البريطانيين وجها لوجه ، الأمر الذى يمكنه من تحقيق مقاصده فى اقرار الأمور فى بلاده بوجه عام ، واسترجاع الحديدة « المنفذ الطبيعى للهضبة اليمنية على البحر الأحمر بوجه خاص ٠

---

(١) Jacob. H.F. : Op. Cit., P. 203.
(٢) Jacob, H.F. : Ibid., P. 202.
(٣) Jacob, H.F. : Ibid., PP. 203, 205.
(٤) Jacob, H.F. : Ibid., P. 214.
(٥) Jacob, H.F. : Ibid., P. 206.
(٦) Reilly, B. : Op. cit., P. 17.
(٧) أحمد فضل العبدلى : المصدر السابق ، ص ٢٦٩ ٠

ولهذا فانه قام بتوجيه عدة برقيات وخطابات لزعماء قبيلة القحرى محتجا عليهم ومهددا اياهم بالابادة ، فضلا عن تجريم عملهم « لانتهاكهم الحرمات ووصمهم للاسلام بالعار » (١) · بل ان الامام يحيى ارسل الوالى العثمانى السابق محمود نديم بك – وكان قد فضل البقاء فى صنعاء بعد جلاء العثمانيين عنها – لبذل جهوده التى استغرقت مدة شهرين قضاها فى « باجل » محاولا تخليص البعثة البريطانية من أسر قبيلة القحرى · وقد اضطر محمود نديم أن يعطى مبلغ أربعمائة جنيه تركى لأحد مشايخ القحرى ويدعى « أبو هادى » – وكان يعمل مندوبا للامام فى « باجل » – ليساعده بالتوسط لدى بقية مشايخ القحرى لاطلاق سراح البعثة ، غير أن « أبو هادى » عجز عن تحقيق ذلك · بل ان الامام يحيى ضايقه كثيرا طول أقامة نديم بك فى باجل . حتى أنه اعتقد أن الوالى العثمانى السابق يلعب دورا مزدوجا بينه وبين مشايخ القحرى · غير أن هؤلاء المشايخ من جهة أخرى كانوا لا يثقون فى نديم بك باعتباره مندوبا من قبل الامام يحيى (٢) · وقد علق العبدلى على هذه الحادثة مؤكدا تولد الشك لدى الامام يحيى فى اخلاص محمود نديم بك له بقوله : « أخبرنى من أثق به أن أولى الحل والعقد فى صنعاء يؤكدون عدم اخلاص الوالى محمود نديم للحضرة الامامية هذه المرة ، ويتهمونه بالاتفاق سرا مع قبائل القحرى لمنع الوفد (البريطانى) من الوصول الى صنعاء » · غير أن العبدلى أشار أيضا الى أن رجال القحرى قد أمروا نديم بك مع أعضاء البعثة البريطانية (٣) ، وهذا يرجح نفى الشك فى اخلاص نديم بك للامام يحيى ·

واذا تساءلنا عن موقف البريطانيين فى عدن ازاء قيام قبيلة القحرى باحتجاز بعثة « جاكوب » البريطانية المتجهة الى صنعاء وأسر أعضائها ، فاننا سنجد أنهم أرسلوا أحد الموظفين السياسيين البريطانيين الى الحديدة للعمل على تخليص البعثة · ورغم ما أنفقه من أموال كثيرة لعزل قبيلة القحرى عن القبائل اليمنية المجاورة عن طريق اجتذابه لشيوخ تلك القبائل فان جهوده فى هذا السبيل انتهت بالفشل · اذ حاول هؤلاء الشيوخ أن يتوسطوا لدى قبيلة القحرى لاطلاق سراح البعثة البريطانية ، غير أنهم ووجهوا برد عنيف من قبل زعماء القحرى الذين واجهوهم بقولهم : « نحن لا يهمناكم من النقود قد أعطتكم الحكومة البريطانية » (٤) ·

---

(١) السيد مصطفى سالم « دكتور » : تكوين اليمن الحديث ، ص ٢٦٤·
(٢) Jacob, H.F. : Op. Cit., P. 212.
(٣) أحمد فضل العبدلى : المصدر السابق ، ص ٢٦٣ ·
(٤) Jacob, H.F. : Ibid., P. 214.

ولم يكتف البريطانيون في عدن بذلك ، بل انهم وجهوا طائرة بريطانية في اليوم السادس والعشرين من نوفمبر سنة ١٩١٩ لتتعرف على مركز البعثة وتستطلع أحوالها ، ولكن دون أن تلقى أية قنابل حتى لا تعرض أعضاء البعثة البريطانية لانتقام القحرى • وقد أدى هذا الحادث الى اثارة قلق رجال القحرى وتخوفهم من التعرض للانتقام من قبل بريطانيا ، مما دفعهم أخيرا الى فك أسر أعضاء البعثة والسماح لهم بالعودة الى الحديدة عقب انتهاء صلاة الجمعة ظهر اليوم الثاني عشر من ديسمبر ١٩١٩ (١) •

ورغم ما بدا ظاهريا من أن بعثة « جاكوب » البريطانية الى الامام يحيى قد باءت بالفشل نتيجة لتعذر وصولها الى صنعاء للتفاوض مع الامام في نهاية العقد الثاني من القرن الحالي ، فان بريطانيا قد حققت في واقع الأمر كافة الأهداف المرجوه من ارسالها للبعثة • ذلك لأنها كانت أشبه بعملية قياس للرأى العام في تهامة اليمن للتعرف على حقيقة موقفه ازاء الامام يحيى، مما جعل « جاكوب » يسلك طريق الحديدة لتحقيق هذه الغاية التي أكدها بنفسه عندما قال : « لقد فضلت طريق الحديدة لأقيس نفوذ الامام ، وقد كان من السهل الحضور عن طريق عدن (أى عبر الطريق البرى الداخلي) اذ أن الشيوخ — على طول الطريق — معروفين شخصيا ، كما كان الطريق نفسه معروفا ، أما معرفتى بطريق « باجل » (الذى سلكه جاكوب) فكانت أقل » (٢) •

كما أن بعثة « جاكوب » البريطانية أتيح لها أثناء احتجاز قبيلة القحرى لها في « باجل » أن تتجول داخل المدينة ، فكان يمكنها أن تتعرف على وجهة نظر الرأى العام هناك وعلى حقيقة موقفه ازاء الامام يحيى • هذا في الوقت الذى كانت تصل الى البعثة البريطانية فيه بعض المجلات المصورة بالاضافة الى البريد الذى كان يرسل اليها من الحديدة بصفة منتظمة ليطلعها على مجريات الأمور التى كانت تدور حولها والمتصلة بمهمتها • بل ان « جاكوب » أتيحت له فرصة القيام بنشاط سرى خاص في مدينة « باجل » يتعرف من خلاله على ما كان يدور حوله ، حتى أنه أغرى عامل التلغراف هناك — وكان تركى الأصل — باعطائه بعض النقود أو السجائر أو زجاجات البراندى لكى يحصل منه على نصوص الرسائل التى تصل اليه من صنعاء أو تبلغ — عن طريقه — اليها • وبلغ الأمر « بجاكوب » أنه كان يتجسس على ما يدور في الاجتماعات اليومية التى كان يعقدها شيوخ قبيلة القحرى في أحد المنازل

---

(١) Jacob. H.F. : Op. cit., P. 234.

(٢) Jacob. H.F. : Ibid., P. 204.

المجاورة للمنزل الذى خصص لاقامته · وقد ساعده كل ذلك على استطلاع حقيقة الموقف الدائر فى الساحة اليمنية آنذاك ، مما جعله قادرا على تقديم تقرير واف وشامل لحكومته · ومن المرجح أن ذلك هو التفسير المنطقى لعدم محاولة البريطانيين انقاذ البعثة بالقوة طالما أنهم كانوا يحققون من ورائها فائدة مرجوة · وكان « جاكوب » نفسه عاملا هاما فى تهدئة الجانب البريطانى، بل وكان عاملا هاما أيضا فى تهدئة الامام يحيى ، حيث كتب اليه طالبا عدم التدخل لانقاذه عن طريق استخدام القوة . بدعوى أن ذلك كان سيؤدى الى سفك الدماء من جهة ، كما قد يدفع الادريسى الى مهاجمة تهامة اليمن اذا قدم هو اليها من جهة أخرى ، مما جعل الامام يشكره « على هذه النصيحة الأخوية » على نحو ما أشار الى ذلك « جاكوب » نفسه (١) · ولم يكن هناك ما يثير قلق « جاكوب » على سلامته بعد أن تبين حرص قبيلة القحرى على عدم اثارة البريطانيين ضدهم ، وأن هدفهم انحصر فقط فى تعويق وصوله الى الامام يحيى فى صنعاء · بل ان « جاكوب » تبين أيضا أنه يمكنه التخلص فورا من الأسر اذا قبل العودة الى الحديدة دون أن يقابل الامام يحيى ، الأمر الذى جعله لا يتعجل انهاء مهمته حتى تتاح له فرصة أكبر فى استطلاع حقيقة ما يدور على الساحة اليمنية حينذاك ·

واذا تساءلنا عن موقف الادريسى فى عسير أثناء تواجد بعثة « جاكوب » البريطانية فى « باجل » . فاننا سنجده يسعى الى التقرب الى أهالى تهامه الذين يتفق معهم فى اعتناق المذهب الشافعى المتعارض مع مذهب الامام يحيى الزيدى من جهة ، كما كان يسعى الى الاستفادة من محالفته لبريطانيا التى كانت تحتل قواتها حينذاك ميناءى « اللحية » و « الحديدة » من جهة أخرى · وهناك رأى أبداه توفيق مفرج ونشرته مجلة « المقتطف » فى أول سبتمبر سنة ١٩٢١ فحواه أن أتباع الادريسى هم الذين قاموا باعتراض مسيرة بعثة « جاكوب » البريطانية وأعادوها الى الحديدة حتى لايتحقق على يديها الحاق تهامه بحكم الامام يحيى من جهة ، وحتى لا ينتج عنها حدوث أدنى تقارب بين الامام وبريطانيا من جهة أخرى ، وبذلك تتاح الفرصة للادريسى لضم تهامه الى منطقة نفوذه فى عسير · غير أننا لا نرجح هذا الرأى نظرا لأن قبائل تهامة كانت من القوة والحرص على استقلاليتها بالدرجة التى كان يصعب معها اجتذابهم الى جانب معين كالقحرى والزرانيق الذين كانوا يحصلون من الأتراك العثمانيين ــ رغم قوتهم ــ على مشاهرات مالية حتى لا يقوموا بأية أعمال تخريبية فى مرافق الدولة كقطع أسلاك التلغراف المارة عبر

---

(١) Jacon, H.F. : Op. Cit., PP. 204, 210.

أراضيهم (١) • ولهذا فانه كان يتعذر على أتباع الادريسى القيام بهذا الدور مع بعثة « جاكوب » البريطانية من جهة ، كما كان يتعذر على الأدريسى نفسه أن يقوم بضم تهامة الى منطقة نفوذه من جهة أخرى ، الا اذا تلقى دعما كبيرا من قبل بريطانيا ، وهو ما كان يتطلع بالفعل الى تحقيقه • وهكذا كانت تهامه عقب نهاية الحرب العالمية الأولى مطمحا للامام يحيى من جهة ،و للأدريسى من جهة أخرى ، فى الوقت الذى كانت تحرص فيه القبائل القاطنة فيها على حريتها واستقلالها فى أراضيها •

أما بالنسبة للامام يحيى فقد كان راغبا فى استقبال بعثة « جاكوب » التى كانت أفضل تعبير عن حرص البريطانيين على التفاهم معه بصفته الحاكم الجديد لليمن • ولا شك أن عودة البعثة الى الحديدة دون أن تلتقى بالامام قد ولد الشك لديه فى صدق نية بريطانيا فى التوصل الى حل يرضيه (٢) • وقد تساءل الامام ورجاله فى صنعاء عما اذا كان فى مقدور قبيلة القحرى أن تفرض موقفا معينا على البريطانيين دون أن يتمكنوا من اتخاذ اجراء ايجابى عنيف ضدها ، أم أن هذا الموقف السلبى من جانبهم يعبر عن أن العلاقات بينهم وبين الامام — التى استمرت طيبة أثناء الحرب العالمية الاولى — قد بدأت تتغير عما كانت عليه من قبل • اذ بدا ان بريطانيا استهانت بقوة الامام بعد أن تعرفت على حقيقة موقفه فى تهامه أثناء قيام بعثة « جاكوب » بمهمتها هناك (٣) • وكان ذلك هو السبب فى القرار الذى أصدرته وزارة الخارجية البريطانية فى شهر ديسمبر سنة ١٩٢٠ بالسماح لمنافسه الادريسى باحتلال الحديدة (٤) • وقد قامت القـــوات البريطانيـــة المســيطرة على المدينـة بتسليمها (٥) — شكليا وحرصا منها على أن توصف بانها تتصرف شرعيـا — الى هيئة محلية قبلت حكم الادريسى فور رحيل البريطانيين ، فأصبحت المدينة فى قبضة الادريسى فى الحادى والثلاثين من يناير سنة ١٩٢١ ، بعد وصول طابور من عساكره اليها (٦) •

---

(١) أمين الريحانى المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٦٣ •
(٢) السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، ص ٢٦٩ •
(٣) أمين الريحانى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٩٧ •
(٤) F.O. 406/44, Curzen to Aden Resident, 13th, December 1920
(٥) Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 261.
(٦) C.O. Reg. No. 10410, A.N., 17th February 1921. "Hudayde was handed over to a local committee which accepted Idrisi rule immediately after the British departure ".

ويمكن أن نتبين من طريقة تسليم البريطانيين ميناء الحديدة للادريسى حقيقة موقف بريطانيا ازاء الامام يحيى الذى اتسم بالتجاهل التام له ، نتيجة لرغبتها فى حصر نفوذه فى الهضبة اليمنية حتى لا يتطلع الى منافستها فى النواحى المتاخمة لعدن بجنوبى اليمن وذلك باتاحة الفرصة لحليفها الادريسى للسيطرة على تهامة • وقد سلكت بريطانيا مسلكا تدريجيا ليبدو عملها طبيعيا ومنطقيا لا يثير حنق الامام • اذ أجرى البريطانيون — قبل تسليمهم الحديدة للادريسى — استفتاء رسميا بين أهالى الحديدة لاختيار حاكمهم • وقد طالب أهالى الحديدة باستمرار تبعيتهم للعثمانيين الذين سمحوا لهم بممارسة حياتهم التجارية النشيطة (١) فى أمن واطمئنان (٢) ، غير انهم أجيبوا باستحالة ذلك • ومن هنا طالب اهالى الحديدة بأن تصبح مدينتهم تابعة للحكومة المصرية — حيث كانت ترسب فى ذاكرتهم الحياة التجارية النشطة والعناية بالميناء فى عهد محمد على فى العقد الرابع من القرن التاسع عشر (٣) — مما جعلهم يطالبون : « نبغى اذا الحكومة المصرية ، نبغى الانضمام الى مصر » (٤) ، ولكن بريطانيا ما كانت ترتضى ذلك بطبيعة الحال • وأخيرا وصل الى الحديدة أحد أعوان المقيم السياسى

---

(١) فاروق عثمان أباظه (دكتور) : الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢ ١٩١٨ ، ص ٤٢١ •

تجدر الاشارة الى أن التجارة اليمنية ازدهرت ابان الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢ — ١٩١٨ واثرى من ورائها كثيرون من اهالى البلاد سواء من كان منهم يشتغل بالتجارة فى المناطق الجبلية أم فى المناطق الساحلية • وكان فرع البنك العثمانى فى الحديدة يؤدى ما ينعش الحالة الاقتصادية فى اليمن • كما كان الاستقرار والمحافظة على الأمن من الامور التى كانت تحرص الادارة العثمانية على توفيرها ، مما ساعد فعلا على تقدير واعجاب أهالى المدن اليمنية وبخاصة فى الموانى كالحديدة التى نمت فيها طبقة بورجوازية رحبت بالجهود التى كان يبذلها جهاز الادارة العثمانى لمحافظة على الامن والاستقرار فى البلاد وتجنيبها الفوضى والاضطرابات • بل انهم كانوا يعتقدون أن العثمانيين — على أقل تقدير — لم يكونوا أسوأ من أئمتهم السابقين لا سيما وأن العثمانيين كانوا يتصدون دائما لمقاومة غارات القبائل التى افتقدت الأساس الاقتصادى الذى تعتمد عليه فى حياتها والتى كانت تشن بتحريض من الأئمة — غارات لسلب المدن اليمنية ونهبها •

(٢) Bury, G.W. : Arabia Infelix or the Turks in Yemen, P. 134.

(٣) فاروق عثمان أباظه (دكتور) : العلاقات المصرية اليمنية وموقف بريطانيا ازاءها فى العقد الرابع من القرن التاسع عشر ، ص ٢٧ •

(٤) أمين الريحانى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٦١ •

البريطاني في مصر ليقوم بتمثيل آخر فصل في رواية الاستفتاء • فدعـــا اليه تجار المدينة وأعيانها ، وسألهم من جديد فأبدوا مطالبهم المشار اليهـــا بالانضمام للعثمانيين أو للمصريين • فأفهمهم أن رجوع الترك الى الحديدة أمر مستحيل ، وكذلك حكم المصريين • وفي تلك الأثناء وصل الى الحديدة نائب السيد الأدريسي على رأس طابور من العساكر الأدريسية . فختمت هذه الرواية في الحادي والثلاثين من ينـــاير سنة ١٩٢١ باحتـــلال الادريسي للحديدة (١) بعد أن مكنته بريطانيا من ذلك بطبيعة الحال (٢) •

وتجدر الاشارة الى أن الادريسي تمكن من القبض على خمسة من التجار اليمنيين الذين تزعموا الاستفتاء الذي أجرى في الحديدة حول تبعية المدينة في المستقبل ، ونفاهم الى جيزان ، وأسرهم سبعة أشهر فيها ، حتى افتدى بعضهم نفسه بالمال ، بينما قدم البعض الآخر ابنه كرهينة لدى الادريسي • ولا شك أن أهل الحديدة كـــانوا « يخشون ابداء رأيهم أو رغبتهم ، فهم لا يبغون الانجليز كمحتلين ، واذا قاموا يطالبون الامام قبل أن يقرر الانجليز أن يعيدوا الحديدة اليه ، فيضربهم الأدريسي ويستنفر عليهم « الفحـــرى » وقد يغرى بهم « الزرانيق » ، واذا قاموا يثبتون حكم الأدريسي فيها ويعلنون رغبتهم رسميا ، فقد يحرك الامام عليهم اما زيود ، واما من يستطيع استنفارهم واستغواءهم كذلك من الزرانيق » (٣) • ومن الواضح أن البريطانيين قد سلموا الحديدة للأدريسي على كره من أهلها « الذين كانوا لا يرغبون في حكم امام صنعاء (الامام يحيى) ولا امام صبيا (محمد الأدريسي) » (٤) • ويرجع ذلك الى أن أهل الحديدة تجار بطبيعتهم وهو أمر معـــروف عنهم مما جعلهم يرحبون بالوجود المصري في تهامة اليمن في العقد الرابع من القرن التاسع عشر عندما عنى محمد على بميناء الحديدة وبحركة التجارة فيه • وقد حرص هؤلاء التجـــار على الانصراف لتجارتهم والبعد عن الصراعات السياسية ، واستمر ذلك حالهم في العهد العثماني الثاني منذ وصول العثمانين الى الحديدة في سنة ١٨٤٩ وحتى جلائهم عنها في مطلع سنة ١٩١٩ • ولم يستفد التجار اليمنيون في الحديدة شيئا من دخول مدينتهم تحت حكم الأدريسي في نهاية يناير سنة ١٩٢١ ، ذلك لأن الادريسي لم يقدم على أي عمل اداري أو اقتصادي لتحسين أحوال الحديدة ، وكانت حجته في ذلك أنه ما كان

---

(١) Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 281

(٢) أحمد حسين شرف الدين : المصدر السابق ، ص ٢٨٠ •

(٣) أمين الريحـــاني : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٦١ ـ ٢٦٣ •

(٤) أحمد فضل العبدلي : المصدر السابق ، ص ٢١٩ •

يضمن استمرار بقاء المدينة تحت حكمه · وأذا كان قد بدا بعض الميل من جانب بعض التجار فى الحديدة الى تحول مدينتهم لتبعية الامام يحيى وليس الى تبعية الانجليـــز أو حليفهم الادريسى ، فان ذلك كان يرجــع الى تملص البريطانيين من دفع تعويضات لاهالى الحديدة عن الخسائر الناتجه عن ضرب الأسطول البريطانى لمدينتهم قبيل نهاية الحرب العالمية الأولى ، بدعوى أن ذلك قد أصبح من اختصاص « صاحب الحديدة » ويعنون به الأدريسى الذى كان عليه أن يتحمل دفع هذه التعويضات· غير أن الادريسى نفسه كان فى حاجة ماسة الى المال ، فى الوقت الذى كان كل ما يجمعه من أهالى الحديدة من ضرائب لا يكفى للصرف على ادارة شئون المدينة (١) · كما أن تجار عدن ــ الذين كانوا يعتبرون مدينة الحديدة ميدانا لنشاطهم التجـــارى ــ فضلوا تبعية الحديدة للأمام يحيى بعد أن ثبت فشل الأدريسى فى ادارة شئونها ، أو جذب أهلها اليه (٢) ، ذلك لأن عماله استبدوا فى معاملة السكان وفرضوا على تجارة المدينة مكوسا باهظة · مما أدى الى هجرة الكثيرين من التجار الى عدن · بل ان رجال الادريسى قبضوا على عدد من كبار تجار الحديدة وأسروهم فى ميناء « ميدى » أثناء محاولتهم القيام بالهجرة الى عدن ·

وهكذا بدأ الموقف فى اليمن معقدا غاية التعقد ، ذلك لأن البريطانيين بتسليمهم الحديدة الى الأدريسى فقد مكنوه من أن يصبح مسيطرا على موانى تهامه الأخرى كميناءى اللحية وميدى وغيرها ··كما أنه أصبح يمارس أيضا بعض النفوذ على قبائل تهامه ، وبذلك عزل الامام يحيى فوق الهضبة اليمنية ، الأمر الذى ما كان يرضاه الامام لنفسه · بل ان الامام يحيى اعتبر تسليم بريطانيا الحديدة للأدريسى عملا عدائيا موجها لشخصه (٣) باعتباره الوريث الشرعى للحكم العثمانى فى اليمن · ولهذا رفض الامام يحيى بقاء الأدريسى فى تهامة وثغورها ، بل أنه رأى من حقه أن يستعيد عسير من الأدريسى من جهــة ، وأن يستعيد النواحى التسع المتاخمة لعدن والمحميد من قبل بريطانيا من جهة أخرى ، نظرا لأن أجداده كانوا يحكمون اليمن بأكملها قبل تعرضها لهذا التقســـيم ·

غير أن البريطانيين فى عدن كانوا يقفون موقفا جامدا ازاء الامام يحيى ، واعتبروه عدوا لهم ، بدعوى أنه لم يقدم لهم أية مساعدات أثناء

---

(١) أمين الريحانى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٦٠ ·

(٢) Jacob, H. F. : Op. Cit., P. 249.

(٣) Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 261.

الحرب العالمية الأولى ، على نحو ما فعل منافسه الأدريسى الذى وافق على محالفتهم ، فضلا عن معرفتهم بمطالبة فى النواحى المحمية المتاخمة لعدن والتى يرتبط حكامها معهم بمعاهدات حماية • ولهذا فضلوا عليه حليفهم الادريسى الذى سلموه مدينة الحديدة (١) • وهذا ما كان يعيبه على السياسة البريطانية « هارولد جاكوب » ـ المساعد الأول للمقيم السياسى البريطانى فى عدن ، والذى رأس البعثة التى توجهت للتفاوض مع الامام ، وأوقفتها قبيلة القحرى فى باجل ، ثم اعادتها الى الحديدة ، على النحو الذى سبق أن أشرنا اليه • لقد رأى « جاكوب » رأيا آخر بالنسبة لأحقية الامام يحيى فى الحديدة التى تعتبر المنفذ الطبيعى الأول للهضبة اليمنية على البحر الأحمر • اذا اعتبر أن البريطانيين فى عدن قد ناقضوا أنفسهم بالتدخل فى توزيع الأراضى والحدود بين الحكام المتنافسين فى الساحة اليمنية رغم أنهم وعدوا بعدم التدخل أو هكذا أعلنوا من قبل • وكان « جاكوب » منصفا عندما أوضح « ان الحديدة لم تكن ملكنا ـ أى البريطانيين ـ حتى نعطيها لأحد ، كما لم يغنمها الأدريسى من الترك أثناء الحرب ، وكان أول واجب علينا بعد عقد الهدنة مع تركيـا أن نبعد الأدريسى عن منطقة أصبحت بالاكتساب للامام وحده ، اذ أن الحديدة هى الميناء الطبيعى لصنعاء » (٢)• ومن هنا كان على الامام يحيى أن يواجه هذا التصرف العـدائى من قبـل البريطانيين ببدء عملياته الحربية لبسط نفوذه فى النواحى التسع المتاخمة لعدن والمحمية من قبلهم « والتى كان دافعه الأساسى للاستيلاء عليها أن يتخذها رهينة مقابل ميناءى اللحية والحديدة » (٣) والتى مهدت بريطانيا لسيطرة الادريسى عليها فى نهاية يناير سنة ١٩٢١ •

ـ توتر العلاقات بين بريطانيا والامام يحيى :

دخلت العلاقات البريطانية اليمنية فيما بين الحربين العالميتين فى مرحلة صراع عنيف نشأ بين بريطانيا والامام يحيى منذ مطلع العشرينات من القرن الحالى ، واستمر هذا الصراع قائما حتى عقدت بين الجانبين معاهدة الصداقة والتعاون المتبادل فى الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٣٤ (٤) •

---

(١) F.O. 406 / 44, Curzon to Aden Resident, 13 December 1920.
C.O. Reg. No. 10410, A.N., 17 February 1921.

(٢) Jacob, H.F. : Op. Cit., PP. 241, 248.

(٣) Survey of International Affairs, 1928, P. 311.

(٤) Survey of International Affairs, 1924, P. 313.

وقد اقتضت ظروف الامام يحيى وعلاقته بالعثمانيين بعد أن عقد معهم صلح « دعان » فى سنة ١٩١١ ، عدم وقوفه الى جانب بريطانيا فى الحرب العالمية الأولى ، والتزامه الحياد ، وان بدا بين حين وآخر تعاطفه مع الأتراك • وكان لهذا الموقف أثره لدى الجانب البريطانى الذى كان يرقب بعين الحذر تطلعات الامام يحيى لبسط سيطرته على اليمن فى مطلع سنة ١٩١٩ باعتباره الوريث الشرعى لحكم العثمانيين هناك • وقد أساء البريطانيون التصرف عندما سلموا الحديدة الى منافسه الادريسى ، رغم أنها تعتبر المنفذ الطبيعى للهضبة اليمنية (١) • وقد وجد الامام يحيى لزاما عليه أن يعمل على استعادة موانى تهامه باجلاء منافسه الادريسى عنها ، مما جعله يدخل فى صراع ضد البريطانيين الذين مكنوا حليفهم الادريسى من احتلال تلك الموانى •

وقد اتخذ هذا الصراع بين الامام يحيى وبريطانيا صورتين احداهما حربية والأخرى دبلوماسية • وقد بدأ الصراع الحربى — فى رأى المصادر اليمنية — بمهاجمة الامام يحيى « للضالع » و « الشعيب » والأجعود والقطيب وغيرها من النواحى المحمية المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن (٢) ، وذلك فى أعقاب تسليم البريطانيين للحديدة الى الادريسى فى نهاية يناير سنة ١٩٢١ (٣) • بينما تشير المصادر البريطانية الى أن هجوم الامام يحيى على النواحى المحمية المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن انما بدأ فى أعقاب فشل بعثة « جاكوب » البريطانية وعودتها من « باجل » الى الحديدة على نحو ما يشير الى ذلك « جاكوب » نفسه بقوله : « يجب أن نقول أن الامام كان معتديا عندما عبرت جيوشه حدودنا القديمة ودخلت الضالع • وقد فعل ذلك عندما أحس بوجود تغير فى سياستنا نحوه عندما كانت بعثتى فى باجل • وأنا لا أدافع عن عمله هذا فى الضالع ، ولكن من السهل أن نعرف الدوافع التى اضطرته الى ذلك » (٤) •

وقد أيد أمين الريحانى رأى « جاكوب » هذا من ناحية أن هجوم الامام يحيى على النواحى المحمية المتاخمة لعدن فى جنوب اليمن كان نتيجة لفشل بعثة « جاكوب » البريطانية الذى أدى الى تولد الشك لدى الامام فى موقف بريطانيا ازاءه • كما أشار أمين الريحانى الى أن الامام يحيى كان مندهشا من

---

(١) Gavin, R. J. : Op. Cit., PP. 261, 262
(٢) عبد الكريم عبد الله الجرافى : المقتطف من تاريخ اليمن ، ص ٢٢٧ •
(٣) عبد الواسع الواسعى : المصدر السابق ، ص ٢٦٣ •
(٤) Jacob, H. F. : Op. Cit., P. 251.

سلبية موقف البريطانيين ازاء فشل بعثتهم وعدم توصلها للالتقاء به في صنعاء فقال : « وكانت النتيجة أن الامام ـ وقد رجح انقلاب الانجليز ـ بادرهم الى المعاملة بالمثل ، بل سبقهم الى ذلك فلجأ بعد أن نفذ درع السياسة الى السيف اذ أصدر أمره الى جيش الجنوب بالزحف على النواحي التسع المحمية ، وكان الامام في هذه السياسة أو الخطة الحربيةيقتدي بالانجليز ، فقد ضربهم في ناحية هي قريبة منه ليخرجهم من بلاد لا يصل سيفه اليها . ضربهم في نواحي المحمية ليخرجهم من الحديدة أو ليضطرهم أن يسلموها اليه » (١) • وهكذا فضل الامام يحيى مهاجمة البريطانيين في اقليم يهمهم من أجل أن يتخذه ركيزة يساوم بها البريطانيين ليخرجوا حليفهم الادريسي من الحديدة التي تهمه ، كما أن الامام كان يعتبر المناطق التي هاجمها ملكا له لأنها كانت تابعة لأجداده •

وكان لهجوم الامام يحيى على بعض النواحي التسع المتاخمة لعدن والمحمية من قبل بريطانيا ، رد فعل بعيد المدى لدى الحكومة البريطانية في لندن (٢). التي رأت ضرورة تغيير خطتها تجاه الامام • وقد اقتضت الخطة الجديدة تغيير خطتها تجاه الامام • وقد اقتضت الخطة الجديدة لبريطانيا تغيير المقيم السياسي البريطاني في عدن لفتح صفحة جديدة مع الامام يحيى (٣) ، مع اجراء بعض التعديلات في سياسة بريطانيا ازاءه عن طريق فتح باب المفاوضات معه ، وتقديم بعض الهدايا اليه ، ومطالبته بتعيين معتمد له في عدن (٤) . ومحاولة اجتذابه لتحويل تجارة اليمن الخارجية الى عدن لتصبح المنفذ الرئيسي لليمن بما يحقق مزيدا من الفائدة للمصالح البريطانية (٥) • وقد استقبل الامام يحيى هذا التغير الجديد في الموقف البريطاني بترحاب ، وأرسل القاضي عبد الله العرشي (٦) الى عدن ليكون معتمده هناك (٧) مما جعله يقيم فيها بصفة دائمة في عامي ١٩٢٢ و ١٩٢٣ (٨) •

---

(١) أمين الريحاني : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٩٧ •

(٢) Hansard's Parliamentary Debates, House of Lords, June 23rd 1926. Cols., 536 — 538.

(٣) C.O. 725 / 1, No 37933, Resident to S.S., 15 the July, 1921.

(٤) F.O. 371 / 7707, No., 5475, C.O. to F.O., 27 the May 1922

(٥) Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 263.

(٦) عبد الواسع الواسعي : المصدر السابق ، ص ٢٦٣ •

(٧) أمين الريحاني : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٩٨ •

(٨) Survey of International Affairs, 1925,P. 321.

غير أن هذه المفاوضات بين بريطانيا والامام يحيى لم ينتج عنها أى جديد نظرا لان بريطانيا لم تقم بأى عمـــل ايجابى من شأنه اجلاء الادريسى عن الحديدة وتسليمها للامام فى الوقت الذى كانت تقوم فيه بمطالبة الامام يحيى باخراج قواته من النواحى المحمية المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن (١) ولهذا ففى نهاية العامين المشار اليهما كتب الامام يحيى الى مندوبه فى عدن قائلا : « اذا استطعت أن تعيد فتح طرق التجارة ، وأن تتخلص من الادريسى فخيرا وحسنا ، واذا لم تستطع فعد الى صنعاء » (٢) · وكان يهدف الامام يحيى بذلك الى أشعار البريطانيين بضرورة اتخاذ موقف ايجابى باعادة الحديدة اليه بعد أن سلموها لمنافسه الادريسى قبل ذلك بعامين ، وأنه اذا لم يتم حسم هذا الموقف من جانب بريطانيا فان ذلك سيضطر الامام الى ضرورة العمـل على استرجاع الحديدة وتهامه من الادريسى مباشرة · وكانت تهامه تعتبر بالنسبة للادريسى خط دفاع أول بالنسبة لامارته فى عسير ، كما كانت تهامه تعتبر بالنسبة للامام يحيى جزء لا يتجزأ عن الهضبة اليمنية وتمثل المنفذ الطبيعى لها على البحر الأحمر وتكتمل بها دولته الجديدة · بل ان الامام يحيى كان يعتبر عسير نفسها جزءا من مملكته باعتبارها كانت تابعة لأجداده ، كما أنها كانت ضمن حدود ولاية اليمن العثمانية التى ورثها الامام يحيى عقب جلاء العثمانيين عنها فى مطلع عام ١٩١٩ (٣) ·

وجدير بالذكر أن الرحالة أمين الريحانى العـــربى الأصل والأمريكى الجنسية قام بزيارة الجزيرة العربية ومن بينها اليمن التى زار مدنها الهامة ، صـــنعاء حيث قابل الامـــام يحيى ، وجيزان حيث التقى بالادريسى ، وعـــدن حيث التقى بالقيادات البريطانية فيها ، وذلك فى سنة ١٩٢٢ أى فى بداية فترة ما بين الحربين العالميتين ·

وقـــد أتيحت لـــه الفرصة للقيام بعدة محاولات لتقريب وجهـــات النظـــر بين الأطـــراف المتنـــازعة ، والتى تمثلت فى الامـــام يحيى من جهة ، والبريطانيين وحليفهم الادريسى من جهة أخرى · وقد قام أمين الريحانى أثناء وجوده فى عدن بارسال عدة خطابات الى الامام يحيى ، يخبره فيها بما

---

(1) F.O. 371 / 7707, No. 7423. Details of discussions between Imam's representative Qadi al Arashi, and Major Reilly.

(2) Jacob, H.F. : Op. Cit., P. 248.

(٣) فاروق عثمان أباظة « دكتور » : سياسة بريطانيا فى عسير أثنـــاء الحرب العالمية الاولى ، ص ١٥ ·

توصل اليه من نتائج (١) وكان أمين الريحاني يرى أن من الأفضل — في ضوء الأوضاع التي لمسها في اليمن حينذاك — أن يقصر الامام يحيى مطالبه على استرجاع الحديدة فقط ، دون الاصرار على طرد الادريسي من عسير كلية ، كما طلب أمين الريحاني من الامام يحيى الموافقة على عقد مؤتمر في الحديدة أو عدن يجمع الأطراف الثلاثة المتمثلة في الامام يحيى من جهة ، والادريسي والبريطانيين من جهة أخرى • غير أن الامام يحيى رفض مقترحات أمين الريحاني وأصر على أن الادريسي في حقيقة أمره دخيل وليس له أية حقوق في اليمن وبذلك تنتفي عنه — أي عن الادريسي — أية صلاحية للدخول في تفاوض معه — أي مع الامام يحيى (٢) •

وقد أدى فشل هذه المساعي الى جانب سلبية الموقف البريطاني الى توجه الامام يحيى الى مواصلة مجهوداته الحربية لبسط سيطرته على قبائل تهامة تمهيدا لمواجهة الأدارسة واجبارهم على الانسحاب من الحديدة وتعقبهم لاسترجاع عسير وضمها الى ملكه الجديد • وقد ساعد الامام يحيى على تحقيق

---

(١) الرحالة أمين الريحاني « ١٨٧٦ — ١٩٤٠ » لبناني الاصل ، أمريكي الجنسية ، نشأ في الولايات المتحدة الامريكية ، وقام بزيارة أوربا والبلاد العربية في أعقاب نهاية الحرب العالمية الأولى • وترجع رحلته الأولى الى البلاد العربية الى سنة ١٩٢٢ حيث زار الحجاز واليمن والبحرين ونجد والكويت والعراق ، وكتب على أثر هذه الرحلة كتابه « ملوك العرب » الذى صدرت طبعته الأولى في سنة ١٩٢٤ والثانية في سنة ١٩٢٩ والثالثة في سنة ١٩٥١ في بيروت • وقد أوضح أن غرضه من رحلته هو مشاهدة البلاد العربية ليؤلف كتابا فيها وفي أهلها ، ولكنه قال أنه رمى الى غرض آخر أيضا وهو أن يعرف ملوك العرب بعضهم ببعض ليحل التفاهم بينهم محل النزاع ، وبذلك يكون قد خدمهم • (أنظر : « ملوك العرب» ص ١ — ٢٠ — ٨٥ — ١١٦) • كما زار الريحاني الحجاز ثانية في سنة ١٩٢٤ ليصلح ما بين عبد العزيز آل سعود والشريف على عاهل الحجاز حينذاك • وعلى أثر هذه الرحلة الثانية كتب مؤلفه « تاريخ نجد الحديث وملحقاته » ومقاليه « بعض أمراء العرب » و « فتح الاحساء » • كما سجل رحلاته في جزيرة العرب في كتابيه باللغة الانجليزية :

— " Arabian Peak and Desert, Travels in Al-Yaman ".

— " Around the Coasts of Arabia ".

— نازك سابارد (دكتور) : الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة ، ص ٣٠٦ — ٣٠٧ •

(٢) Rihani, A. : Arabian Peak and Desert, PP. 239 — 241.

غايته هذه وفاة السيد محمد الأدريسى نفسه فى اليوم العشرين من مارس سنة ١٩٢٣ (١) ، وحل محله ابنه على الذى أدى صغر سنه وضعف شخصيته وسوء ادارته الى قيامه باقصاء كل رؤساء الحكومة التى أسسها والده من ذوى الخبرة والدراية (٢) ، كما أثار المنازعات الشخصية داخل الأسرة الأدريسية مما أدى الى انهيارها نهائيا فى وقت قصير • فقد سيطر السيد مصطفى ابن عم الأمير على على الامارة الأدريسية فى ربيع سنة ١٩٢٤ وأبعد الأمير على مؤقتا عنهـا (٣) • غير أن الأخير تمكن من اســتعادة العاصمة « صبيا » و « الحديدة » فى أكتوبر سنة ١٩٢٤ • وقد تكررت هذه المحاولة من قبل السيد حسن عم الأمير على فى مطلع سنة ١٩٢٦ وتمكن من اقصاء ابن أخيه عن الامـــارة • وانتهى الأمـــر بلجوء الأمير على فى مارس ســنة ١٩٢٦ الى البريطانيين حلفاء والده فى عدن • وقد أدت هذه الانقسامات داخل صفوف الادارسة الى اتاحة الفرصة لقيام الحجازيين باحتــلال عدة جهات من عسير الداخلية ، كما احتل أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب « الحقوة » التى تبعد ثلاثين ميلا الى الشمال الشرقى من « صبيا » ، وأطلقوا سراح الرهائن الذين كان قد اعتقلهم الادريسى ضمانا للسكينة ، كما احتلوا أيضا « بيشه » الواقعة على بعد خمسة وعشرين ميلا شمالى « صبيا » •

وقد حدث ذلك فى نفس الوقت الذى ركز فيه الامام يحيى هجماته على تهامه ، وحقق انتصارات كثيرة ، كان من نتائجها أن أحد كبار قواد الأمير على وهـــو الشريف الحزمى انضـــم الى الامام يحيى وأخذ يقـــاتل الامير عـــلى الادريسى قرب « باجل » ، كما أثار عليه أحد كبار شـــيوخ قبائل « ألمع » ، والشيخ هادى الهايج رئيس العشــــائر النازلة على الطـــريق الموصل بين « أبى عريش » و « الحديدة » ، فضلا عن امتناع عشائر صبيا أيضا عن مساندة الأمير وقد واصل الامام يحيى انتصاراته فى تهامة شمالا وجنوبا (٤) بعد أن وجه قسما من جيشه الى « باجل » وزحف قسم آخر من جيشه الى جبل « برع واحتل الحمره » • وقد أحدث ذلك حالة من التوتر فى تهامة نتج عنها تلقى تجار عدن برقياتكثيرةمن عملائهـم فى الحديدة عن طـــريق جزيرة « قمران » يحذرونهم فيها من ارسال بضائع الى الحديدة ، خاصــــة بعد أن

---

(١) Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 264.

(٢) عبد الله عبد الكريم الجرافى : المصدر السابق ، ص ٢٣٣ •

(٣) محمد بن أحمد عيسى العقيلى : المخلاف السليمانى أو الجنـوب العربى فى التاريخ ، جـ ٢ يشتمل تاريخ المخلاف السليمانى ، عسير ، تهامه ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ •

(٤) C.O. Reg. No. 57193, Resident to S.S.C., 9 December 1925.

عزلتها الهجمات المستمرة لقوات الامام يحيى • وأخيرا اضطر قائد قوات الادريسي الى الخروج من الحديدة بعد أن تركها في عهدة رئيس عشيرة « العبس » ريثما يصل الامام يحيى من « باجل » ليستلمها • وكان هذا القائد قد أرسل الى « جيزان » سبعين ألف ريال فضة من حصيلة دخل الادارة الادريسية في الحديدة قبل خروجه منها • وقد قام رئيس عشيرة «الوعيدات» المحالف للامام يحيى باحتلال « سوق سبل » التى تبعد عشرين ميلا عن « ميدى » الى الداخل • وقد أغرت هذه الانتصارات الامام يحيى على مواصلة عملياته الحربية لاستعادة عسير ، ولهذا قام بتجنيد عدد كبير من الرجال في منطقة « باجل » و « الحديدة » ، ليواصل زحفه الى عسير التى انسحب اليها الأدارسة عقب سقوط الحديدة في أيدى اتباع الامام • وقد أدت انتصارات الامام يحيى على الادارسة في تهامة الى أن شيوخ قبيلة الزرانيق القوية دخلوا الى مدينة « الحديدة » وعقدوا صلحا مع حاكمها الجديد من قبل الامام • وقد تمكنت قوات الامام يحيى من السيطرة على موانى تهامة « كابن عباس » و « الصليف » و « اللحية » و « ميدى » وكذلك بعض المدن التهامية وخاصة (الضحى) و (الزهراء) و (المغيرة) و « الزيدية » و « المراوغة » ، وعين الامام يحيى عمالا عليها من قبله (١) •

وهنا سارع السيد حسن الادريسي بالاتصال بعبد العزيز آل سعود في شهر فبراير سنة ١٩٢٦ • يعرض عليه اعترافه بالحماية السعودية على عسير اذا تقدم لانقاذه من هجمات قوات الامام يحيى • غير أن عبد العزيز آل سعود عارض هذا الاقتراح ، وأصر على أن يبقى محايدا ، وقام بسحب حامياته ــ التى ساعدت الأمير حسن الادريسي في الوصول الى حكم عسير ــ من « صبيا » و « وجيزان » الى « أبها » •

وكان عبد العزيز آل سعود يرى عدم اثارة حروب توسعية حينذاك ، خاصة وأنه لم يكن قد انتهى بعد من حروبه في الحجاز ، في الوقت الذى كان يرغب فيه توطيد حكمه في المناطق التى يسيطر عليها • ولهذا حاول الأمير حسن الادريسي التفاوض مع الزيديين ــ الذين تمكنوا من محاصرة مدينتى « صبيا » و « جيزان » في خريف سنة ١٩٢٦ على أساس أن تحتفظ الامارة الادريسية بسياستها الداخلية الى جانب اعترافها بالسيادة الزيدية عليها • غير أن هذه المفاوضات باءت بالفشل ، مما اضطر حسن الادريسي أن يعقد « معاهدة مكة المكرمة » مع عبد العزيز آل سعود في الحادى والعشرين

---

(١) عبد الواسع الواسعي : المصدر السابق ، ص ٢٧٤ •

من أكتوبر سنة ١٩٢٦ (١٤ ربيع الآخر سنة ١٢٣٥ هـ) • وقد قبل الأمير حسن بموجب هذه المعاهدة الحماية السعودية على عسير ليتجنب بهـا اضرار الامام يحيى على فرض سيطرته على عسير (١) • وتعتبر هذه الاتفاقية بداية مرحلة جديدة ، ليس في تاريخ عسير فحسب ، بل وأيضا في تاريخ العلاقات السعودية اليمنية • اذ أصـبحت الدولتان وجها لوجه ، وبدأت مصـالحهما تتماس عن كثب ، خاصة وأن الامام يحيى « كـان يتطلع الى حـدود اليمن التاريخية وعبـر عن هذه الأماني لكثير من الـزوار الأجانب ــ وتعني هذه الحدود التاريخية امتداد اليمن شمالا حتى جنوب مكة (٢) •

ولهذا فان مشكلة عسير لم تنته بالنسبة للامام يحيى رغم نجاحه في استرجاع تهامة حتى ميناء « ميدى » شمالا ، وذلك نظرا لدخول عنصر جديد قوى في الميدان ــ تمثل في عبد العزيز آل سعود (٣) ــ قبل أن يسدل الستار على الفصل الاخير من هذه الأحداث التي شهدها اليمـن في العشرينات من القرن الحالي • ويذكرنا هذا الموقف بالبرقية التي أرسلها أمين الريحاني قبل أن يغادر عدن الى الامام يحيى والتي حذره فيها وطالبه بعدم الاصرار عـلى طرد الأسرة الادريسية نهائيا من عسير ، لأن نتيجة ذلك ستكون ضد مصالحه ، اذ أنها ستجعله يواجه قوة جديدة ــ هي قـوة عبد العزيز آل سـعود ــ بشكل مباشر (٤) •

أما بالنسبة لتطور العلاقات البـريطانية اليمنية ، فاننـا نجد أن هذه العلاقات قـد أخذت وجها جديدا بعد أن أخضع الامام يحيى تهـامه لحكمه واسترد موانيها الهامة وفي مقدمتها الحديدة في شهر ابريل سنة ١٩٢٥ دون أن يتلقى أية مساعدة من قبل بريطانيا ، التي كان يأمل أن تساعده بعد أن أصبح وريثا لحكم العثمانيين ، الذى كان يشكل من قبل تهديدا للمصالح البريطانية فياليمن بعد انضمام الدولة العثمانيةالى دولوسط أوربا أثناء الحرب العالمية الاولى • غير أن البريطانيين لم يكـونوا مطمئنين الى طموحات الامام يحيى لتوسيع منطقة نفوذه بما يؤثر على مركزهم في جنوبي اليمن ، ولهذا لم

---

(١) أحمد حسين شرف الدين : المصدر السابق ، ط ٣ ، (انظر نص المعاهدة السعودية الأدريسية) ، ص ٢٨٤ ــ ٢٨٥ •

(٢) صلاح العقاد (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٦٤ •

(٣) بنواميشان : عبد العزيز آل سـعود ، سيرة بطل ومولد مملكة ، ص ١٩٠ •

(٤) Rihani, A. : Arabian Peak and Desert, PP. 240 — 241.

يحرصوا — من جانبهم — على التفاهم معه . بل أنهم أساءوا التصرف عندما سلموا الحديدة لحيفهم الادريسى ، مما اضطر الامام يحيى الى محاربة الأدارسة واستعادتها منهم فى شهر أبريل سنة ١٩٢٥ · وكان البريطانيون قد أوقفوا نهائيا مساعداتهم للأدارسة بالأسلحة والذخيرة فى شهر مارس من نفس السنة (١) · بعد أن تبينوا أن كفة الامام يحيى قد رجحت على كفتهم (٢) وبسيطرة الامام يحيى على تهامة أصبح فى استطاعته الاتصال بالعالم الخارجى ليحصل على المعونات المختلفة ، سلمية كانت أو حربية ، فضلا عن ازدهار تجارته فى ميناء الحديدة ·

وكانت ايطاليا فى ارتيريا على الساحل العربى للبحر الأحمر المواجه لليمن تتطلع لأن يكون لها وجود تجارى فى الأراضى اليمنية ، عن طريق الاتفاق مع السيد الجديد الذى ورث حكم العثمانيين هناك · وسيكون لاتصال الامام يحيى بالايطاليين أبلغ الأثر فى تطور العلاقات البريطانية اليمنية فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، اذ أخذت فيه هذه العلاقات وجها جديدا تتضح ملامحه فى الصفحات التالية ·

لقد نشرت صحيفة « الأهرام » القاهرية عن « التيمز Times اللندنية فى الثامن والعشرين من مايو سنة ١٩٢٥ خبرا هاما له دلالته ، اذ يعبر بوضوح عن أهم نتائج وصول نفوذ الامام يحيى الى موانى البحر الاحمر مما أتاح له فرصة الاتصال بالعالم الخارجى ومؤداه أنه : « يؤخذ من الأنباء الواردة من الحديدة أن رسل الامام يحيى عادوا من مهمة خاصة فى مصوع (التى كانت تحت سيطرة الايطاليين حينذاك) وأحضروا معهم جهازا للتلغراف اللاسلكى ، وبعض أطباء ايطاليين ، وقنصل ايطالى » (٣) · وكان هذا الاتصال اليمنى بداية لعلاقات طويلة وهامة كان لها أثرها الواضح فى تاريخ اليمن الحديث · غير أن هذا الاتصال كان له أبلغ الأثر فى تطور العلاقات البريطانية اليمنية ، ذلك لأنه كان يعنى ظهور منافس قوى للبريطانيين يمكن للامام يحيى أن يستعين به · وقد شعر البريطانيون بالخطر فعلا ، مما جعل بعض الخبراء البريطانيين العارفين بقضايا اليمن يقدمون نصائحهم للحكومة البريطانية لاتباع السياسة الصحيحة فى هذا المجال فى

---

(١) C.O., 725/7, No. 13965, S.S. to Resident, 27th March 1925.

(٢) Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 272

(٣) صحيفة الأهرام : العدد رقم ١٤٦٨٠ ، الصادر فى ٢٨ مايو سنة ١٩٢٥ ، ص ٣ ·

ضوء الظروف الجديدة التى طرأت على المنطقة • اذ نشرت صحيفة (الاهرام) أيضا عن « التيمز » اللندنية مقالا « للكولونيل هارولد جاكوب » المساعد الأول للمقيم السياسى البريطانى فى عدن ، والذى كان خبيرا بشئون المنطقة، جاء فيه : « ان أغراض الامام يحيى سلمية ، وهو يتوق منذ عقد الهدنة الى الاتفاق مع الحكومة البريطانية ، ولكن العقبة الكؤود كانت تسليم الحديدة ، التى هى مفتاح اليمن ، الى منافسه السيد الادريسى • وقد أعرب الامام يحيى منذ أعوام عديدة عن تفضيله الحكومة البريطانية على جميع حكومات الدول الأخرى • وهو يعمل لترقية التجارة فى بلاده . وبلاد اليمن أغنى ولاية فى الجزيرة العربية • وقد استولى الامام يحيى فى الأيام الأخيرة على الحديدة ، نعم أنه من المحتمل أن يكون زمن المعاهدات قد مضى ، ولكن الحاجة تدعو – كما أبلغنى الامام يحيى نفسه بصريح العبارة – الى الاعتراف باستقلاله . واظهار حسن نيتنا نحو أمانيه ، ولا يمكن أن يصدق أحد أننا نتلكأ عن ذلك بعد الآن لاسيما أن هناك مصالح نرعاها وهى عرضة للخطر • فاذا اتفقنا مع الامام يحيى فانه لا يعامل الا البريطانيين فقط ، وفى ذلك فائدة متبادلة تعود على الفريقين (١) • وهكذا حث « جاكوب » حكومته على ضرورة الاتفاق مع الامام يحيى حتى تقتصر معاملاته مع البريطانيين ، وحتى لا يتفق مع أية قوى أخرى منافسة ، على نحوما تواتر من أنباء حول اتصالاته بالايطاليين فى ارتيريا على الساحل الغربى للبحر الاحمر المواجه لبلاده • وسيكون كل ذلك دافعا لبريطانيا على تجديد اتصالاتها مع الامام يحيى ، وستشكل هذه الاتصالات مرحلة جديدة من مراحل تطور العلاقات البريطانية اليمنية بين الحربين العالميتين •

– بعثة « جلبرت كلايتون » البريطانية الى الامام يحيى (١٩٢٦) :

حرصت بريطانيا على تجديد اتصالاتها مع الامام يحيى فى منتصف العشرينات من القرن الحالى لاستقطابه الى جانبها والتوصل معه الى اتفاق يضمن تحقيق مصالحها فى النواحى التسع المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن ، ويحول دون تحول الامام الى محالفة أية قوى أخرى تشكل خطرا على المصالح البريطانية فى اليمن حينذاك • وقد فعلت بريطانيا ذلك استجابة لنصح خبرائها فى الشئون العربية عامة واليمنية خاصة من جهة ، وتجاوبا مع طبيعة التغير الذى طرأ على مركز الامام يحيى ، الذى دعمته سيطرته على تهامة واسترجاعه للحديدة ، فضلا عن اتصالاته مع الايطاليين الذين منوه

(١) صحيفة الأهرام : العدد رقم ١٤٧٢٨ . الصادر فى ١٤ يولية سنة ١٩٢٥ •

بالمساعدة لتحقيق أهدافه من جهة أخرى • وقد اتخذت بريطانيا موقفا حاسما عندما أرسلت « سير جلبرت كلايتون .Sir Gilbert Clayton الى صنعاء في ربيع سنة ١٩٢٦ للتفاوض مع الامام يحيى من أجل حل مشكلة الحدود بين منطقتى نفوذ الامام والبريطانيين فى جنوب اليمن (١) • ووقع اختيار بريطانيا على « كلايتون » هذه المرة للقيام بهذه المهمة نظرا لنجاحه فى مناوضاته مع عبد العزيز آل سعود والتى أدت الى حل مشكلات حدوده الشمالية مع العراق وشرق الأردن (٢) • وقد كانت بعثة « جلبرت كلايتون » الى الامام يحيى محط اهتمام الحكومة البريطانية ، ومثار كثير من المناقشات فى مجلس اللوردات البريطانى » " House of Lords. " فقد أجاب « اللورد كيرنون » على تساؤل « للورد لامنجتون » بخصوص الوضع فى جنوب الجزيرة العربية بعد وصول الامام يحيى الى حكم اليمن عقب جلاء العثمانيين عن بلاده ، وقيامه باحتلال بعض أجزاء من النواحى التسع المحمية المتاخمة لعدن ، وحتى ارسال بعثة « كلايتون » اليه ، فقال : « وتدور المفاوضات منذ مدة طويلة بين الامام يحيى والسير جلبرت كلايتون ، الذى قابله الامام بمظاهر الحفاوة ، وكرر له رغبته فى توطيد دعائم الصداقة بينه وبين بريطانيا ، وأعرب عن رجائه فى أن تسفر المفاوضات عن تسوية مرضية فى النهاية • وتهتم الحكومة البريطانية اهتماما عظيما بتقرير السير جلبرت كلايتون لأنها تتوق الى عقد اتفاق مرض فى أقرب وقت ممكن » (٣) •

غير أن هذه المفاوضات بين « كلايتون » والامام يحيى ، لم تؤد الى النتائج المرجوة منها ، اذا عادت البعثة البريطانية الى عدن دون أن تصل الى حلول مرضية لمشكلة الحدود بين الجانبين اليمنى والبريطانى فى جنوب اليمن (٤) • اذ تشدد الامام يحيى فى مطالبه أثناء المفاوضات باصراره على تأكيد حقوقه فى النواحى التسع المحمية المتاخمة لعدن باعتبارها جزءا لا يتجزأ من اليمن التى ورثها عن أجداده (٥) ، كما أنه هو وأجداده من قبله لم يعترفوا بالمعاهدات التى عقدها البريطانيون مع سلاطين وأمراء وشيوخ

---

(١) Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 272.

(٢) السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث . ص ٢٩٨ •

(٣) Hansard's Parliamentary Debates, ouse of Lords, June 23 rd. 1926, Cols.. 539 — 541.

(٤) أمين سعيد : اليمن ، ص ٦٤ •

(٥) Gavin, R.J. : Op. Cit., PP. 272, 273.

النواحي التسع المتاخمة لعدن ، فضلا عن عدم اعترافه باتفاقيات العثمانيين مع بريطانيا بشأن تحديد الحدود بين منطقتي نفوذ الجانبين في جنوب اليمن والتي عقدت قبيل قيام الحرب العالمية الأولى (١) ٠

وقد علق « جورج أنطونيوس » ـ أحد أعضاء بعثة « كلايتون » البريطانية الى الامام يحيى ، وصاحب كتاب « يقظة العرب » (٢) عن زيارة البعثة للامام يحيى بقوله : « لقد لاحظنا في الامام عدم الرغبة في التفاهم ، وبعد ما أقمنا ستة وعشرين يوما لديه ، نفاوضه ونسعى لاقناعه بفائدة الاتفاق والتعاون غادرنا صنعاء لأننا شعرنا بأنه لا فائدة ترجى من اطالة الاقامة » (٣) ٠ وكانت دوافع الامام للموقف هذا الموقف شعوره بنشوة الانتصار على الأدارسة واسترجاع موانى تهامة منهم دون أى مساعدة من قبل بريطانيا (٤) كما أن بعض مستشارى الامام شجعوه على أن يتجه الى ايطاليا في ارتيريا ، خاصة وأن تاريخها معه كان مايزال نظيفا ، مما شـجعه على أن يخوض تجربته معها ليحظى بمساندتها (٥) حتى يتمكن من مساومة البريطانيين الطامعين في الاحتفاظ بالنواحي التسع المتاخمة لعدن في جنوبي اليمن ، في الوقت الذى بدت فيه ايطاليا في علاقتها معه في غاية البراءة . وأنها على اسـتعداد لمساعدته بالأسلحة والمعدات وغيرها دون مقابل ٠

وقد ترتب على فشل بعثة « كلايتون » البريطانية في التوصل الى اتفاق مع الامام يحيى في ربيع سنة ١٩٢٦ عدة نتائج بدت واضحة لدى الجانبين البريطاني واليمني ٠ فقد بدأ البريطانيون يتخذون موقفا متشددا مع الامام يحيى أكثر من ذى قبل خاصة بعد تقربه من ايطاليا وعقده معها معاهدة صداقة وتجارة في شهر سبتمبر سنة ١٩٢٦ ٠ كما ظهرت لدى البريطانيين دعوات صريحة لاصلاح وتعديل سياستهم في الجزيرة العربية ، عبرت عنها صحيفة « الأهرام » القاهرية نقلا عن « التيمز » اللندنية التي نشرت مقـالا كتبه « لورد لامنجتون » وأبدى فيه استياءه من احتلال الامام يحيى للنواحي المحمية المتاخمة لعدن في جنوبي اليمن ، ومن الخزى الذى منيت به بريطانيا أمام القبـائل اليمنية التي كان على البريطانيين أن يقوموا بحمايتها ٠ وقال

---

(١) Reilly, R. :Op. Cit., P. 17

(٢) Antonius, G. : The Arab Awakening, P. 340.

(٣) أمين سعيد : المصدر السابق ، ص ٦٤ ٠

(٤) Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 272.

(٥) Philby, H. : Saudi Arabia, P. 333.

« لامنتجون » فى هذا المقال : « ان العلة الأساسية لوجودنا (أى البريطانيين) فى هذا الموقف المهين ، هو أن تلك البلاد تابعة لوزارة المستعمرات ، ولكن حكومة الهند هى التى تعين الوالى البريطانى فيها وهو خاضع لحكومة بومباى فيجب أن تكون البلاد والوالى فيها تابعين لادارة خاصة تنشأ للاشراف على شئون الشرق الادنى ، أو لوزارة الخارجية ، ولابد من أمرين لبلوغ النجاح فى معالجة شئون الشرق الأدنى : الأول ، أن تترك وزارة المستعمرات بلدانا كان يجب أن لايكون لها شأن فيها • والثانى ، أن ينظم سلك خاص من الموظفين للخدمة فى أية ناحية من جزيرة العرب،ويشترط فيهم أن يحسنوا اللغةالعربية، وليس فى هذا القول ما يشين موظفى وزارة المستعمرات ، بل هو موجه الى سوء النظام • ان شبه جزيرة العرب قطعة عظيمة يسكنها عنصر واحد يتكلم لغة واحدة ويدين بدين واحد ، ولكن شئونه تعالجها ثلاث سلطات مختلفة » (١) •

كما ظهرت أيضا فى نفس الوقت وجهات نظر بريطانية تخفف من مخاوف البريطانيين وتركز اهتمامها على المصالح الجوهرية لبريطانيا فى اليمن ، وتحمل معنى التساهل مع الامام يحيى طالما أن ذلك لا يؤثر على تلك المصالح • فهى تعتبر « أن اليمن من الوجهة السياسية لا يحتوى على أقل خطر يهدد الامبراطوية ، وما دامت بريطانيا تحتل عدن وجزيرة بريم فلا يمكن أن يهدد الامام طريق المواصلات فى الامبراطورية » • ولهذا فان وجهات النظر البريطانية هذه تدعوا الى التخلى عن حقوق بريطانيا فى المحميات للامام مما يخفف عن الأعباء التى تتحملها الخزانة البريطانية من جهة ، كما أن « حكومات ومشايخ القبائل المحمية لا تعير المقيم البريطانى فى عدن الا اهتماما ضئيلا ، وأنها تصرف أمورها وفقا لتقاليدها القديمة » (٢) ، من جهة أخرى •

بل ان « هارولد جاكوب » المساعد الأول للمقيم السياسى البريطانى فى عدن كان ينادى بهذا الرأى — فى كتابه الصادر فى سنة ١٩٢٣ وعنوانه « ملوك العرب " Kings of Arabia " قبل ارسال بعثة « كلايتون » البريطانية الى الامام يحيى والتى منيت بالفشل فى ربيع سنة ١٩٢٦ ، فقد قال أن بريطانيا تدفع آلاف الروبيات الهندية سنويا لرؤساء المحميات على شكل مشاهرات أو هدايا ، ولكنها لا تحصل على مقابل مناسب لهذه المصروفات •

---

(١) صحيفة الأهرام : العدد الرقم ١٥٠٧٠ ، الصادر فى ٢٠ أغسطس ١٩٢٦ ، ص ٣ •

(٢) صحيفة الاهرام : نقلا عن « التيمز » اللندنية • العدد رقم ١٥٠٦٤ ، الصادر فى ١٣ أغسطس سنة ١٩٢٦ ، ص ٣ •

فهم يأخذون هداياها بكلتا يديهم ولكنهم لا يشـــكرونها على ذلك ، فهـــم لا يريدونها فى بلادهم ، كما أنهم يذهبون الى عدن فى حرية تامة ، ولكن لا يجذبهم الى هناك الا المنح والهبات ٠

ورغم أن « جاكوب » كتب كثيرا عن عداء أتباع المذاهب والمعتقدات المختلفة فى اليمن لبعضهم البعض ، فانه كان يرى أنهم جميعا « ســـوف يجتمعون حول حاكم عربى قوى يستطيع أن يعيـد ويدعم المملكة اليمنية السابقة ، حيث كانت الحكومة العادلة المنصفة تمتد ـ ذات مرة ـ على كل الزيديين والشافعيين معا » ٠ ولهذا فانه يفضل أن تراعى بريطانيا مصالحها بشكل عملى فيقول : « ان مصالح انجلترا فى هذا الاقليم يمكن أن ترتكز فى تدعيم مركزنا فى عدن ، وترك الداخل يتطور فى خط عربى ، وان انجلترا يمكنها أن تنجح فى بسط نفوذها بانجاح تجارتها فى المنطقة ، فهى لم تستطع استغلال كل طاقتها التجارية فيما بعد » ٠ ومن هنا فقد رجح « جاكوب » أن السياسة البريطانية فى اليمن « يجب أن تكون : الربح دون الاستيلاء ، العمل بدون اثبات وجودنا ، التطوع بدون السيطرة ، فوقت تدخلنا قد مضى ، وسياسة فرق تســـد لا قيمة لها بالنسبة لنا ٠ كما أن الاحتفاظ بالعرب الذين يأخذون المشـــاهرات فى وجه حاكم عربى ناهض ، معناه أننا ندفع الاسلام ضد الاسلام ٠ فعدن فقط هى الاراضى البريطانية ، وهى معزولة فى ركن واحد ، لذلك فان تجزئة الداخل لا يهمنا كثيرا »(١) ٠

ـ التقارب اليمنى الايطالى وأثره على العلاقات البريطانية اليمنية :

أسفر فشل بعثة « كلايتون » البريطانية فى التوصل الى اتفاق مع الامام يحيى فى ربيع سنة ١٩٢٦ عن ظهور آثار عكسية عنيفة على الجانب اليمنى، كان أبرزها ظهور التقارب اليمنى الايطالى الذى سيكون له تأثير واضح على تطور العلاقات البريطانية اليمنية فى فترة ما بين الحربين العالميتين ٠ اذ أرسل الامام يحيى الى حاكم ارتيريا الايطالى ليبعث بمندوبيه الى صنعاء « ليقتطفوا ثمرة فشل بريطانيا » ٠ وكان من الطبيعى أن تســارع ايطاليا الى تلبية دعوة الامام يحيى التى كانت تتفق وتحقيق المصالح الايطالية على الساحل الشرقى للبحر الأحمر وهو ما كانت تتطلع ايطاليا الى تحقيقه ٠ ولهذا وصلت الحديدة (فى أوائل سبتمبر سنة ١٩٢٦) بعثة ايطالية برئاسة حاكم أسمره (غاسبارينى)

(1) Jacob, H. F. : Op. Cit., P. 245.

وسافرت الى صنعاء لمقابلة الامام يحيى ٠ وكان من جملة الهدايا التى تحملها للامام « سيارة وطيارة » (١) ٠

وقد قوبلت هـــذه البعثة الايطالية بحفاوة بالغة من قبل الامام يحيى وأتباعه ، على نحو ما يشير الى ذلك المؤرخ الزيدى الشيخ عبد الواســـع الواسعى ، فيقول : « وفى هذه السنة (١٢٤٥ هـ ٠ وهى توافق ســنة ١٩٢٦ م) وصل الى صنعاء سعادة الوالى الفخيم حاكم المستعمرات فى الارتيريا غاسبارينى لمقابلة الامام ، وقد حصل له الاستقبال الباهر من يوم خروجه من الحديدة الى أن وصل صنعاء ٠ وكان فى كل محطة يستقبل قبائل تلك الجهات ، وفى صنعاء خرج لاستقباله أكابر صنعاء وسائر الطبقات ، وثلة من العسكر والموسيقى فى ساحة المنزل الذى أعد لنزوله فيه للضيافة فى بئر العزب ٠ وكان معه جملة من أكابر رجاله ، منهم وكيله القومندد اثورى تلامونتى (٢) ٠ وواضح أن هذا الاهتمام الزائد بالبعثة الايطالية كان يعبر عن موقف الامام يحيى حينذاك ، ليس ازاء ايطاليا فحسب ، بل وأيضا ازاء بريطانيا ٠ ذلك لأن الامام كان يرى أن تقربه لايطاليا انما يمثل السبيل الأمثل لتحقيق مطالبه فى النواحى التسع المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن (٣) ٠ وذلك اما بالاســـلوب الحربى عن طريق قيام ايطاليا بتزويده بالســـلاح والعتاد (٤) ، أو بالاسلوب السلمى حيث تشكل صداقته معها أفضل سبيل لمساومة البريطانيين للتوصل الى اتفاق يحقق له ما أعلنه من مطالب ٠

وقد توصلت بعثة « غاسبارينى » الايطالية الى عقد معاهدة مع الامام يحيى فى اليوم الثانى من سبتمبر سنة ١٩٢٦ (٥) ، وتعتبر أول معـــاهدة عقدها الامام يحيى مع دولة أجنبية منذ جلاء العثمانيين عن بلاده ، فى مطلع سنة ١٩١٩ ، كما كانت أول اعتراف دولى باستقلال اليمن وأول وثيقة دولية تطلق على الامام يحيى لقب « ملك » (٦) ٠ ولا شك أن هذا اللقب كان يهم الامام يحيى من الناحية الســياسية ، على الرغم من أنه ظل يحتفظ بلقبه

---

(١) صحيفة الأهرام : نقلا عن « التيمز » اللندنية ، العدد رقم ١٥٠٨٥ الصادر فى ٧ سبتمبر سنة ١٩٢٦ ، ص ٣ ٠
(٢) عبد الواسع الواسعى : المصدر السابق ، ص ٢٧٥ ٠
(٣) السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، ص ٣٠٣ ٠
(٤) صلاح العقاد (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٦٥ ٠
(٥) Hurewitz, J. C. : Op. Cit., Vol. 2., PP. 146 — 147.
(٦) عبد الواسع الواسعى : المصدر السابق ، ص ٣٤٥ ـ ٣٤٨ ٠

القديم « كامام » حتى يحافظ على مكانته الدينية كامام للزيدية · كذلك تعتبر هذه المعاهدة تتويجا لمجهودات ايطاليا الدبلوماسية فى جنـــوب غرب الجزيرة العربية حيث عملت من أجل تحقيق ذلك بعد نجاحها فى تأسيس مستعمرتها فى ارتيريا فى شهر مارس سنة ١٨٩٠ (١) · اذ حرصت ايطاليا على أن تكون لها علاقات تجارية مع اليمن بما فيها موانئ عسير ومحمية عدن، كما كان لايطاليا مركزا تجاريا فى صنعاء يقيم فيه أحد التجار الايطاليين · وقد حاولت ايطاليا التقرب الى الامام يحيى عن طريق سلطان لحج لاثارته ضد الأتراك أثناء هجوم قواتها على طرابلس الغرب فى سنة ١٩١١ · ولكنها فشلت فى ذلك خاصة بعد أن عقد الامام يحيى صلح « دعان » مع الدولة العثمانية فى نفس السنة (٢) · ولهذا اتجهت ايطاليا الى عقد معاهدة مع الادريس فى تلك السنة أيضا لينـــاوىء الترك فى عسير بما يحول دون ارسال قوات عثمانية من الجزيرة العربية الى طرابلس الغرب الأمر الذى كان من شأنه أن يضعف المقاومة العثمانية هناك (٣) ·

بل ان الايطاليين دخلوا كذلك فى تنافس مع بريطانيا عندما اعتقدوا أن منطقة حضرموت يمكن أن تصبح ميدانا خاليا خصبا لنشاطهم ، غير أن بريطانيا صدتهم عن القيام بذلك نظـــرا لأن حضرموت كانت واحدة من محمياتها فى جنوب اليمن · ولهذا لم يكن غريبا أن تتطلع ايطاليا فى لهفة الى الوثوب على موانى الساحل اليمنى المطل على البحر الأحمـــر والمواجه لمستعمرتها فى ارتيريا · وقد ذكر « هارولد جاكوب » المساعد الأول للمقيم السياسى البريطانى فى عدن أن كاتبا ألمانيا قد عبر عن هذه الرغبة الايطالية فى سنة ١٩١٣ بقوله : « منذ قرن مضى استطاع الانجليز أن يجعلوا أنفسهم أسيادا فى عدن ·· والآن ترمى ايطاليا نظراتها المتطلعة الى شاطىء العربية الأخضر » (٤) · وقد أقام الايطاليون مســـتشفى فى الحديدة كانت تقدم المساعدات الطبية لليمنيين ، غير أن قيام الحرب العالمية الأولى أدى الى انهاء نشاطها · وتجدر الاشارة أيضا الى أن مستعمرات الايطاليين فى شرقى أفريقيا كانت مجالا لهجرة الكثيرين من عرب الجزيرة سعيا وراء الرزق · وقد هيأ ذلك الفرصة للايطاليين لتجنيد الآلاف من العرب اليمنيين لاستخدامهم فى

---

(١) السيد محمد رجب حراز (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٢٧٤ ·
(٢) عبد الواسع الواسعى : المصدر السابق ، ص ٣٧٥ ــ ٣٧٦ ·
(٣) فاروق عثمان أباظه (دكتور) سياسة بريطانيا فى عسير أثناء الحرب العالمية الأولى ، ص ١٩ ·
(٤) Jacob, H.F. : Op. Cit., P. 127.

حروبهم وللعمل كجندر ارمه فى الأراضى الافريقية · وكانت ايطاليا تسمح لهؤلاء المجندين بالاشتغال بالتجارة فى غير أوقات قيامهم بالخدمة ، كما كانت تستخدمهم فى الأحراش وفى تعبيد الطرق ، وكانت تدفع لهم مرتبات زائدة نظير ذلك ، وكان لهؤلاء حق ترك الخدمة بعد عامين من التحاقهم بها (١) · وقد أبلغ « جاكوب » الحكومة البريطانية فى بومباى بتقرير حول هـذا الموضوع ليحثها على انتهـاج هـذا النهج ، كما أحاطها علما بالجهود التى تبذلها ايطاليا لكى يكون لها موطىء قدم على الساحل اليمنى وجزر فرسان وقمران المواجهة لمستعمرتها فى ارتيريا (٢) ·

ولهذا فان عقد المعاهدة الايطالية اليمنية فى اليوم الثانى من سبتمبر سنة ١٩٢٦ كان تتويجا لمجهودات ايطاليا فى مجال منافستها الاستعمارية لبريطانيا بعد أن ظلت هذه المنافسة هادئة مستترة فى مراحلها الأولى (٣) · كما أدى عقد هذه المعاهدة كذلك الى تمتع ايطاليا بالخطوة والنفوذ فى اليمن طوال عهد الامام يحيى بل وحتى نهاية حكم أسرته بقيام ثورة اليمن الوطنية فى السادس والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٦٢ · وقد نصت تلك المعاهدة على تنظيم العلاقات بين الدولتين ، على أن تقدم ايطاليا كل مساعدة اقتصادية وفنية لليمن ، وأن تقوم بينهما علاقات تجارية · وكانت مدة سريان هذه المعاهدة عشر سنوات ، وجددت فعلا عند نهاية هذه المدة · كما يرجح أن تلك المعـــاهدة جعلت الامام يحيى ــ بعد الانتصـــارات التى أحرزها على الأدارسة فى تهامة ــ يرفض عرض السيد حسن الادريسى فى عسير بالاعتراف بسيادة الامام على الامارة الأدريسية مقابل اعتراف الامام بنفوذ الأدارسة

---

(١) Jacob, H.F. : Op. Cit., PP. 127 — 129

(٢) I.O.L., No. B. 216. Secret. British Policy in the Yemen. Memoranda by Major - General. Sir G.J. Younghusband, K.C.I.E., C.B., Political Resident, Aden, Received at India Office as enclosure in Aden Residency covering letter. No. C., 695, Dated 23 rd. September 1915.

— Enclosure No. 1. Memorandum an the employment by Italians at Mogadiscio of Askaris from Arabia, by H. F. Jacob., Lieutenant — Colonel, First Assistant Resident, Aden, 8 th September 1915.

(٣) عصام ضياء الدين السيد : اطلالة على الصراع السياسى البريطانى الايطالى فى البحر الأحمر خلال فترة الحرب العالمية الأولى ، مجلة دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، العدد الثانى ــ السنة السادسة ــ ربيع أول ١٤٠١هـ يناير ١٩٨١ ، ص ٢٣٧ ·

داخل امارتهم • ويرجح أن رفض الامام لهذا العرض من قبل الأدارسة انما يرجع الى توقعه بأن معاهدته مع ايطاليا كان من شأنها أن تجعله فى مركز أقوى نتيجة لما توقع أن يحصل عليه من الأسلحة الايطالية التى تمكنه من السيطرة التامة على الامارة الأدريسية • غير أن هذه التوقعات انهارت بعد اعلان معاهدة الحماية السعودية على ما تبقى من الامارة الأدريسية فى عسير فى الحادى والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٢٦ (١) ، أى عقب عقد المعاهدة الايطالية اليمنية فى اليوم الثانى من سبتمبر من نفس السنة مباشرة • ويرجع السبب فى ذلك أن الامام لم يكن ليقوى على مواجهة عبد العزيز آل سعود الذى أصبح الحاكم الأقوى فى الجزيرة العربية ، والذى أرسل - بعد عقد معاهدته مع الأدارسة - صورة منها الى الامام يحيى ليطلع عليها ، كما أرسل فى صيف سنة ١٩٢٧ مندوبا عنه الى « صبيا » لمراقبة تنفيذها (٢) • كما فقد الامام يحيى ثروة عسير الزراعية وحقول البترول فى جزر فرسان التى سبق أن أجرها الأدريسى قبيل ذلك لشركة البترول الآسيوية بعد أن أصبحت الجزر - بموجب تلك المعاهدة - تحت الحماية السعودية (٣) •

ويهمنا أن نشير الى أن عقد المعاهدة الايطالية اليمنية كان له أبلغ الأثر على تطور العلاقات البريطانية اليمنية ذلك لأن الامام يحيى كان يرمى من وراء عقد معاهدته هذه مع ايطاليا الى تدعيم موقفه حربيا ودبلوماسيا أمام بريطانيا ، التى تقف منه موقفا معاندا بالنسبة لمطالبة فى النواحى التسع المحمية المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن • اذا اعتقد الامام أن ايطاليا - بموجب هذه المعاهدة - ستزوده بالسلاح من جهة ، كما ستساعده دبلوماسيا على التمسك بمطالبه فى النواحى التسع المحمية المشار اليها والتشدد مع بريطانيا للوصول الى تحقيق أهدافه (٤) • وقد جاء توقيت عقد هذه المعاهدة الايطالية اليمنية فى اليوم الثانى من سبتمبر سنة ١٩٢٦ فى أعقاب فشل مفاوضات بعثة « كلايتون » البريطانية مع الامام يحيى • وكان فشل المفاوضات البريطانية اليمنية ، وعقد المعاهدة الايطالية اليمنية فى أعقابها مباشرة ، حادثان لا يتفقان مع المصالح البريطانية • ذلك لأن بريطانيا كانت تعتبر شبه جزيرة العرب مجالا لنفوذها ، وخاصة بعد اجلاء العثمانيين عنها عقب نهاية الحرب العالمية الأولى ، حتى أنها كانت تدعى عليها ما يشبه « مبدأ مونرو » بريطانى (٥) • وقد تبنت بريطانيا هذا

---

(١) أحمد حسين شرف الدين : المصدر السابق ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ •

(٢) Survey of International Affairs, 1928, P. 329.

(٣) Philby, H. : Op. Cit., PP. 335, 336.

(٤) السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، ص ٣١٠ •

(٥) Lenczowski, G. : Op. Cit., P. 466.

المبدأ طوال المحادثات السرية بين دول الوفاق — أثناء الحرب العالمية الأولى — لتقسيم الامبراطورية العثمانية بينهم ، اذ كانت سياستها حينذاك تنحصر فى ضمان موافقة حلفائها على هذا المبدأ .

على أن بريطانيا لم تجد لديها ما يدعو للاعتراض على اتفاق ايطاليا مع الامام يحيى فى سنة ١٩٢٦ من الناحيتين القانونية أو الأدبية ، ومما يؤكد ذلك اعتراف بريطانيا صراحة فى محادثات يناير سنة ١٩٢٧ بينها وبين الحكومة الايطالية ، والتى أعتبرت محادثات استطلاعية تتعلق الى حد كبير بالشئون الاقتصادية الخاصة بالمصالح البريطانية الايطالية فى البحر الأحمر وبخاصة فى السواحل العربية . وقد مثل الجانب البريطانى فى هذه المحادثات « سيرجلبرت كلايتون » الذى ترأس البعثة البريطانية للتفاوض مع الامام يحيى فى ربيع سنة ١٩٢٦ ، بينما مثل الجانب الايطالى « غاسباريني » المندوب السامى الايطالى فى ارتيريا ، وكلاهما كانا على دراية تامة بمصالح دولتيهما فى البحر الأحمر بساحليه الآسيوى والافريقى (١) . وقد أعلن نائب وزير الدولة لشئون المستعمرات البرلمانى فى مجلس اللوردات ، أن المعاهدة الايطالية اليمنية لم تؤثر على مفاوضات الحكومة البريطانية مع الامام يحيى ، وأن هناك اختلافا كبيرا فى وجهات النظر بين بريطانيا وايطاليا من ناحية المصالح ذات الأهمية فى هذا الجزء من العالم ، وأنه ليس هناك حاجة الى الخوف من تعرض المصالح البريطانية القانونية الى آية معاكسات من قبل السياسة والأعمال الايطالية فى منطقة البحر الأحمر (٢) .

على أن هذه المحادثات التى دارت بين بريطانيا وايطاليا فى يناير سنة ١٩٢٧ وما أعقبها من تصريحات للساسة البريطانيين فى يوليو من نفس السنة بشأن العلاقات البريطانية الايطالية وصلتها بمصالح الدولتين فى منطقة البحر الأحمر (٣) ، انما تدل على قلق بريطانيا من تزايد النشاط الايطالى هناك المتمثل فى عقد المعاهدة الايطالية اليمنية فى سنة ١٩٢٦ . وسوف يؤدى ذلك الى اصرار بريطانيا على رفض مطالب الامام فى النواحى التسع المحمية المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن ، والى تحذيرها المستمر له من أن احتلاله لبعض أجزاء من تلك النواحى المحمية لن يقابل من جانبها الا بالقوة (٤) . وقد فعلت بريطانيا ذلك حرصا منها على ألا تؤدى المعاهدة الايطالية اليمنية

(1) Gavin. R.' J. : Op. Cit., P. 294.
(2) Survey of International Affairs, 1928, PP. 313 — 314.
(3) C.O. Reg. No. 48027 / 27, Minutes of meeting between Clayton and Graham and Gauriglia and Gasparini, 11 th January 1927.
(4) Survey of International Affairs, 1928, P. 315.

الى تشجيع الامام – اعتمادا على مساندة أصدقائه الايطاليين – بمهاجمة هذه النواحي ، خاصة وأنها تفاهمت مع ايطاليا من خلال المفاوضات التي تمت في يناير سنة ١٩٢٧ على مصالح الدولتين في منطقة البحر الأحمر ، بما فيها اليمن بطبيعة الحال ٠

وقد ساعد بريطانيا على اتخـــاذ هذا الموقف المتشدد ازاء الامام يحيى في أعقاب عقد المعاهدة الايطالية اليمنية في اليوم الثاني من سبتمبر ســنة ١٩٢٦ اصرار حكام النواحي المحمية المتاخمة لعدن في جنوبي اليمن على رفض مطالب الامام في نواحيهم ، والتمسك بالحماية البريطانية عليهم (١) ، على نحو ما أشار اليه العبدلي في حديثه عن موقف الردفانيين من آل القطيب ازاء الحامية الامامية التي اقتحمت ديارهم بقوله : « وكان قد نفد صبر الردفانيين (من آل القطيب) من ســـوء معاملة أمير جيش قعطبـــة الســـيد يحيى (من أتباع الامام) فكتب الشـيخ حسن على الى والى عدن بذلك ، وان آل قطيب مازالو يتمسكون بالحماية مخلصين للدولة (بريطانيا) ثم جاء الشيخ حسن على وزعماء آل قطيب الى عدن فأكرمهم والى عدن وأمرهم بأن يعودوا الى بلادهم ، وأن لا يحدثوا أى اعتداء على الحامية الامامية التي في بلاد البكرى ٠ بل يبلغوا الحكومة عن أى اعتداء جديد حالا ٠ وفي شهر ربيع الثاني من تلك السنة (١٣٤٦ هـ ٠ توافق ١٩٢٧ م) ألقت الطيارات البريطانية على مدن اليمن منشورا أنذرت فيه الزيود بأنه عنـــد حدوث أى تعدى جديد من العساكر الزيدية سيقابل بالقاء القنابل » (٢) ٠

على أن هذا التوتر القائم بين بريطانيا والامام يحيى لم يلبث أن تحول الى حرب فعلية في اليوم الثامن من فبراير سنة ١٩٢٨ ، اذ هاجم فريق من جيش الامام « بلاد آل القطيب واختطفوا الشيخ مقبل عبد الله عم شيخ آل قطيب ، والشيخ آل على ، فانذرت الطيارات أمير جيش قعطبة ، أن يرفع النساء والأطفال في ظرف ٢٤ ساعة ، وابتداء القاء القنابل بعد انتهاء تلك المدة فعلا ، واستمرت ثلاثة أيام » (٣) ٠

– نشوب الحرب بين بريطانيا والامام يحيى (١٩٢٦ – ١٩٢٨) :

تطورت العلاقات البريطانية اليمنية من حالة التوتر الى حالة الحـرب الفعلية على نحـــو ما يشير الى ذلك التصريح الذى أدلى به « مســـترامرى ٠

(١) Hansard's Parliamentary Debates, House of Lords, November 28 th 1927, Cols. 531, 848.

(٢) أحمد فضل العبدلي : المصدر السابق ، ص ٢٧٣ ٠

(٣) أحمد فضل لعبدلي : المصدر السابق ، ص ٣٨٣ ٠

"Mr. Amery" وزير المستعمرات فى مجلس العموم البريطانى فى اليوم الثالث عشر من شهر مارس سنة ١٩٢٨ (١) وجاء فيه : ان امام صنعاء احتل أجزاء من بلاد عدن الواقعة تحت الحماية (البريطانية) وقد جرت مفاوضات منذ بضع سنوات لتسوية هذه المسألة · ففى سنة ١٩٢٦ ، أرسلت الحكومة البريطانية بعثة الى صنعاء لهذا الغرض ، ولكن الامام رفض الانسحاب . فأبلغ أن الحكومة البريطانية مع رغبتها فى الوصول الى تسوية ودية للمسائل المختلف عليها بينها وبينه ، لا تستطيع أن تعترف بأن له أى حق فى بلاد عدن المحمية ، وحذرته بأنه اذا ظل يحتل أجزاء منها فانه يتعرض للمقابلة بالقوة · وعلى الرغم من هذا التحذير توسعت قوات من الزيديين فى تقدمها الى الامام فى شهر سبتمبر سنة ١٩٢٧ ، ولم تنسحب الا عندما أنذرتها الطيارات بضربها · وعند ذلك ألقت الطيارات أيضا تنبيهات على أهالى مدن مختلفة فى اليمن بأنه اذا هوجمت البلاد المحمية ، فان الطيارات تضرب تلك المدن · وفى ٨ فبراير سنة (١٩٢٨) اختطف الزيديون شيخ علوى وأحد أقارب شيخ قطيبى وكلاهما يحق لهما بموجب معاهدة أن يتمتعا بحماية الحكومة البريطانية · وبعد ٤٨ ساعة أرسل تحذير بأن الطيارات ستضرب قعطبه المعروفة بأنها المركز الرئيسى للقوات الزيدية المسئولة عن الاعتداء » (٢) ·

وواضح من هذا التصريح أن بريطانيا كانت حريصة دائما على تأكيد مسئولية الامام عن قيامها بضرب قعطبة بالقنابل نظرا لأن الامام جعلها المركز الرئيسى لتجمع قواته ، مما أجبرها على انتهاك حرمة هذه المدينة (٣) · وقد تم ذلك عن طريق قيام الطيران البريطانى بضرب قعطبه بالقنابل ، كما تم قصف الضالع أيضا فى الفترة من ٢١ الى ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٨ (٤) ، على نحو ما يؤكده « سير صامويل هور » وزير الطيران البريطانى فى رده على استجواب وجه اليه فى مجلس العموم البريطانى فى اليوم الرابع عشر من مارس سنة ١٩٢٨ (٥) ، اذ قال : « ان الطائرات (البريطانية) ألقت القنابل

---

(١) Hansard's Parliamentary Debates, 4th Series, Vol. 219, Col. 1392, Statement by Amery, The Times 26 th July 1928.

(٢) صحيفة الأهرام : العدد رقم ١٥٥٨ ، الصادر فى ١٣ مارس ١٩٢٨ ، ص ٣ ·

(٣) Survey of International Affairs, 1928, PP. 315 — 316.

(٤) F.O. 371/12999/1927/8, Aden Political Ingelligence Summary 59, 18 February 1928.

(٥) Cochrane, L.A., : The Work of the Royal Air Force at Aden, J.R. U.S.I:, Vol . LXXVI, P. 88.

على معسكر الزيديين فى قعطبه خمسة أيام متفرقة ، وعلى مركزهم فى الضالع يوما واحدا ، وأن الأعمال الحربية مازالت مستمرة » (١) ٠

بينما يعبر عبد الله الجرافى عن وجهة النظر اليمنية ازاء ما يدور حينذاك بين الامام يحيى وبريطانيا من عمليات حربية فيقول : « وفى سنة ١٣٤٧ (١٩٢٨ م) على أثر التجاء بعض أمراء قبائل النواحى الواقعة بجوار عدن الى حكومة الانجليز فرارا من أداء بعض الواجبات الزكوية ، ومنهم أمير الضالع نصر بن شائف الحالمى ، وبعض آل قطيب ، أرسلت حكومة عدن طائراتها التى ألقت قنابلها على بعض مدن اليمن » (٢) ٠ وهكذا يرجع الجرافى سبب الحرب بين الامام يحيى وبريطانيا الى أن بعض أمراء النواحى التسع المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن والتابعين ــ من وجهة نظره ــ للامام ، قد فروا من الواجبات المالية المفروضة عليهم ولجأوا الى البريطانيين فى عدن ٠ بينما كانت بريطانيا تؤكد دائما أن هؤلاء الأمراء كانوا يرفضون حكم الامام فى أقاليمهم ، مما كان يجعلهم دائما يستحثون البريطانيين لحمايتهم من أطماعه ٠ وقد استمر البريطانيون يحاربون الامام يحيى فى المناطق التى سيطرت عليها قواته من النواحى التسع المحمية المتاخمة لعدن بجنوبى اليمن بشتى الأساليب الحربية والسياسية ٠ ويوضح الجانب السياسى فى هذه الحرب تلك المنشورات التى كانت تلقيها الطائرات البريطانية فى المناطق التى دخلتها القوات الامامية من تلك النواحى (٣) ٠ والتى كان من شأنها أن تثير النعرة الطائفية (٤) ٠ وسوف نعرض منها منشورا مؤرخا فى اليوم السابع عشر من مارس سنة ١٩٢٨ (٢٥ رمضان ١٣٤٦ هـ) للتعرف على فحوى هذه المنشورات ، وعلى منهجها فى الدعاية السياسية ، اذ جاء فيه :

« الى أهل المذهب الشافعى فى اليمن وفى المحمية البريطانية ٠
بعد السلام :

أولا ــ لقد علمتم أنه بناء على انتهاك حرمة المحمية البريطانية من الامام والزيود وتعديهم عليها ، أجبرنا على القاء القنابل على حامية الزيود ٠

---

(١) صحيفة الأهرام : العدد رقم ١٥٥٨٤ ، الصادر فى ١٥ مارس ١٩٢٨ ، ص ٣ ٠
(٢) عبد الله عبد الكريم الجرافى : المصدر السابق ، ص ٢٣٧ ٠
(٣) Gavin, R.J. : Op. Cit., PP. 284, 285.
(٤) صلاح العقاد (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٦٥ ٠

ثانيا — بما أن هذه الحاميات أقامت نفسها بينكم ، فعلكم قاسيتم من تأثير هذه القذائف ما قاسيتم ، فذلكم ذنب الزيود لا ذنبنا حسبما قد علمتم بذلك بدون شـك ·

ثالثا — كل محـل ليس فيه حاميـة زيدية لن يصير عليه رمى القذائف من طياراتنا الا اذا أعان سكان ذلك المحل الزيود بأى وجه من الوجوه ·

رابعا — لكى تعيدوا (تحتفلون بالعيد) فى أمان نعلمكم أن طياراتنا لن ترمى القذائف فى أيام العيد ، وذلك بتاريخ ٢٩ ، ٣٠ رمضـان ، وتاريخ ١ ، ٢ شوال سنة ١٣٤٦ هـ · موافق ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ مارس سنة ١٩٢٨ ، الا اذا حصل شيء من الزيود يؤدى الى لزوم الضرب ، فاذا حصل رمى بالقذائف فى تلك الأيام ستعرفون أن الزيود هم المسئولون بذلك ·

خامسا — وبما أن طياراتنا ستطير فى تلك الايام ، ولكن مالم يحصل شيء من الزيود ، كما ذكرنا أعلاه ، فان طيرانها سيكون للكشف لا لرمى القذائف ، والسلام » (١) ·

ومن الواضح أن هذا المنشور يدل دلالة واضحة على حرص بريطانيا على احداث الفرقة والشقاق بين أهل اليمن من الشوافع والزيود تأكيدا لسياسة « فرق تسد » التى كانت تتبعها حينذاك · ولهذا وجهت المنشور « الى أهل المذهب الشافعى فى اليمن وفى المحمية البريطانية » ، ولم توجهه الى عموم أهل اليمن · كما أنها كانت تلقى مسئولية قيام طائراتها بقذف القنابل على الامام وقواته الزيدية الذين يقومون بأعمـال عدائية فى النواحى المحمية الواقعة فى جنوب البلاد · ولاشك أن بريطانيا بذلك حاولت تبرئة نفسها من هذه الأعمال الوحشية بادعاء أنها كانت مجبرة على ذلك لوقف تحركات الزيود العدوانية (٢) · أما اعلانها عن توقف طائراتها عن القاء القنابل أثناء عيد الفطر فقد كان ذلك محاولة منها للظهور بمظهر انسانى يجتذب اليه قلوب أهالى البلاد · هذا فضلا عن الهدف السياسى الكامن لبريطانيا وراء اصدارها لتلك المنشورات التى تعطيها صورة الدولة الملتزمة بحماية أهـالى النواحى المحمية بجنوب اليمن ضد تعرضهم لعدوان الامام (٣) · ومن المؤسف أن الامام

---

(١) أحمد فضل العبدلى : المصدر السابق ، ص ٢٨٣ — ٢٨٤ ·

(٢) Vachell, J.L. : Air Control in South West Arabia, Royal Air Force Quarterly, Vol. 2, No. 1

(٣) Gavin, R. J. : Op. Cit., P. 286

يحيى بسياسته العتيقة التى مارسها مع قبـــائل النواحى المحمية فى جنوبى اليمن والتى قامت على القهر التام وأخذ الرهائن منهم كان يضطر أمراءهم ومشايخهم الى اللجوء الى عدن طلبا للحماية البريطانية (١) ٠

ونظرا لأن الامام يحيى كان أضعف من أن يواجه تلك العمليات الحربية من قبل بريطانيا التى استخدم فيها ســـلاح الطيران البريطانى للاستطلاع والقاء القنابل وهو ما لا قبل له به ، فقد طلب من البريطانيين هدنة لمدة ثلاثين يوما للتفاوض معهم ٠ وقد استجاب البريطانيون لمطلب الامام خاصة بعد أن أطلق سراح الشيخين المحميين من قبلها ٠ وبدأ تنفيذ الهدنة اعتبارا من مارس سنة ١٩٢٨ (٢) ٠ وفى اليوم الثانى عشر من أبريل سنة ١٩٢٨ توجه الى تعز السلطان عبد الكريم فضل سلطان لحج و « ميجور فاول » مساعد المقيم السياسى البريطانى فى عدن ، ورافقهما السيد علوى بن حسن الجعفرى لتمثيل الجانب البريطانى للتفاوض مع أمير جيش تعز الذى كان يمثل جانب الامام يحيى ٠ وبدأت المفاوضات بين الجانبين غير أنها لم تسفر عن نتيجة محددة ، ذلك لأن ممثل الامام لم يكن مفوضا من قبله للبت فى الأمر مما جعله مضمون المفاوضات « للحضرة الامامية » (٣) ٠ وقد أبدى وفد عدن استعداد حكومة « جلالة ملك بريطانيا » لعقد معاهدة محدودة فى أقرب وقت ٠ وقد تضمنت المعاهدة المقترحة الاعتراف باستقلال الامام فى اليمن ، مقابل اعترافه بحدود محمية عدن على نحو ما كانت عليه ، مع اجراء تعديل محدود لصالحه ٠ كما أبدت بريطانيا استعدادها للتعهد بتقديم المساعدات الممكنة للامام فى حدود ارتباطاتها الدولية ٠ وحتى تتاح الفرصة للامام للتفكير فى المعاهدة المقترحة فقد مدت بريطانيا الهدنة الى أول يونيه سنة ١٩٢٨ ٠ غير أن الامام عاد وطلب مد الهدنة ، فوافقت بريطانيا على استمرار الهدنة الى اليوم السابع عشر من يوليو سنة ١٩٢٨ مقابل أن يخلى الامام مدينة الضالع فى اليوم العشرين من يونيو من نفس السنة (٤) ٠

وقد سارع « ميجور فاول » مساعد المقيم السياسى البريطانى فى عدن باصدار منشور فى شهر يونيو سنة ١٩٢٨ وزع على جميع السلاطين والأمراء والمشايخ فى النواحى التسع المحمية المتاخمة لعدن بجنوبى اليمن لاطلاعهم

---

(١) السيد مصطفى ســـــالم (دكتـــور) : تكوين اليمن الحديث ، ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ ٠

(٢) Survey of International Affairs, 1928, P. 316.

(٣) أحمد فضل العبدلى : المصدر السابق ، ص ٢٨٤ ٠

(٤) Survey of International Affairs, 1928, P. 316.

على الموقف القائم بين بريطانيا والامام يحيى ولتوضيح سلامة نيتها أمامهم . وقد جاء فى هذا المنشـور : « أن الحالة الحـاضرة بين الحكومة البريطانية وسعادة الامام ، هى أنه بناء على طلب الامام ، فحكومة جلالة ملك بريطانيا سمحت بامتداد أجل الهدنة الى تاريخ ١٧ يوليه سنة ١٩٢٨ الموافق ٢٩ محرم سنة ١٣٤٧ هـ على شرط أن سعادة الامام يخلى مدينة الضالع فى تاريخ ٢٠ يونيه سنة ١٩٢٨ الموافق ٢ محرم سنة ١٣٤٧ هـ ، كفالة لحسن نيته » (١) .

وقد حاولت بريطانيا باصدارها لهذا المنشور احراج مركز الامام يحيى أمام أهالى النواحى المحمية فى جنوب اليمن بالقاء التبعية كلها عليه طالبة منه اثبات حسن نيته باخلاء مدينة الضالع . غير أن الامام كان يرى أن الضالع جزءا من أراضيه ، وأن البريطانيين مغتصبون ، كما أن احتلاله للضـالع فى سـنة ١٩١٩ واستمراره فيها حتى سـنة ١٩٢٨ كلفه الكثير من الرجـال والأموال (٢) ، ولهذا كان من الصعب عليه التخلى عن هذه البقاع بسهولة . وقد ترتب على اصرار الامام على موقفه المعادى لبريطانيا تجدد الحرب بين الجانبين . مما جعل بريطانيا ترسل طائراتها الى المناطق التى تسيطر عليها قوات الامام لالقاء منشورات تحذر بالقاء القنابل على المدن اليمنية لاخـراج قوات الامام من النواحى المحمية المتاخمة لعدن بجنوبى اليمن ثم بدأت العمليات الحربيـــة ـ بعد اعطاء فرصة أربعة أيام ـ فى ٢٥ يونيو سـنة ١٩٢٨ . واستمرت حوالى أربعة عشر يوما ، ولكنها كانت مدة غير متصلة ، اذ تخللها يوم هوجمت فيه مدينة تعز نفسها . وقد اضطر الامام الى سحب قواته من الضالع فى اليوم الرابع عشر من يوليو سنة ١٩٢٨ ، ازاء الهجوم الذى تعرضت له مدنه الداخلية من قبل الطائرات البريطانية . وقبل نهاية شهر نوفمبر من تلك السنة نفسها قام الامام بسحب قواته من كل الأراضى المحمية من قبل بريطانيا فى جنوبى اليمن ، ماعدا جزء من يافع ، وحوالى نصف اقليم العوذلى. نظرا لعدم اتمام الاتفاق بشأنها بعد بين الجانبين (٣) . بل ان الامام أرسل خطابا الى المقيم السياسى البريطانى فى عدن فى شهر سبتمبر سنة ١٩٢٨ يطلب من جانبه اعادة فتح باب المفاوضات . وقد رحبت بريطانيا بذلك وطلبت من الامام ارسال مندوب عنه الى عدن لبحث مراحل الاتفاق التمهيدى مع الجانب البريطانى (٤) .

---

(١) أحمد فضل العبدلى : المصدر السابق ، ص ٢٨٥ .

(٢) Survey of International Affairs, 1928, P. 317.

(٣) Gavin, R.J. Op. Cit., P. 286.

(٤) صحيفة الأهرام : العدد رقم ١٥٦٨١ ، الصـادر فى ٣ يوليو سنة ١٩٢٨ ، ص ٣ .

وتجدر الاشارة الى أن قيام سلاح الطيران البريطاني بأعماله الحربية ضد قوات الأمام يحيى في اليمن أثناء النزاع اليمني البريطاني في العقد الثالث من القرن الحالي قد نتج عنه الكثير من المآسي . وقد وصف جانبا من هذه الأحداث المؤلمة رجل تركي الأصل يدعى محمود مصطفى بقي في اليمن بعد جلاء العثمانيين عنها وأقام في تعز وعاصر تلك المآسي ، فقال : « طلب البريطانيون من الامام أن يتخلى لهم عن الضالع وجليله وقعطبه وألقوا بعض المناشير على تعز وماويه واب ، فيقولون فيها أنهم سيلقون قنابلهم على هذه البلاد ان لم تخل جنود الامام الضالع وجليله وقعطبه . وحددوا يوما للضرب ، ومن البديهي أن جنود الامام ما أخلت هذه الأماكن ، لذلك جاءت في اليوم المذكور اسراب كثيرة من الطائرات ، وألقت قنابلها على جميع البلاد التي ذكرتها ، وألقت القنابل أيضا على قرية شهاب الواقعة بالقرب من ماويه فقتلت ولدين ، وضربت قرية عمر الصعدة فجرحت أربعة من الجنود . وأما في تعز المدينة الكبيرة الآهلة بالسكان ، فقد كانت الخسارة جسيمة جدا ، اذ بلغت نحو ٣٠٠ شخص بين قتيل وجريح ، ومعظمهم من الأولاد والنساء ، وفي بريم قتلت امرأتين ورجلين ، وفي قرية النادرة امرأتين . ومعظم هذه القرى التي ألقت الطائرات قنابلها عليها ، لم تكن داخلة في الانذار ، وعلاوة على القاء القنابل كانت الطائرات تمطر الناس في الطرقات العامة ، وابلا من رصاص رشاشاتها ، وقد أحدث الرصاص ضررا جسيما بأبناء السبيل ، كما هدمت القنابل كثيرا من المنازل والدور في البلاد التي أنذرت ، والتي لم تنذر ... ان أهالي اليمن من أقصاه الى أقصاه جزعوا جزعا عظيما من الطائرات ، وكانوا حينما يرونها يعدون أمامها ذات اليمين وذات اليسار ، واستولى الخوف والذعر على قلوبهم ونفوسهم » (١) . وهكذا ارتكبت بريطانيا جرائم لا تغتفر في حق الشعب اليمني من أجل حسم نزاعها مع الامام يحيى . وقد تمثلت غضبة الشعب اليمني على ما ارتكبته بريطانيا من جرائم في حقه في قصيدة للقاضي يحيى بن محمد الارياني قال فيها :

يا بريطانيا رويدا رويدا	ان بطش الاله كان شديدا
ان بطش الاله أهلك فرعو	ن وعاد من قبلكم وثمودا
ان هذا الفساد في الأرض والهد	م لهذه البيوت ليس سدايدا
لا تظنوا هدم المدائن يوهي	عزمنا أو يلين بأسا صلودا
ان هذا التوحش اذا جئتم	بما ليس عندنا موجودا
فالنزال النزال ان كنتم ممن	لدى الحرب لا يهاب الجنودا

---

(١) نزيه مؤيد العظم : رحله في بلاد العربية السعيدة ، ج ١ ، ص ٢٩٥ _ ٢٩٦ .

لتروا من يبيت منـــا ومنـــكم موثقا عنـد خصـمه مصـــفودا
انكم لــــو نزلتمـــوا لرأيتـــم كل ذى شــــدة تذيب الحـــديدا
ورأيتم منـــا بكم فتكــــات صادقات عظمى تشـــيب الوليـــدا (١)

ومن الغريب أن يوجد فى الساحة اليمنية من كان ينظر الى الأعمـــال العدوانية التى مارسها سلاح الطيران البريطانى على أبناء الشـعب اليمنى أثناء النزاع اليمنى البريطانى فى العقد الثالث من القرن الحالى من زاوية أخرى تتعلق بنتائجها السياسية دون أى اعتبار للجانب الانسانى ٠ اذ يعبر أحمد فضل العبدلى عن وجهة نظر أمراء النواحى المحمية المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن فى تلك الأعمال بقوله : « انها ســـاعدت أمراء المحميات على دخول أراضيهم ، وطرد الحاميات الامامية ، وأن بعض الضباط الانجليز كانوا يشاركون هؤلاء الأمراء فى زحفهم على الحاميات الامامية وكذلك ضباط اللاسلكى (لمخابرة الطائرات) !! ٠ بل ان العبدلى أشار الى مميزات استخدام الطائرات البريطانية فى حسم هذا النزاع بأنها لم تحدث خسائر كثيرة فى الأرواح بقوله : « وكان هذا الاقتصاد فى سفك الدماء من فعل الطائرات التى جاءت بالعجب ، وروعت الطرفين المتخاصمين من العـــرب ، وأعادت للبلاد الطمأنينة المفقودة منذ انحدر الباشا على سعيد ٠٠ » (٢) ٠ غير أن العبدلى لم يفته أن يشير كذلك الى مدى ما أصاب الجنود الزيدية من رعب وخوف من أعمال الطائرات ، فيقول مصورا حـالة الحامية الزيدية فى الضالع (٣) وما أصابها من رعب بقوله : « وثبت لعامل الضالع (الزيدى) أن ما يملك ضده من عدة وشجاعة ، لا يجدى نفعا فى مقاومة سلاح الطيران البريطانى والقذائف الجهنمية المهلكة ، حتى سمع من غير واحد من رجاله من يقول له : نحن لا نحارب من فى الأرض ومن فى السماء » (٤) ٠ وهـذا يوضح عدم التكافؤ الواضح فى المقـدرة الحربيـــة بين الجانبين اليمنى والبريطانى حينذاك مما أدى الى حسم هذا النزاع بما يتفق ورغبه بريطانيا بطبيعة الحـال ٠

وبعد أن تمكنت بريطانيا من أن تفرض على الأمام يحيى أن يسحب قواته الى ما وراء خط الحدود السابق بين منطقتى النفوذ البريطانى والعثمانى

---

(١) عبد الله عبد الكريم الجرافى : المصدر السابق ، ص ٢٣٩ ــ ٢٤٠ ٠
(٢) أحمد فضل العبدلى : المصدر السابق ، ص ٢٨٧ ٠ ويقصد منذ جلاء العثمانيين من لحج فى مطلع سنة ١٩١٩ ٠
(٣) Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 283.
(٤) أحمد فضل العبدلى : نفس المصدر ، ص ٢٨٦ ٠

فى جنوب اليمن فى نهـــاية ســنة ١٩٢٨ ، فقد اتفق الجانبان البريطانى واليمنى على التفاوض من أجل التوصل الى تسوية مرضية (١) • وتوضـــح اجابه ممثل الحكومة البريطانية عن سؤال وجه اليه فى « مجلس اللوردات » ، حقيقة ما وصلت اليه العلاقات البريطانية اليمنية حينذاك اذ قال : « حتى الآن أسفرت المساعى التى بذلت للوصول الى تسوية مع الامام يحيى عن نجاح عظيم ، وقد جعلت قاعدة المفاوضات معه على أن تعترف الحكومة البريطانية باستقلال اليمن استقلالا تاما وأن أى اتفاق يبرم معه يجب أن يتضمن مادة تعيين حدود اليمن ــ بلاد الامام ــ ، وقد خول المعتمد السياسى (المقيـــم السياسى البريطانى) فى عدن سلطة تامة للمفاوضـــة معه • وقـد سحب الامام قواته الى ما وراء الحدود التى كانت الحد الفاصل بين عدن والأراضى العثمانية ، فاذا تسنى الاعتراف بذلك الحد واجتناب مشاكل أخرى بشـــأن الحدود يصبح فى الامكان معالجة المسائل الأخرى بين بريطانيـــا واليمن • وتؤمل الحكومة البريطانية أن تنهى المفاوضات مع الامام بتسوية مرضـــية بعد مدة معقولة » (٢) •

وقد ترتب على سحب الامام لقواته من النواحى المحمية المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن فى نهاية سنة ١٩٢٨ ، أن انتظمت الزراعـــة من جديد • ودب النشاط التجارى فى سوق الضـــالع الأسبوعى ، الذى كان يجتـــذب الكثيرين من سكان تلك النواحى حتى أصبح يعج بالازدحام التام ، وهو أمر كانت تحرص عليه الادارة البريطانية فى عدن حينذاك ، نظرا لأن ذلـــك النشاط التجارى كان يتفق وتحقيق مصالحها الاقتصادية بطبيعة الحال (٣) •

العـــوامل التى أثرت على مســـار العلاقات البريطانية اليمنية بين الحربين العالميتين :

تجدر الاشارة الى أن ثمة عوامل معينة أثرت على مســـار العـــلاقات البريطانية اليمنية فى فترة ما بين الحربين العالميتين • ومما لاشك فيه أن المعـــاهدة اليمنية الايطالية التى عقدت فى اليوم الثانى من سبتمبر سنة ١٩٢٦ (٤) كانت فى مقدمة تلك العوامل • بل ان هذه المعاهدة فرضت على

---

(١) Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 286.

(٢) صحيفة الأهرام : العدد رقم ١٥٨٢٦ . الصـــادر فى ٢٩ نوفمبر ١٩٢٨ ، ص ٣ •

(٣) Survey of International Affairs, 1928, PP. 316, 317.

(٤) Hurewitz, J.C. : Op. Cit., Vol. 2. PP. 146, 147.

تلك العلاقات صـــبغة عنيفة (١) على نحو ما يؤكده مقال نشرته صـــحيفة « رفرى » اللندنية ، ونقلته عنها صحيفة الاهرام القـــاهرية فى عددها الصادر فى اليوم التاسع من يوليو سنة ١٩٢٨ ، أثناء وقوع الصـــدام بين البريطانيين وقوات الامام يحيى فى النواحى المحمية المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن (٢) ، جاء فيه : « ان اصرار اليمن على رفض قبول مقترحات الصداقة التى تعرضها عليها بريطانيا يعزى الى النفوذ الايطـــالى فى تلك البلاد » . كما أوضح المقال أهداف ايطاليا التوسعية حينذاك عنـــدما اشـــار الى « أن ايطاليا هى الدولة التى تنـافس انجلترا فى البحـــر الأحمر ، وترغب فى ترســـيخ قدميها فى بـــلاد الامام يحيى لكى يتحقق حلمهـــا فى تأسيس امبراطورية رومانية شرقية عظيمة الشأن . ومعلوم أن البحـــر الاحمر هو حلقة مهمة فى المواصلات بين الغرب والشرق ، ويلوح أن طـــلاب التوسع الايطالى فى روما مصممون على الاستيلاء عليـــه ، وهذا لايتسنى لهم الا على حساب الامبراطورية البريطانية » (٣) .

وهناك عامل ثان أثر أيضا على مسار العلاقات البريطانية اليمنية فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، وتمثل فى رغبة حكام وأهالى النواحى التسع المحمية المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن فى استمرار صلاتهم مع بريطانيا من جهة ، ورفضهم للتبعية للامام يحيى بأى حال من الأحوال من جهة أخـــرى . ويرجع ذلك الى الأسلوب الواعى الذى مارسه البريطانيون مع هؤلاء الحكام ، والذى كان يختلف تماما عن أسلوب الامام يحيى . فقد حرص البريطانيون على ارضاء هؤلاء الأمراء بالمنح والمشاهرات المالية ، واظهار الاحترام والتبجيل لهم ، واطلاق حريتهم فى تنظيم حياتهم الخاصة ، بل وحتى فى تســـوية منازعاتهم المحلية ، طالما أن هذه المنازعات لن تخرج عن نطاقها المحلى ، ولن تؤثر من قريب أو بعيد على المصالح البريطانية ، بل وقد يستغلها البريطانيون لصالحهم فى أحيان كثيرة . ولهذا فان هؤلاء الحكام كانوا لا يضنون مقابل هذا كله بالاعتراف لبريطانيـا بالتقـــدير مع قبول حمايتها ، والمحـــافظة على مصالحها . وعكس هذا الأمر تماما كان من نصيب الامام يحيى نتيجة لاصراره على أن هذه النواحى ملكـــا خاصا له ، كما كانت لأجـــداده من قبـــل ، وبالتالى لا حق لأمرائها فيها الا اذا أرادوا أن يكونوا موظفين عندالامام يقدمون

---

(١) السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، ص ٣٣١ .
(٢) محمد كمال عبد الحميد : الشرق الأوسط فى الميزان الاستراتيجى ، ص ٦٣ ، ٦٤ .
(٣) صحيفة الأهـــرام : العدد رقم ١٥٦٨٦ ، الصادر فى ١٠ يوليو ١٩٢٨ ، ص ٩ ـ

« الرهائن » دليلا على ولائهم له واخلاصهم لحكمه · وهذا ما كان يرفضه هؤلاء الأمراء والمشايخ المتمتعين باستقلالهم الخاص وحياتهم المحدودة المطالب والغايات ، وهو ما كانت بريطانيا تحققه لهم · ويعبر أحمد فضل العبدلى وهو أحد أفراد أسرة العبادلة سلاطين لحج عن هذا المفهوم بمنطق معين يبدو فى تعقيبه على الأحداث التى أدت الى خروج الحامية الامامية الزيدية من الضالع فيقول : « فليحكم الضالع أميرها مستقلا عن صنعاء ، وساعة الوحدة العربية وان بعدت آتية لا ريب فيها ، وما من العرب الا واردها ، كان ذلك عليهم أمرا مقضيا · ولن يحول تعدد ملوك العرب وامرائهم دون الوحدة العربية ، وانما يحول دونها طمع قويهم بضعيفهم ونفور بعضهم من بعض ، ولا لوم على الضعيف اذا استعان لسلامته بأية قوة من الخارج ، بل اللوم على ذلك القوى ، يخنق أخاه فى الدار ، ويهضم حقه لكى يدخل جارهم القوى بصفته فاعل خير ليرفع الخناق عن الرقبة ويفوز بالأجر والشكر والصداقة ، ولا يكسب الاخوان الا المنافرة والتفرقة · فلماذا لم يتسن للسيد يحيى عامل الضالع (الامامى) أن يرجع الى قعطبه بكامل الرضى لا مذموما ولا مدحورا ، لكى يحكم الضالع أميرها الحق أخوه الشافعى نصر بن شايف الحالمى الحميرى القحطانى » (١) ·

أما العامل الثالث الذى كان له تأثيره الواضح على مسار العلاقات البريطانية اليمنية فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، هو مركز الامام يحيى وسياسته فى اليمن وبخاصة فى العقد الثالث من القرن الحالى · حيث كانت الأوضاع المحيطة به فى اليمن غير مستقرة نتيجة لعدم تمكنه – بسياسته القائمة على القمع وأخذ الرهائن – من اجتذاب القبائل اليمنية – زيدية كانت أو شافعية – للانضواء تحت حكمه · وكان الامام يبذل جهودا متواصلة لتدعيم مركزه ، ولكن بواسطة سياسته القائمة على ارسال الحملات التأديبية المختلفة لاخضاعها ، وأخذ الرهائن منها · ولم يكن هذا التمرد قاصرا على القبائل الشافعية فحسب ، بل قد تمردت عليه أيضا قبائل زيدية لحاشد وبكيل اللتان أثارتا له المتاعب فى شمالى صنعاء حيث كان من طباع هذه القبائل القوية الميل الى الحرب لما فيها من غنائم وأسلاب · مما اضطر الامام الى اخماد تمردهم فى الفترة من ٢ أغسطس ١٩٢٤ وحتى ٢١ يوليو ١٩٢٥ (٢) · وعلى الرغم من ذلك فقد أعلنت بعض القبائل الشافعية فى تهامه – بعد طرد الادارسة منها – اعترافها بحكم الامام يحيى فى شهر يناير سنة ١٩٢٧ (٣) ·

---

(١) أحمد فضل العبدلى : المصدر السابق ، ص ٢٨٧ ·

(٢) Survey of International Affairs, 1928, P. 318.

(٣) عبد الله عبد الكريم الجرافى : المصدر السابق ، ص ٢٣٣ – ٢٣٤ ·

ولم تجد هذه القبائل الشافعية بدا من اعلان اعترافها هذا لتتفادى التعرض لانتقام الامام • ولا شك أن حركات التمرد الداخلية فى اليمن حينذاك كانت تحرج موقف الامام ، وتؤثرا تأثيرا سيئا على مركزه وخاصـــة أمام بريطانيا التى كان يمكنها التعرف — من قاعدتها فى عدن وعن طريق استخباراتها فى النواحى المتاخمة لها — على كل ما يدور على الساحة اليمنية • وكانت بريطانيا تستغل أوضاع اليمن القلقة ، حتى أنها حاولت الاتصال ببعض القبائل . وهى بذلك لم تخلق شيئا بذاته ، بل انها أثارت وحركت أشياء كانت موجودة بالفعل ، وكان فى امكان الامام يحيى اخمادها لو أنه ترك وشأنه دون تدخل من جانب البريطانيين • ولا أدل على ذلك من تدخل البريطانيين فى ازكاء حركة التمرد التى قامت بها قبيلة الزرانيق التى تقطن المنطقة الواقعة على الساحل اليمنى المطل على البحر الأحمر بين الحديدة فى الشمال وحدود محمية عدن فى الجنوب فى سنة ١٩٢٨ • وكان خطـــر تمردهم يتمثل فى الموقع الذى يســيطرون عليه ، اذ كانوا يستطيعون قطع طـريق التجـــارة بين صنعاء والحديدة (١) ، فيفصلون بذلك العاصمة اليمنيـــة عن منفذها الطبيعى على البحر الأحمــر •

وقد انتهز الامام يحيى فرصة الهدنة بينه وبين بريطانيا التى بدأت فى الخامس والعشرين من مارس سنة ١٩٢٨ فارسل الى قبيلة الزرانيق فى شهر مايو من تلك السنة حملة تأديبية لاخضـاعهم (٢) • وأرسل ابنه سيف الاسلام أحمد على رأس قوة كبيرة ، زحفت على الزرانيق عن طريق الحديدة ، ومن مركزه فى حجه ، فاحتل بعض مراكزهم مثل المراوغة والدريهمة بعد مصادمات عنيفة • وقد شعر سيف الاسلام أحمد حينذاك — من خلال أحداث الحرب ووقائعها — أن الزرانيق متصلون بدول أجنبية عن طريق البحر ، وأنهم يجلبون منها السلاح والعتاد • فبدأ فى توجيه مجهوداته ناحية البحر الأحمر ، فاستولى على الساحل اليمنى المطل عليه من أيدى الزرانيق ، وأقام عددا من الحصون للدفاع عنه لتشديد الحراسة عليه ، كما استولى على سفن الزرانيق الشراعية ، وأرسلها الى الحديدة ليقطع أى اتصال معهم • وبذلك استطاع سيف الاسلام أحمد من تضييق الخناق على الزرانيق مما جعلهم يشعرون بخطورة موقفهم • فالتجأ شيخهم الأكبر الشيخ أحمد الفتينى الى البريطانيين فى جزيرة قمران ، كما استسلم شيوخ الزرانيقلسيف الاسلام أحمد دون قيد أو شرط ، كما أنه أسر كثيرا من رجال الزرانيق وساقهم مكبلين بالأغلال الى صنعاء حيث تم اعدامهم • وقد تجمع باقى أمراء القبيلة ورجالها فى عاصمتهم «بيت الفقيه»

---

(١) السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، ص ٣٣٥ ،

(٢) Survey of International Affairs, 1928, P. 318.

حتى قام سيف الاسلام أحمد بمحاصرتها دون أن يهاجمها ـ بناء على أمر الامام ـ حتى اضطرت الى التسليم ، بعد أن عانى رجال الزرانيق وذويهم قسوة الحصار ، ونقص الغذاء ، وغلاء الأسعار • وقد أخذ سيف الاسلام أحمد من الزرانيق رهائنهم ليضمن ولاءهم أسوة بغيرهم من القبائل اليمنية التى دخلت فى نطاق حكم الامامة (١) •

وهكذا أثرت الأوضاع غير المستقرة داخل اليمن على مركز الامام يحيى أثناء صراعه مع البريطانيين فى جنوبى بلاده فى العقد الثالث من القرن الحالى ، مما جعله أعجز عن أن يواجه أعداء متعددين فى وقت واحد • ولهذا فقد طالب الامام يحيى بريطانيا بالهدنة ثم سحب حامياته من النواحى المحمية المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن فى سنة ١٩٢٨ • وقد بدا واضحا توجه الامام يحيى الى التفاوض مع بريطانيا لايجاد نقطة البقاء بينهما بعد أن عجز عن اتخاذ موقف آخر • وبهذا التوجه من قبل الامام دخلت العلاقات البريطانية اليمنية فى مرحلة جديدة من مراحل تطورها التاريخى أثناء فترة ما بين الحربين العالميتين •

وهناك عامل رابع له تأثيره أيضا على مسار العلاقات البريطانية اليمنية فى العقد الثالث من القرن الحالى • وينحصر هذا العامل فى توصل عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها الى تسوية علاقاته مع بريطانيا بعقد معاهدة جدة فى اليوم العشرين من مايو سنة ١٩٢٧ (الموافق ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ هـ) وتبودل الابرام عليها فى اليوم السابع عشر من سبتمبر سنة ١٩٢٧ « الموافق ٢١ ربيع الاول سنة ١٣٤٦ هـ » (٢) مما جعل الامام يحيى يفكر فى انتهاج نفس النهج فى علاقاته مع بريطانيا • وكان للبريطانيين علاقات خاصة بكل من صنعاء والرياض كل على حدة • ولم يكن هذا أمرا غريبا نظرا لما لبريطانيا من مصالح خاصة فى كل من جنوب الجزيرة العربية وشمالها • وقد بدأت العلاقات البريطانية السعودية فى التوتر بعدما أقامت بريطانيا دولتين هاشميتين على حدود آل سعود الشمالية وأخذت ترعاهما • ونتيجة للعداء التقليدى بين السعوديين والهاشميين فى تلك الفترة ، ولقيام منازعات وحروب قبلية على حدود هاتين الدولتين مع السعودية ، فقد رأت بريطانيا نفسها ـ حفاظا على مصالحها الخاصة ـ مضطرة الى التدخل دفاعا عن مصالح العراق وشرق الأردن تدعيما لمركزيهما •

---

(١) نزيه مؤيد العظم : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٦٨ ـ ٦٩ •
(٢) محمد عبد الله ماضى (دكتور) : النهضات الحديثة فى جزيرة العرب ، جـ ١ ، ص ٢٩٧ ـ ٣٠١ •

وقد اضطرت بريطانيا الى استخدام الطـائرات فى فض التجمعات القبليـة السعودية على حدود هاتين الدولتين · الا أن هذا النزاع لم يستمر طويلا ، وتمكنت بريطانيا بفضل مجهودات ومفاوضات « سير جلبرت كلايتون » من أن تعقد معاهدة جده مع عبد العزيز آل سعود فى اليوم العشرين من مايو سنة ١٩٢٧ (١) · وقـد قضت هذه المعاهدة على المنازعات المحلية ، وأدت الى اعتراف بريطانيا باستقلال المملكة العربية السعودية · وقد ألغت هـذه المعاهدة فى نفس الوقت معاهدة الحمـاية التى عقدت فى اليوم الثانى من يناير سنة ١٩١٥ بين بريطانيا وعبد العزيز آل سعود (٢) عندما كان أميرا لنجد حينذاك (٣) على نحو ما تنص على ذلك المادة التاسعة من تلك المعاهدة · ويلاحظ أن بريطانيا قـد حرصت فى هذه المعاهدة الأخيرة على تحقيق جميع مصالحها ، مثل قيام العلاقات الودية بين البلدين ، وتسهيل تأدية فريضة الحج للمسلمين الذين تحت حكم بريطانيا أو حمايتها بمـا يعزز مكانتها لديهم · وتعهد عبد العزيز آل سعود بالحرص على العلاقات الودية مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العمانى ، الذين لهم مع بريطانيا معاهدات خاصة ·

وعقب هذه المعاهدة التى سويت بموجبها العلاقات بين بريطانيا والمملكة العربية السعودية تفرغ عبد العزيز آل سعود لتسوية العـلاقات السعودية اليمنية · وحضر الوفد السعودى الاول الى صنعاء فى شهر يونية سنة ١٩٢٧· أى بعد توقيع المعاهدة بشهر واحد · هذا فى الوقت الذى كان فيـه الامام يحيى مشغولا بصراعة مع بريطانيا فى جنوب اليمن · ويتضح هـذا بالنظر

---

(1) Treaty between His Majesty and His Majesty the King of the Hejaz and of Najd and its Dependencies, 1927. (Treaty of Jedda) .Cmd. 2951. 1927.
Notes Exchanged for the Modification of the Treaty of Jedda, May, 1927; October, 1927. Cmd. 5380.

(٢) حافـظ وهبه : جزيرة العـرب فى القـرن العشرين ، ط ٥ ، ص ٣٣١ ــ ٣٣٢ ·

(٣) حافظ وهبه : خمسون عاما فى جزيرة العرب ، ص ٨٣ · وقد أشار الى أن معاهدة الحماية التى عقدت بين بريطانيا وعبد العزيز آل سعود فى ٢ يناير سنة ١٩١٥ قد وضعته آنذاك « تحت الحماية البريطانية كسائر أمراء الخليج ، فكانت كل اتصالاته برئيس الخليج العربى الذى كان يقيم عادة فى (بوشهر) » ·

« على أن هذا الخطأ قد أصلح بمعاهدة جده سنة ١٩٢٧ حيث اعترف له بالاسـتقلال التام » ، أنظر للمؤلف : جزيرة العرب فى القرن العشرين ، ص ٢٥٣ ·

فى تاريخ سير كل من علاقات الامام مع السعوديين فى الشمال وبريطانيا فى الجنوب من بلاده • ففى الوقت الذى كان الوفد السعودى الاول والثانى فى صنعاء يفاوض الامام ومندوبيه ، كانت الطائرات البريطانية تلقى بقنابلها على جيوش الامام فى النواحى المحمية المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن • حتى أن الامام اضطر أن يسعى الى التوصل للهدنة مع بريطانيا وأعلنت الهدنة فعلا فى ٢٥ مارس سنة ١٩٢٨ ، وهو نفس الشهر الذى توجه فيه وفده هو الى مكة المكرمة مع الوفد السعودى الثانى • وكان موقف الامام يحيى المتحفظ مع الوفد السعودى على النحو الذى عبر عنه تركى بن ماضى رئيس الوفد الى مليكه عبد العزيز آل سعود بقوله : ان الامام « ليس له مقصد عدوان فى الوقت الحاضر ، ولا يريد حسم المادة والاعتراف بحدود معلومة له أو عليه ، بل يريد مسالمة ومكاتبة بغير نتيجة » (١) • وكان موقف الامام هذا نابعا من عدم رغبته فى البت فى مشكلة حيوية تخص حدوده الشمالية ، فى الوقت الذى كان يحارب فيه عند حدوده الجنوبية ، مما جعله يسوف فى الأمر حتى يحل قضيته مع بريطانيا فى الجنوب • وكان البريطانيون على علم تام بذلك ، مما جعلهم يعتقدون « أن نتيجة مفاوضات الامام مع بن سعود ستكون العامل الهام فى رسم سياسته فى المستقبل تجاه بريطانيا » (٢) • هذا اذا فكر الامام فى تسوية علاقاته فعلا مع السعوديين فى البداية •

ومن الواضح أن الامام يحيى رأى بعد ذلك أن اتفاقه مع السعوديين من شأنه أن يجعله متفرغا لتسوية علاقاته مع بريطانيا • ولا شك أن اتفاق عبد العزيز آل سعود مع البريطانيين بعقد معاهدة جدة فى اليوم العشرين من شهر مايو سنة ١٩٢٧ قد شجع الامام يحيى بعد ذلك على التفاهم مع البريطانيين حتى انتهى الأمر بعقده معاهدة الصداقة والتعاون المتبادل مع بريطانيا فى اليوم الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٣٤ على النحو الذى سنوضحه فيما بعد •

كذلك وجد عامل خامس كان له تأثيره الواضح على مسار العلاقات البريطانية اليمنية فى العقد الثالث من القرن الحالى تمثل فى اتجاه الامام الى عقد معاهدات مع دول أجنبية أخرى غير ايطاليا ـ التى عقد معاهدة معها فى اليوم الثانى من سبتمبر سنة ١٩٢٦ ـ وكان هدفه من ذلك دفع السياسة البريطانية الى اتخاذ موقف أكثر ايجابية للاتفاق معه • وان بدا حرص الامام الزائد على أن تكون هذه المعاهدات مع الدول الاجنبية محدودة للغاية ،

(1) Survey of International Affairs, 1928, P. 319.
(2) Ibid., P. 319.

وتختص بأغراض معينة فقـط ، وتكون له فرصة اخضاع موادها ـ عنـد التنفيذ ـ لوجهة نظره هو ، وطبقا لمـا يراه مناسبا ، حتى يقلل فى النهاية بل ويضعف من مدى تأثر اليمن بها • وكان الامام يحيى نتيجة لخبرته السابقة مع البريطانيين فى جنوب بلادهعلىدرجة كبيرة من التحفظ مع القوى الأجنبية الاخرى حتى أنه كان يخشى من كل نفوذأجنبى بشتى صوره وأشكاله (١) • غير أنه كان مضطرا للاستناد الى قوى أجنبية أخرى تساعده لنيل مطالبه من بريطانيا ، التى كانت تشكل ـ بوجودها فى عدن وعلاقاتها مع القبائل المحمية فى المناطق المحيطة بها فى جنوب اليمن ـ خطرا على استقرار حكمه •

من هذا المنطلق رحب الامام يحيى بعقـد معاهدة صنعاء مع الاتحـاد السوفييتى فى اليوم الاول من نوفمبر سـنة ١٩٢٨ (٢) ، فى الوقت الذى اشتد فيه صراعه الحربى مع بريطانيا • ولعل هـذا هو ما دفع الكثيرين الى القول بأن هذه المعاهدة أدت الى ازدياد شعور الامام بالقـوة أمام التهـديد البريطانى مما جعل بريطانيا تستخدم قواتهـا لاخراج قواته من النواحى المحمية المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن (٣) • على أنه من المعروف أن ثمـة عوامل أخرى أدت الى هذا التقارب السوفييتى اليمنى توفرت لدى الجـانب السوفييتى وخاصة من ناحية علاقاته الدولية عامة وعلاقاته بالشرق على وجه الخصوص • ففى سنة ١٩٢٨ ـ وهى نفس السنة التى عقدت فيهـا معاهدة صنعاء بين « ملك اليمن الامام يحيى » والاتحاد السوفييتى ـ انعقد المؤتمر السادس للكومنترن (٤) ، وهذا المؤتمر هو الذى بدأ به الاتحاد السـوفييتى ما سمى بالعهد الثالث الذى واجهت موسكو فيـه الشرق بشكل يائس بعض الشىء • وكان الاتحاد السوفييتى يرى حينذاك أن بريطانيا هى التى تمثـل رأس الاستعمار فى العالم ، كما كان يدرك فى نفس الوقت ـ ومن وجهة نظره النظرية البحتة ـ أنمنطقة الشرق الاوسط ليست معدة اعدادا كافيـا لنشر نفوذه فى ربوعها ، خاصة وأن جزءا منهـا واقع تحت النفوذ البريطانى أو الفرنسى مباشرة وهو الأغلب والأعم ، بينما الأجزاء الأخـرى كانت متأثرة سياسيا وحضاريا بوجود هذا النفوذ فى الاقاليم المجاورة • بل ان الاتحـاد السوفييتى كان يعلم أن منطقة الشرق الاوسط كـانت تتصف بالتخلف فى الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية حينذاك ، مما جعله يدرك أن من الصعب عليه التوغل فى تلك المنطقة • واكتفى الاتحـاد السوفييتى باقامة علاقات

---

(١) السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، ص ٣٥٠ •
(٢) Survey of International Affairs, 1930, PP. 170, 171.
(٣) Philby, H. : Op. Cit., P. 334.
(٤) والترلاكور : الاتحاد السوفيتى والشرق الأوسط ، ص ٩٨ •

تجارية وسياسية مع اليمن والسعودية ، وذلك لأنهما كانتا الدولتين العربيتين الوحيدتين اللتين خرجتا من الحرب العالمية الأولى وقد تحقق لهما الاستقلال . وقد أمد الاتحاد السوفييتي العربية السعودية بكثير من البضائع اللازمة ، وأنشأ له قنصلية في جدة ، وعمل على اغراق الأسواق هناك بالبضائع المختلفة ، حتى أثار ضده تجار جدة ، وقناصل الدول الأخرى فيها ، مما اضطر الحكومة السعودية الى الحد من نشاط السوفييت في بلادها (١) .

على أن اختيار السوفييت للعربية السعودية ولليمن كمجالي نشاط لهم في العقد الثالث من القرن الحالي كان نابعا أيضا من عدم تمكنهم من مد نفوذهم الى البلاد العربية الأخرى . وقد عبر عن ذلك أحد أعضاء الوفد السوفييتي الذي وصل الى اليمن للاتفاق على عقد معاهدة مع الامام يحيى في نوفمبر سنة ١٩٢٨ فقال : « نرغب أن نعقد معاهدة تجارية مع الامام يحيى ، اذ لايخفى عليكم أن بلادنا واسعة ومحصولاتنا كثيرة وأبواب العالم الخارجي مغلقة في وجوهنا ، فنحن نسعى لايجاد أسواق جديدة ، وهذه البلاد من جملة البلاد التي يمكننا أن نعمل معها ، ونجد فيها أسواقا تجارية (٢) » . وقد تمكن الوفد السوفييتي من عقد معاهدة صداقة وتجارة مع الامام يحيى سميت « بمعاهدة صنعاء » وذلك في اليوم الاول من نوفمبر سنة ١٩٢٨ (الموافق ١٧ جمادى الاول سنة ١٣٤٧ » (٣) . ويعتبر الامام يحيى أول حاكم عربي أقام علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي بعقده هذه المعاهدة في وقت مبكر جدا بالنسبة لبلدان الشرق الاوسط . وقد حقق الامام يحيى من وراء عقد تلك المعاهدة أغراضه السياسية والاقتصادية ، اذ اعترف فيها الاتحاد السوفييتي باستقلال اليمن تحت حكم الامام ، كما تم تنظيم عمليات التبادل التجاري بين الجانبين . وكانت مدة سريان هذه المعاهدة عشر سنوات ، ولكنها لم تتجدد بعد مضى هذه المدة ، اذ سحب الاتحاد السوفييتي كل هيئاته الدبلوماسية التي تعمل في المجال العربي في سنة ١٩٣٨ (٤) . ويرجع السبب في ذلك الى فشل الاتحاد السوفييتي أمام منافسه النفوذ الايطالي والألماني اللذين تغلغلا حينذاك في المنطقة العربية ، وكانا يمثلان أمام شعوب المنطقة المنقذ والمحرر من الاستعمار البريطاني والفرنسي المتحكم في مقدراتها . فقد بدا بوضوح تغلغل النفوذ الايطالي في اليمن عندما تم تجديد المعاهدة الايطالية اليمنية التي عقدت في سنة ١٩٢٦ مع الامام يحيى . في

---

(١) Philby, H. : Op. Cit., P. 334.
(٢) نزيه مؤيد العظم : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٨ .
(٣) Hurewitz, J. C. : Op . Cit., Vol. 2., PP. 177, 178.
(٤) Philby, H. : Op. Cit., P. 334.

الوقت الذى سحب فيه الاتحاد السوفييتى بعثتـــه الدبلوماسية من صنعاء واختفى نشاطه تقريبا من اليمن ، الى أن تجدد ثانية بعد ذلـك بمدة طويلة فى سنة ١٩٥٥ ٠

وعلى أية حال فقد كان للبعثة التجارية السوفييتية نشاط كبير فى اليمن وقـد أثبتت وجودها الى حـد كبير ، ونافست بشدة باقى الفئات التجارية فى الحديدة مما كان له أثره السيء على تلك الفئات ٠ فكانت هناك مثـــلا جمـاعة من اليونانيين يعرفون باخوان « ليفراتو » تشـــترى البن بأرخص الأثمان من الأهالى ، ثم تبيعه فى الأسواق الخارجية بالسـعر الذى تريده ٠ وهكذا كانت تتحكم فى سعر البن اليمنى سواء فى الداخل أو الخارج ، وذلك لقلة رأسمال التجار الوطنيين وعدم درايتهم بالعـالم الخارجى وأسـواقه ، ولكن « الشركة التجارية الروسية » ـ هكذا كان يدعى الوفد السوفييتى فى اليمن ـ أخذت تضارب تجـار البن وغيرهم من التجـار بشتى أصناف البضائع (١) ٠ وقد وصف نزيه مؤيد العظم النشاط التجـارى » للشركة التجارية الروسية « فقال : « وقد رأيت سماسرتها فى الطريق يبتاعون البن رأسا من القرويين وقـد جلبت شـيئا من السلع المختلفة كالسـكر والأرز والدقيق والكاز والخشب والكبريت والأقمشة الى غير ذلـك من البضائع الكثيرة ، واستولت على الاسواق التجارية ، وثبتت أثمـان الحاجيات بعدما كان التجار يتلاعبون بها كيفما شاءوا ٠ وقد كان لهذه السياسة أثر بعيد فى اليمن ، وأخذ بها معظم التجار وصاروا يمتدحون هـذه الشركة ويثنون عليها أطيب الثناء ٠ وقد اهتمت الحكومة الروسية كثيرا بأمر اليمن ، وصارت تسير بواخرها من أوديسـا فى البحر الاسـود الى خليج فارس فى العجم ، فتمر هذه البواخر بالبحر الاحمر وتقف بالحديدة فى ذهابها وايابها ، وتنقل البضائع والحجاج بأثمان بخسة لاتزاحم ٠ وقد ضربت بعملها هذا ، السفن التجارية الصغيرة التى تسير بين شواطىء البحر الأحمر ضربة قاضية لأن أصحاب هذه السفن كانوا يستنزفون أموال التجار ، ويتقاضون منهم أجورا غـير معقولة لنقل بضائعهم ، ولذلك لما أتت هذه الشركة الروسية حول التجـار نظرهم نحوها ، وانصرفوا عن غيرها ، ولا تأتى سفينة روسية الى الحديدة الا وهى ملأى بشتى البضائع والحاجيات ، وتعود من الحديدة ملأى بالجلود والبـن » (٢) ٠

وتجدر الاشارة الى أن التقارب السوفييتى اليمنى كان يمثل جانبا من التنافس الدولى بين الاتحاد السوفييتى وبين الدول الغربية وخاصة بريطانيا

(١) السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، ص ٣٥٣ ٠
(٢) نزيه مؤيد العظم : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٨٠ ٠

وهو التنافس الذى كان قد بدأ مع مطلع العقد الثالث من القرن العشرين على المستوى الدولى ووصل مداه الى البحر الاحمر الذى يمثل شريانا دوليا هاما للمواصلات بين الشرق والغرب • وقد تمكن الاتحاد السوفييتى من تعيين قنصل له فى جدة فى سنة ١٩٢٤ لدى بلاط الملك حسين • كما كان الاتحاد السوفييتى أول دولة اعترفت بعبد العزيز آل سعود ملكا على الحجاز بعد طرد الاسرة الهاشمية فى سنة ١٩٢٥ • وقد حاول هذا القنصل أن يعمل من مقره فى جدة على الاتصال بالعناصر المتمردة غير الراضية فى حوض البحر الأحمر ، ونشر النفوذ السوفييتى هناك • وبناء على المقترحات التى رفعها لحكومته ، بدأت السفن السوفييتية تبحر بانتظام منذ بداية سنة ١٩٢٧ فى البحر الاحمر وغيره لخدمة أغراض الحج ، كما عرضت البضائع السوفييتية فى أسواق جدة بحوالى نصف تكاليفها لاجتذاب الناس الى شرائها. وفى نفس السنة أيضا افتتح فرع « الشركة التركية الروسية » فى جدة ، وهى الشركة التى عطل عبد العزيز آل سعود نشاطها فيما بعد لتشككه فيها • وعلى أية حال فقد أدى هذا النشاط الى تمهيد السبيل لعقد المعاهدة السوفييتية اليمنية فى أول نوفمبر سنة ١٩٢٨ ، وتمكن الاتحاد السوفييتى من تعيين قنصل تجارى فى صنعاء • غير أن بريطانيا انقاذا لمصالحها فى الجزيرة العربية ، ومنافسة للنفوذ السوفييتى الممتد هناك ، سارعت الى رفع مفوضتها فى جدة الى درجة سفارة • وقد قامت بريطانيا بهذا التحرك حتى تضمن لوزيرها المفوض فى جدة مركز عمادة الهيئة الدبلوماسية فى بلاد الملك عبد العزيز آل سعود (١) •

وعلى أية حال فقد كان توصل الامام يحيى الى عقد معاهدة صنعاء مع الاتحاد السوفييتى فى اليوم الاول من نوفمبر سنة ١٩٢٨ من العوامل المؤثرة فى تطور العلاقات البريطانية اليمنية فى العقد الثالث من القرن الحالى ، ومن العوامل الممهدة أيضا لتصل الامام الى عقد معاهدة الصداقة والتعاون المتبادل مع بريطانيا فى اليوم الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٣٤ • على أن ذلك لم يتم الا بعد حدوث تطورات هامة فى الساحة اليمنية فى نهاية العشرينات وأوائل الثلاثينات من القرن الحالى •

عودة المفاوضات بين بريطانيا والامام يحيى فى نهاية سنة ١٩٢٨ :

تبينا فيما سبق أن بريطانيا نجحت فى نهاية سنة ١٩٢٨ فى اعادة حدود النواحى المحمية المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن الى ما كانت عليه قبيل

(1) Survey of International Affairs, 1939 — 1946, PP. 488, 489.

جلاء العثمانيين عنها فى مطلع سنة ١٩١٩ ، وذلك نتيجة للعمليات الحربية التى قامت بها الطائرات البريطانية ضد القوات التابعة للامام يحيى (١) ٠ وقد اضطر الامام — بعد أن منيت قواته بالهزيمة — أن يطلب من بريطانيا اعادة فتح باب المفاوضات وذلك فى شهر سبتمبر سنة ١٩٢٨ لتسوية النزاع القائم بين الجانبين اليمنى والبريطانى ٠ وزاد من اضطرار الامام يحيى الى التفاهم مع بريطانيا آنذاك عدم توصله الى اتفاق مع عبد العزيز آل سعود وعودة وفد الامام من مكة دون التوصل الى نتائج حاسمة ، وظل الموقف معلقا بين الدولتين منذ أواخر عام ١٩٢٨ ، وحتى وقوع حادثة جبل « العرو » على حدود عسير فى سنة ١٩٣١ والتى كان من الصعب فيها تحديد الجانب المعتدى أهو جانب عبد العزيز آل سعود أم جانب الامام يحيى ؟ ٠ وانتهى الأمر بعقد معاهدة صداقة وحسن جوار بين الجانبين فى اليوم الخامس عشر من ديسمبر سنة ١٩٣١ ٠ ويرجح أن الملكين لم يريدا حينذاك الدخول فى حرب غير مضمونة من أجل بقعة أرض صغيرة غير ذات أهمية كبيرة على الحدود ، فى الوقت الذى كان على كل منهما فيه مواجهة مشكلاته الخاصة الأكثر أهمية فى بلاده (٢) ٠

أما بالنسبة لبريطانيا فقد وجدت فى اعادة فتح باب المفاوضات (٣) مع الامام يحيى وضع حد لمحاولات الايطاليين والسوفييت وغيرهم لمنافستها سياسيا واقتصاديا فى اليمن عن طريق عقدهم المعاهدات المختلفة مع الامام يحيى ٠ ومن المعروف أن الامام لم يعقد هذه المعاهدات مع القوى الاجنبية الا تحت ضغط ظروف صراعه مع البريطانيين ودون أن يؤمن بفوائدها لتطوير بلاده ، أو لتكون علاقات دبلوماسية دولية كهدف فى حد ذاته ٠ اذ كان الامام منشغلا أصلا باقرار حكمه فى داخل اليمن مما جعله يوجه حملات الى شرقى صنعاء ، والى مناطق أخرى داخل اليمن لاقرار الامور هناك ، وذلك بعد نجاحه فى اخماد تمرد قبيلة الزرانيق فى سنة ١٩٢٨ ، وبعد انتصاره على قبائل يام وسيطرته على منطقة نجران (٤) فى شهر مايو سنة ١٩٣٣ ٠

هذا فى الوقت الذى نجحت فيه بريطانيا فى اقرار أمورها فى النواحى التسع المحمية المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن واعادة ثقة أهلها فى التعهدات

---

(١) Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 283.

(٢) السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، ص ٣٦٠ — ٣٦١ ٠

(٣) سيتون وليمز : بريطانيا والدول العربية ، عرض للعلاقات الانجليزية العربية (١٩٢٠ — ١٩٤٨) ، ص ٢٠٤ ٠

(٤) عبد الله الكريم الجرافى : المصدر السابق ، ص ٢٤٣ ٠

البريطانية • وكان من مظاهر نشاط بريطانية فى تلك النواحى قيامها بعقد مؤتمرين فى عامى ١٩٢٩ و ١٩٣٠ فى لحج حضرهما سلاطين وأمراء ومشايخ هذه النواحى (١) ووقــع المجتمعون فيها على ميثاق تضامن « على الأمــر بالمعروف والنهى عن المنكر » ، وتشكل مجلس تحكيم لحل مشكلاتهم بصــورة ودية ، وقــد افتتح كلا المؤتمرين المقيم السياسى البريطانى فى عدن ، فى الوقت الذى رأس جلسات المؤتمرين سلطان لحج • كما كان المقيم السياسى البريطانى فى عدن ورجال حكومته وضــباط الطيران البريطانيين على رأس المدعوين فى الحفل الذى أقامه سلطان لحج فى حديقة قصره بهذه المناسبة • وكانت بريطانيا قــد أجبرت الامام يحيى على « اخلاء سبيل المحميات » وفقا لتعهداته السابقة فى « يوم ٢٠ رجب ١٣٤٩ هـ ــ أكتوبر سنة ١٩٣٠ م ــ وكان يوما تاريخيا فى لحج » (٢) •

وقد اتسمت العلاقات البريطانية مع الامام يحيى بعد ذلــك بالهدوء النسبى وسلوك طريق المفاوضات ، مما جعل الجانبين يتوصلان الى اقتراح عقد معاهدة ، وكــان على بريطانيا « أن تضع الأسس المناسبة للتعــاقد بشأنها » (٣) وذلك فى شهر اكتوبر ســنة ١٩٣١ • غير أن الامام يحيى قام باحتلال جزء من ناحية « العوذلى » مرة أخرى ، وهى احــدى النواحى التسع المحمية المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن ، بعد أن كانت قواته قد انسحبت منها أثناء أحداث عام ١٩٢٨ • ورغم أن الامام قبض على حوالى أربعين رهينا من تلك الناحية ، الا أن ذلك لم يمنع من استمرار المفاوضات بين الجانبين البريطــانى واليمنى • وقــد صرح نائب وزير المستعمرات فى مجلس ــ اللوردات ــ البريطــانى فى اليوم الثــامن والعشرين من يونية ســنة ١٩٣٣ (٤) • بأن هناك ثلاثة شروط لعقد المعاهدة ، تتبلور فيما يلى :

أولا ــ الجلاء عن كل أقاليم المحمية « النواحى التسع » •

ثانيا ــ الافراج عن الأسرى من رجال قبائل المحمية •

ثالثا ــ رفع القيود عن التجارة بين محمية عدن وباقى اليمن (٥) •

---

(١) Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 285.

(٢) أحمد فضل العبدلى : المصدر السابق ، ص ٢٨٨ •

(٣) Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 196.

(٤) Hansard's Parliamentary Debates, House of Lords, June 28th 1933, Cols. 408, 412.

(٥) Survey of International Affairs, 1934, P. 309.

وقد أدى التوصل الى اتفاق على هذه النقاط الى عقد معاهدة الصداقة والتعاون المتبـــادل بين بريطانيا واليمن فى الحـــــادى عشر من فبـــراير سنة ١٩٣٤ (١) ·

وتجدر الاشارة الى أن الامام يحيى كان يدرك أن بريطانيا ليست لهـا أطماع خاصة ومباشرة داخل الهضبة اليمنية ، كما أنها لا ترغب فى التوسع أو الدخول فى معارك حربية ضده لأنها اذا فعلت ذلك فستير ضدها عداء باقى الدول الاوربية ذات المصالح هناك · ولا شك أن تجمع حكام النواحى المتاخمة لعدن بجنوبى اليمن تحت رعاية الانجليز كان من أكبر العــوامل التى جعلت الامام يعتقد بضعف موقفه فى الجنوب · وهذا ما جعله يقبل على التفاوض مع بريطانيا من أجل التوصل الى تسوية تساعده ــ وقوته محدودة ــ عــلى التفرغ لحل المشاكل الاخرى الداخلية والخارجية وخاصة مع جاره القوى فى شمال البلاد عبد العزيز آل سعود · أما بالنسبة لبريطانيا فانهـــا لم تكن ترغب فى التوسع داخل اليمن ، فهى لم تنس ما واجهه الاتراك من متاعب أثناء وجودهم هناك حتى جلائهم عنها فى مطلع عام ١٩١٩ · وكل ما كـان يهمها هو ألا يثير الامام يحيى أية متاعب لهـا فى النـــواحى التسع المحمية المتاخمة لعدن بجنوبى اليمن ، كما كانت ترغب فى أن تحصل من الامام على مايؤكد تخليه عن مطالبه فى تلك النواحى المحمية من قبلها · ومن هنا التقت رغبة الجانبين فى التوصل الى اتفاق بينهما يحقق اقامة عــلاقات ودية فى المجالين السياسى والاقتصادى (٢) · ونظرا لأن مشكلة تخطيط الحدود كانت مشكلة يصعب معالجتها حينذاك ، فقد مال الطرفان الى الاتفـــاق على عقد معاهدة تعلق فيها مشكلة الحدود الى حين ، حتى يمكن حلها بطريقة مرضية فى المستقبل (٣) ·

« معاهدة صنعاء » بين بريطانيا والامام يحيى فى سنة ١٩٣٤ :

توصل الجانبان البريطانى واليمنى الى عقـــد « معاهدة صنعاء » فى اليوم الحادى عشر من فبراير ســـنة ١٩٣٤ (٤) · وهى فى حقيقتها اقرار للوضع الراهن Status quo. (٥) دون تحديد للحدود الفاصـــلة

---

(١) F.O., White Paper, Cmd. 4752, 1934.
(٢) أحمد حسين شرف الدين : المصدر السابق ، ص ٣١٢ ·
(٣) Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 296.
(٤) Hurewitz, J. C. : Op. Cit., Vol. 2., PP. 196, 197.
(٥) صلاح العقاد (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٦٥ ·

بين منطقتى نفوذ بريطانيا من جهة والامام يحيى من جهة أخرى فى جنوبى اليمن (١) ، أكثر من كونها تسوية نهائية لمشـــكلة الحـــدود بين الجانبين هناك (٢) · بل ان التصـــــديق على هذه المعاهدة والذى لم يتم الا فى اليوم الرابع من سبتمبر سنة ١٩٣٤ ، كان معلقا باقرار الوضع القائم دون تحديد للحدود بين منطقتى نفوذ الجانبين ، كما كان معلقا أيضا باتمام جلاء قوات الامام عن أربع وستين قرية فى اقليم العوذلى ، وثمانية قرى أخرى فى امارة الضالع · هذا فضلا عن الافراج عن الأسرى والرهائن من أهالى النـــواحى المحمية فى جنوب اليمن الذى سبق أن احتجزهم الامام ، مع اعادة فتح طريق التجارة بين هذه النواحى وبقية الأراضى اليمنية (٣) ·

واتفق الجانبان البريطانى واليمنى بموجب معاهدة صنعاء كذلك على أن يضم خط الحدود بلاد « العوذلى » و « الضالع » لبقية النواحى المحمية من قبل بريطانيا · أما بالنسبة لاقليم « البيضاء » وكانت تقع من قبـل ضمن منطقة نفوذ الجانب البريطانى وفقا لخط الحدود السابق تحديده بين منطقتى نفوذ بريطانيا والدولة العثمانية فى جنوب اليمن فى سنة ١٩١٤ ـ فقد تم ضمها لمنطقة نفوذ الامام يحيى لأنها لم ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة حماية (٤) ويعتبر ضم اقليم « البيضـاء » الى منطقة نفوذ الامام يحيى هو التعديل الوحيد الذى احدثته معاهدة صنعاء فى سنة ١٩٣٤ على الحدود السابق تحديدها بـين منطقتى نفوذ بريطانيا والدولة العثمانية فى جنوب اليمن فى سنة ١٩١٤ ·

وقد مثل الجانب البريطانى فى التوقيع على « معاهدة صـــــنعاء » أو « معاهدة الصداقة والتعاون المتبادل بين بريطانيا واليمن » فى الحادى عشر من فبـــراير سنة ١٩٣٤ « الليفتنـــانت كولونيـــل برنارد رودون رايلى » Lieutenant Colonel Bernard Rawdon Reilly المقيم السياسى البريطانى فى عدن ، والذى كان قـد حصل قبل ذلك بعامين على لقب المندوب الرئيسى " Chief Commissioner 1932 — 7 " بينما مثـل الجانب اليمنى فى التوقيع على هذه المعاهدة « صاحب السعادة القاضى محمد راغب بن رفيق » ·

---

(١) Reilly, B. : Op. Cit., Text of Treaty and exchange or notes, PP. 72, 74.

(٢) اوردنا ترجمة لنص المعـــاهدة ضمن ملاحق البحث نقلا عن : عبد الواسع الواسعى : المصدر السابق ، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٦ ·

(٣) Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 297.

(٤) Reilly, B. : Op. Cit., P. 18.

(٥) Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 444.

وقد اعتبر البريطانيون أن « معاهدة صـــنعاء » هذه أهم حـــدث على النطاق المحلى فى اليمن بعد حدث احتلالهم لعدن فى سنة ١٨٣٩ · وقـــد اقيم حفل كبير لاستقبال « الكولونيل برنارد رايلى » عند عودته الى عدن اشترك فيـــه الأهالى ، وتقدمهم عدد كبير من الشيوخ والرؤساء (١) · كما أجاب « سيرجون سيمون » وزير الخارجية البريطانية على الأسئلة التى وجهت اليـــه بمناسبة عقد « معاهدة صنعاء » فى الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٣٤ ، بأن حكومته تعدها معاهدة مرضية للغاية · وأثنى الوزير البريطانى على الجهود التى بذلها من أجل التوصـــل لعقد هذه المعـــاهدة « الكولونيـــل برنارد رايلى » المقيم الســـياسى البريطانى فى عدن والذى مثل الجانب البريطانى فى التوقيـــع عليها (٢) · وقد أوردنا النص الكامل لهذه المعاهدة فى ملاحق هذا البحث ، وسوف نتناول مواد هذه المعاهدة بالدراسة والتحليل للتعرف على أبعـــادها المختلفة وأثرها البالغ فى تطور العلاقات البريطانية اليمنية فى فترة ما بين الحربين العالميتين ·

ان أهم ما يستلفت النظر فى هذه المعاهدة هى أنهـــا كانت ملبيـــة لتطلعات بريطانيا التى حرصت على تحقيقها طوال الفترة الممتدة بين عامى ١٩١٩ و ١٩٣٤ والتى تتمثل فى الحيلولة دون ســـيطرة الامام يحيى على النواحى المحمية المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن أو التدخل فى شئونها · وقد توصلت بريطانيا بموجب هذه المعـــاهدة الى اعتراف صريح من الامام يحيى بالوضع الراهن فى النواحى المحمية المتاخمة لعدن وبمركز بريطانيا هناك ، بعد أن كانت تعتبر من — وجهة نظره — دولة مغتصبة · وليس من المبالغـــة القول بأن هذه المعاهدة كانت بداية النهـــاية بالنسبة لحقـــوق الامام فى المحميات ، وان رأى البعض أن الامام ظل يتصور أنها عملا مرحليا لايعنى أكثر من مجرد تأجيل للبت فى مشكلة الحدود (٣) ·

ويقول الاستاذ الدكتور صلاح العقاد ان قبول الامام لهذه المعاهدة كان يعنى نظريا أنه لم يتنازل عن مطالبه فى الجنوب ، ولكن اذا عـــرفنا أن مـــدة المعاهدة هى أربعين سنة تبين لنـــا أن موقف الامام ليس مؤقتا ، سيما وأن المعاهدات الأخرى التى عقدها الامام مع ايطاليا أو الاتحاد السوفييتى لم تزد

---

(١) صحيفة الأهرام : العدد رقم ١٧٦٧٢ ، الصـــادر فى ١٨ فبراير ١٩٣٤ ، ص ٥ ·

(٢) صحيفة الأهرام : العـــدد رقم ١٧٦٨١ ، الصـــادر فى ٢٧ فبراير ١٩٣٤ ، ص ٤ ·

(٣) السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، ص ٣٩٠·

مدتها عن عشر سنوات (١) . وقد أشارت المعاهدة في مادتها الثالثة الى تأجيل البت في مسألة الحدود فأوردت : « يؤجل البت في مسألة الحدود اليمنية الى أن تتم مفاوضات تجرى بينهما (أى بين الجانبين البريطانى واليمنى) قبل انتهاء مدة هذه المعاهدة بما يوافق الفريقان المتعاهدان الساميان عليه بصورة ودية وباتفاق كامل بدون احداث أى منازعة أو مخالفة .

« والى أن تتم المفاوضات المشار اليها فى الفقرة السالفة الذكر ، فالفريقان المتعاقدان الساميان يوافقان على بقاء الوضع القائم بالنسبة للحدود كما هى عليه عند تاريخ توقيع هذه المعاهدة ، وأن يمنعا بكل ما لديهما من الوسائل أى تعد من قواتهما فى الحدود المذكورة ، وأى تدخل من أتباعهما أو من جنبهما فى شئون الأهالى القاطنين فى الجانب الآخر من الحدود المذكورة » (٢) .

وقد أدى تأجيل البت فى مسألة تحديد الحدود ـ بين ما تحت أيدى الامام يحيى من الأراضى اليمنية وبين النواحى الداخلة فى حماية بريطانيا فى جنوب اليمن ـ الى قيام البريطانيين بتدعيم مركزهم فى تلك النواحى وتقوية قبضتهم عليها (٣) . وقد قامت بريطانيا بوضع المشروع تلو الآخر لضمان استمرار خضوع تلك النواحى اليمنية لسلطانها ، وكان آخر هذه المشروعات اعلان قيام اتحاد الجنوب العربى فى اليوم العاشر من فبراير سنة ١٩٥٩ ، الذى ضم تلك النواحى (٤) ، الأمر الذى كان من وجهة النظر اليمنية يخالف روح معاهدة صنعاء المعقودة فى سنة ١٩٣٤ وذلك قبل أن

---

(١) صلاح العقاد (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٢) Reilly, B. : Op. Cit., P. 73.

(٣) أشارت مجلة « الحكمة » اليمنية الى أن انجلترا لم تكن حسنة النية تجاه المعاهدة (البريطانية اليمنية سنة ١٩٣٤) التى تنص على ابقاء الأوضاع فى جنوب اليمن كما هى دون تدخل الطرفين المتعاقدين ـ مدة سريان المعاهدة وهى أربعين عاما ـ حتى يتم التفاوض بشأنها خلال هذه المدة . غير أن انجلترا أخلت بالتزاماتها فأخذت تقيم المنشآت والمطارات الحربية ، وتعمل على التفريق بين الأهالى بعضهم البعض ، وبينهم وبين باقى الشعب اليمنى فى الشمال ، واستطردت المجلة فى مهاجمة خطوات انجلترا التوسعية على الحدود حتى أنها تحاول أن تتعدى الحدود التى كانت قد وضعتها مع الحكومة العثمانية عام ١٩١٤ والتى تحتج بها لدى الامام وتجاه العالم الخارجى .
ـ مجلة « الحكمة » اليمنية ، العدد الأول ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ذى القعدة ١٣٥٧ هـ ، ص ١٨ .

(٤) صلاح العقاد (دكتور) : المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

تنقضي مدة العمل بهذه المعـــاهدة ، والتي حددت بأربعين عاما . وقد رأت بريطانيا في تنفيذها لهذا المشروع تطبيقا لسياسة استعمارية جديدة اتبعتها في المنطقة تحت شعار « وحد واحكم » بعد أن استنفذت أغراض سياستها الاستعمارية « فرق تسد » . وقد أصرت بريطانيا على أن تكون مدة العمـل بمعاهدة صنعاء أربعين عاما ، وهي مدة كافية من وجهـة نظـرها لتحقيق الأهداف البريطانية في المنطقة . واضطر الامام يحيى للموافقة على هـذه المدة الطويلة التي تخالف في الحقيقة عادة الامام في تحـديد مدة العمـل بمعاهداته مع الدول الأجنبية الأخـرى التي لم تزد عن عشر سـنوات في معظمها ، مما أدى الى تأخير البت في مشكلة الحدود التي ظلت معلقة طوال تلك الفترة . ولا شك أن هذا الأمر قد أعطى لبريطانيا أكبر فرصة لتدعيم مركزها في النواحي المحمية المتاخمة لعدن في جنوبي اليمن ، وكسب سلاطين وأمراء وشيوخ هذه النواحي الى جانبها بمختلف الطرق والأساليب الممكنة ، دون أن يكون للامام حق الاتصال بهؤلاء الحكام من الناحية الرسـمية وفقا لشروط معاهدة صنعاء المتفق عليها (١) . ومعنى ذلك أن بريطانيا حققت من وراء تلك المعاهدة من المكاسب مالم يحققه الامام يحيى منها .

وهذا يجعلنا نتساءل عن دوافع الامام يحيى لتقبل عقد هذه المعاهدة مع الحكومة البريطانية . ومن خلال اسـتعراض مواد المعاهدة نلاحظ أنها تعتبر أول اعتراف رسمي من جانب بريطانيا باستقلال الامام يحيى ومملكته استقلالا كاملا مطلقا في جميع الأمور مهما كان نوعها على نحو ما جاء في المادة الأولى التي نصت على أن :

« يعترف جلالة ملك بريطانيـا العظمى وأيرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند باستقلال جلالة الملك اليمن حضرة الامام ومملكته استقلالا كاملا مطلقا في جميع الأمور مهما كان نوعها » .

كما أكدت هذه المعاهدة على أن يحل السلام محل الحرب بين الجانبين اليمني والبريطاني اللذين يتعهدان بالمحافظة على حسن العلاقات بينهما من جميع الوجوه ، على نحو ما أوردته المادة الثانية ، وجاء فيها :

« يسود الســلم والصداقة بين الفريقين المتعاهدين الساميين اللذين يتعهدان بالمحافظة على حسن العلائق بينهما من جميع الوجوه » .

---

(1) Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 301.

ولا شك أن اعتراف بريطانيا باستقلال الامام يحيى ملكا على مملكته (١) ، وتعهدها بأن يسود السلم والصداقة بين الجانبين ، كانا من أهم أهداف الامام وفى مقدمة دوافعه لعقد هذه المعاهدة (٢) • اذ حدث ذلك فى وقت كان الامام فى أشد الحاجة فيه لمثل هذا الاعتراف من جانب بريطانيا ، ولمثل هذا التعهد بأن يسود السلم والصداقة بينهما ، خاصة بعد أن عجز من جانبه عن مواجهة العمليات الحربية التى قامت بها الطائرات البريطانية ، وهو نفس الوقت الذى تأزمت فيه العلاقات اليمنية السعودية ووصلت الى حد قيام تحركات وتحرشات بين قوات الجانبين على الحدود الشمالية للأراضى اليمنية (٣) • وكان من الصعب على الامام يحيى أن يواجه عدوين فى وقت واحد • وكانت بريطانيا ترقب ما يدور فى الساحة اليمنية وفى الجزيرة العربية ، مما جعلها تدرك حقيقة موقف الامام الحرج بين قوتين لا قبل له بمواجهتها معا فى وقت واحد ، وكانت قواتهما تحاصرانه من من الشمال ومن الجنوب •

وقد استغلت بريطانيا هذا الموقف وعرضت على الامام يحيى السلام والصداقة نظير تقبله للشروط التى تتفق ومصالحها الخاصة • ولم يجد الامام يحيى حينذاك أفضل من هذا العرض الذى كان عليه أن يقبله ليواجه مشكلاته منفردة واحدة بعد الأخرى • ومن الواضح أن الامام يحيى قد أدرك من خلال احتكاكه السابق مع حكام النواحى المحمية المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن عدم رغبتهم فى الانضواء تحت حكمه وتفضيلهم للحماية البريطانية التى كانت لا تتعارض مع حريتهم المذهبية ، ولا تتدخل بشكل مباشر فى شئونهم الداخلية ، فضلا عن المشاهرات ومظاهر الاحترام التى كانوا يلقونها من قبل البريطانيين فى عدن (٤) • ولهذا رأى الامام يحيى أن العرض البريطانى — فى اطار كل الظروف المشار اليها وبالشروط التى وضعتها بريطانيا — مقبولة من وجهة نظره ولو على أساس مرحلى • ولا شك أن الامام قد لمس اصرار البريطانيين على توفير حالة من الاستقرار فى النواحى المحمية بدا أمامه أمرا واقعيا يحميه الوجود البريطانى المتمركز فى عدن (٥) ، ويصعب عليه — فى ضوء امكاناته وقدراته — ادخال أى تعديل عليه •

---

(١) ستيون وليمز : المصدر السابق ، ص ٢٠٤ •
(٢) أحمد حسين شرف الدين : المصدر السابق ، ص ٣١٢ — ٣١٥ •
(٣) سيتون وليمز : المصدر السابق ، ص ٢٠٥ — ٢٠٦ •
(٤) Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 302.
(٥) Gavin, R.J. : Op. Cit., P. 308.

أما بالنسبة للجبهة الشـــمالية لليمن والتى كانت حدودها غير ثابتة وموضع منافسة بين الامام يحيى وعبد العزيز آل سعود ، فقد وجد الامام الفرصـة متاحة ليحقق قصب الســـبق فيها · ولا شك أن ذلك جعله يقبل صداقة بريطانيا وهى العدو الذى عجز عن التغلب عليه ، حتى يتفرغ لعدو محلى على شاكلته لحسم قضية الحدود الشمالية التى لم تكن قد استقرت بعد بين الجانبين حينذاك · وقد حرص كلا العاهلين اليمنى والسعودى على أن

يكون له النصيب الأكبر من الأراضى المتنازع عليها بشمالى اليمن ، نظرا لما تتميز به من غنى ملحوظ فى الثروة الزراعية (١) · ومن هنـــا وجد الامام يحيى مبررا كافيا لديه لقبول « معاهدة صنعاء » فى الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٣٤ · على أن هذه المعاهدة التى أدت الى احداث التقارب بين بريطانيا والامام يحيى كان من شأنها أن تؤدى حينذاك الى زيادة حدة الصراع اليمنى السعودى (٢) ، الذى سيحسم فى نهاية السنة نفســـها بعقد المعاهدة اليمنية السعودية المعروفة « بمعاهدة الطائف » (٣) فى اليوم التاســـع عشر من مايو سنة ١٩٣٤ (٤) ·

وتجدر الاشارة الى أن « معاهدة صنعاء » التى عقدت بين الامام يحيى وبريطانيا فى الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٣٤ وعرفت بمعاهدة الصداقة والتعاون المتبادل بين الجانبين (٥) ، قد نصت فى مادتها الرابعة على قيـام الجانبين المتعاهدين وبنـــاء على الموافقة المتبادلة عقد ما يلزم من معاهدات لتنظيم الأمور التجارية والاقتصادية على أساس المبادىء الدولية العامة · كما نصت المادة الخامسة على أن يكون رعايا كل من الجانبين المتعاهدين اليمنى والبريطانى الذين يرغبون فى التجـــارة فى أقاليم الفريق الآخر تابعين للقوانين والأحكام المحلية ، ويتمتعون بنفس المعاملة التى يتمتع بها رعايا الدولة الأكثر رعاية · وأشارت نفس هذه المادة الى أن سفن كل من الجانبين اليمنى والبريطانى وشحناتها تتمتع فى موانى الفريق الآخر بنفس المعاملة التى تتمتع بها سفن الدولة الأكثر رعاية وشحناتها ، وتعـــامل ركاب تلك السفن فى موانى بلاد الفريق الآخر بنفس ما يعامل به من كان فى ســـفن الدولة الأكثر رعاية هنالك · ونصت المادة السادسة على أن تكون هذه المعاهدة

---

(١) السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، ص ٣٩٤ ·
(٢) Survey of International Affairs, 1934, P. 312.
(٣) أحمد حسين شرف الدين : المصدر السابق ، ص ٢٨٨ ـ ٢٩٨ ·
(٤) نزيه مؤيد العظم : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٩٢ ـ ٢٠٢ ·
(٥) Antonius, G. : Op. Cit., PP. 341 , 342

اليمنية البريطانية أساسا لكل الاتفاقيات التى ستعقد بعد ذلك بين الجانبين المتعاهدين آنذاك وفى المستقبل ، وذلك بقصد تقوية الود والصداقة ، كما تعهد الجانبان بعدم تقديم المساعدة لأى عمل موجه ضد الود والصداقة المخلصة القائمة بينهما أو التستر عليه (١) ٠

ـ أثر « معاهدة صنعاء » على العلاقات البريطانية اليمنية :

تشكل « معاهدة صنعاء » ـ وهى معاهدة الصداقة والتعاون المتبادل بين اليمن وبريطانيا المعقودة فى اليوم الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٣٤ ـ حجر الزاوية فى تطور العلاقات البريطانية اليمنية فيما بين الحربين العالميتين ٠ وقد حرصت بريطانيا ـ وهى ترقب تأزم العلاقات اليمنية السعودية فى نفس السنة التى عقدت فيها معاهدة صنعاء ـ أن تحافظ على مركز الامام يحيى ـ بعد أن اتفقت معه ـ عن طريق اتخاذ موقف عملى تمثل فى الاتصال بالملكين المتنازعين ، وأبدت نصيحتها للجانبين اليمنى والسعودى، وأوصتهما بأن يتبعا خطة الاعتدال ٠ وقد قام بهذه المهمة كل من « الكولونيل برنارد رايلى » الذى أوفدته حكومة صنعاء ، و « سير أندروريان » وزير بريطانيا المفوض فى جده آنذاك ٠ وقد تمت هذه الاتصالات فى الشهور الأولى من سنة ١٩٣٤ عقب تقدم القوات السعودية حتى اقترابها من جزيرة « قمران » (٢) الواقعة أمام الساحل اليمنى المطل على البحر الأحمر من ناحية الشمال ، وكان يشرف عليها حاكم مدنى بريطانى ٠ وكانت بريطانيا تقيم فيها محجرا صحيا للحجاج الوافدين من بلدان الشرق الأقصى ، ولم يكن قد تم البت بعد فى ملكية هذه الجزيرة ، اذ كانت تحت تصرف الدول الموقعة على معاهدة لوزان فى اليوم الرابع والعشرين من يوليو سنة ١٩٢٣ والتى اصبحت سارية المفعول اعتبارا من اليوم السادس من شهر أغسطس سنة ١٩٢٤ (٣) ٠ وقد حرصت بريطانيا على الا يتضخم نفوذ الملك عبد العزيز آل سعود فى الجزيرة العربية الا بالقدر الذى لا يتعارض مع مصالحها المختلفة هناك ٠ ومن هنا كان يهم بريطانيا ـ اعتمادا على علاقاتها الطيبة مع الملك عبد العزيز ـ ألا يفتئت على ممتلكات الامام يحيى بما يؤثر على مصالحها فى اليمن بشكل مباشر ٠

وجدير بالذكر أن تأزم العلاقات اليمنية السعودية فى سنة ١٩٣٤ ، حتى بلغ حد الصدام المسلح ، لم يثر قلق بريطانيا فحسب ، بل وأثار قلق

---

(١) Hurewitz, J.C. : Op. Cit. Vol. 2., P. 197.

(٢) صحيفة الأهرام : العدد رقم ١٧٧٣٨ ، الصادر فى ١٨ ابريل ١٩٣٤ ، ص ٦ ٠

(٣) فاضل حسين (دكتور) : المصدر السابق ، ص ١٥ ـ ١٩ ٠

كل من ايطاليا وفرنسا والاتحاد الســـوفييتى أيضا · ولا شك أن بريطانيا كانت أكثر هذه الدول اهتماما بتلك الأزمة ، نظرا لما لها من مصالح حيوية هامة فى الجزيرة العربية ومنطقة البحر الأحمر ، حتى أن هذا الاهتمام انعكس على مختلف دوائرها السياسية ، ونال قدرا كبيرا من عنـــاية الصـــحافة البريطانية · ولهذا فان موقف بريطانيا الرسمى كان أكثر تحديدا اذا ما قورن بمواقف الدول الأخـــرى · فقد أدلى وزير الخارجية البريطانية فى مجلس العموم فى اليوم السابع والعشرين من مايو سنة ١٩٣٤ بحديث هام يعبر عن موقف بريطانيا الرسمى ، قال فيه أن الحكومة البريطانية تراعى فى خطتها « الحياد الدقيق ازاء النزاع القائم » ، الذى من أجله تتخذ الحكومة البريطانية التدابير التى تراها ضرورية لحماية أرواح الرعايا البريطانيين وأملاكهم والأشخاص الذين تحت حمايتها فى المنطقة التى يدور فيها القتال بين القوات اليمنية والسعودية (١) ·

أما بالنسبة لايطاليا فقد شغلت كذلك بالأزمة اليمنية السعودية فى سنة ١٩٣٤ ، نتيجة لحرصها على الحفاظ على مصالحها فى الجزيرة العربية ومنطقة البحر الأحمر · وقد أشارت الى ذلك « صحيفة الأهرام » نقلا عن « الديلى تلغراف " Daily Telegraph " التى أوضح مراسلها فى روما أنه علم أن ايطاليا لا توافق على سقوط اليمن فى أيد أخرى . وأنها تنظر بعين القلق ولا سيما اذا طال أمد الحرب أو اشتدت وطأتها (٢) · كما أشارت « صحيفة الأهرام » كذلك الى أن مراسلها فى روما قد أكد اهتمام الدوائر السياسية هناك حينذاك بالأزمة اليمنية السعودية حتى أنها ذهبت الى أن ارسال الحكومة الايطالية لثلاث بوارج الى مياه الحديدة فى ذلك الحين يرجع الى وجود كثير من الايطاليين فى اليمن حيث توجد مستودعات كثيرة للبن وعدد من المستشفيات الايطالية · ولهـذا فان هـذه الدوائر الايطالية رأت أنه لا يجب أن تقف حكومة ايطاليا موقفا من شأنه ايجاد سوء تفاهم مع بريطانيا التى لها مصالح أكبر فى تلك المنطقة ، وأنه يحسن بالدول العظمى أن تتفق على انتهاج خطة واحدة ازاء الأوضــــــاع المتغيرة فى الجزيرة العربية (٣) · وقد أوضحت « الاهرام » هذا الموقف المحدد من قبل بـــريطانيا وايطاليا ازاء الأزمة اليمنية السعودية عندما أوردت نقلا عن صحيفة « الدايلى تلغراف »

---

(١) صحيفة الأهـــرام : العدد رقم ١٧٧٤٨ ، الصـــادر فى ٨ مايو ١٩٣٤ ، ص ٤ ·

(٢) صحيفة الأهـــرام : العدد رقم ١٧٧٤٦ ، الصـــادر فى ٦ مايو ١٩٣٤ ، ص ٤ ·

(٣) صحيفة الأهرام : العدد رقم ١٧٧٤٨ الصادر فى ٨ مايو سنة ١٩٣٤

تعليقا يوضح أنه نظرا لما للحكومتين البريطانية والايطالية من المستعمرات القريبة من منطقة الحرب فى جزيرة العرب ، فقد كانتا على اتصال وثيق فيما يتعلق بهذه المسالة منذ نشوب الحرب . وليس معنى هـذا أن احدى الدولتين تنوى التدخل فى النزاع ، لأن كل ما يهمها هو حمـــاية مصالحها الخاصة هناك (١) .

وفيما يتعلق باهتمام الاتحاد السوفييتى بالأزمة اليمنية السعودية التى بلغت ذروتها فى سنة ١٩٣٤ فقد نبهت الى ذلك صحيفة « ايفننج ستاندرد Evening Standard. " التى استدلت على هذا الاهتمام عندما أوضحت أن روسيا كانت من أولى الدول التى رفعت قنصليتها فى جده الى مفوضية ، وأن السوفييت كانوا قد أرسلو الى اليمن أكثر من بعثة علمية وتجارية ، ومن المرجح أنها كانت ذات أهداف سياسية بطبيعة الحال (٢) .

ولم يقتصر الاهتمام الدولى بالأزمة اليمنية السعودية فى سنة ١٩٣٤ على مجرد التصريحات والاتصالات الدبلوماسية بل ترجم هذا الاهتمام الى عمل ايجابى عندما أرسلت الدولتان الأكثر اهتماما وهما بريطانيـا وايطاليا سفنا حربية الى ميناء الحديدة . بل وقد اتخذتا موقفا أكثر ايجابية وجرأة ، عندما اقتربت قوات الأمير فيصل آل سعود من الحديدة ، فسارعت الدولتان الى انزال بعض جنودها الى المدينة نفسها بدعوى حماية رعاياها . غير أن استتباب الأمن بسرعة فى المدينة ، واعلان الملك عبد العزيز آل ســـعود أنه كفيل بالمحافظة على أرواح رعاياهما وممتلكاتهم ، مما اضطر الدولتان الى سحب جنودهما الى متن السفن التى ظلت واقفة امام ميناء الحديدة (٣) . ولا شك أن اهتمام بريطانيا وايطاليا باتخاذ التدابير العملية وحرصهما على عدم انفراد احداهما بأعمـال أكثر ايجابية ، انما تعبر عن روح المنافسة الاستعمارية التى تعاظم مداها تدريجيا بين الدولتين فى منطقة البحر الأحمر والجزيرة العربية فى العقد الرابع من القرن الحالى .

وقد بدا واضحا فى بداية النزاع اليمنى السعودى أن بريطانيا كانت تميل الى جانب عبد العزيز آل سعود ، الذى عقدت معه « معاهدة جدة » فى اليوم السابع عشر من سبتمبر سنة ١٩٢٧ واعترفت فيها باستقلال مملكته فى

---

(١) السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، ص ٤١٣ .
(٢) صحيفة الأهرام : العـــدد رقم ١٧٧٤٩ ، الصـــادر فى سبتمبر ١٩٣٥ ، ص ٤ .
(٣) صحيفة الأهرام : العدد الصادر فى ١٢ مايو ١٩٣٤ .

نجد والحجاز وملحقاتها (١) ، قبل أن يتم مثل ذلك الاعتراف مع الامام يحيى. فلم يكن لعبد العزيز آل سعود أية مطالب فى النواحى المتاخمة لعدن بجنوبى اليمن ، على عكس الامام يحيى الذى كان يعتبر هذه النواحى حقا شرعيا له ، ورثه عن أجداده ، وظل يطالب به بالأساليب السلمية والحربية ، حتى عقد « معاهدة صنعاء » بينه وبين بريطانيا فى اليوم الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٣٤ (٢) . أما بالنسبة لايطاليا فقد مالت الى جانب الامام يحيى أثناء النزاع اليمنى السعودى نظرا لأنها كانت تتطلع الى مد نفوذها تدريجيا الى اليمن فى عهده وخاصة بعد أن عقدت مع الامام المعاهدة اليمنية الايطالية فى اليوم الثانى من سبتمبر سنة ١٩٢٦ (٣) . غير أنه عندما بدا أن القوات اليمنية تواجه هزائم مستمرة أمام قوات عبد العزيز آل سعود ، فقد تهكمت صحيفة « مورننج بوست Morning Post البريطانية على محاولات ايطاليا مد نفوذها فى الجزيرة العربية اعتمادا على صداقتها للامام يحيى بقولها : « ان الرهـــان وضع على جـــواد خاسر » (٤) . وقد ردت عليها صحيفة « المانشستر جارديان » حينذاك بأنه « اذا كان السنيور موسولينى قد راهن على الجواد الخاسر ، فليس معنى هذا أنه سيتحمل خسارته بسهولة ، وان كان ليس لدينا ما يدعونا الى الزعم بأن ايطاليـا ستتدخل فى شئون بلاد العرب » (٥) . كما ردت الصحف الايطـالية على تهكم صـحيفة « مورننج بوست » البريطانية بتوجيه الاتهام لبريطانيا بأنها تقدم معونات كبيرة فنية وعسكرية للملك عبد العزيز آل سعود لتتمكن عن طريق تلك المعونات من وضع يدها على اليمن نظرا لما فيه من ثروات معدنية هائلة . بل ان صحيفة « الطان . Temps الفرنسية علقت على الموقف كله بأنها تستبعد أن يكون ميل بريطانيا الى جانب الملك عبد العزيز آل سعود وميل ايطاليا الى جانب الامام يحيى مؤديا الى اصطدام الدولتين ــ بريطانيا وايطاليا ــ عن طريق « التزاحم فى بلاد مسيطرة على مدخل البحر الأحمر » (٦) .

على أن الصحف البريطانية أبدت تفاؤلها بأن انتصار الملك عبد العزيز آل سعود على الامام يحيى وضم اليمن الى ملكه بحيث تصبح محمية عدن جارته

---

(١) محمد عبد الله ماضى (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٢٩٧ ــ ٣٠١ .
(٢) Hurewitz, J. C., OP. Cit., Vol. 2., PP. 196, 197.
(٣) Hurewitz, J. C. : Ibid., Vol 2., PP. 146 — 147.
(٤) صحيفة الأهرام : العدد الصادر فى ٥ مايو ١٩٣٤ ، ص ٥ .
(٥) صحيفة الأهرام : العـــدد رقم ١٧٧٥٣ الصـــادر فى ١٣ مايو ١٩٣٤ ، ص ٦ .
(٦) صحيفة الأهـــرام : العـــدد رقم ١٧٧٤٦ الصـــادر فى ٦ مايو ١٩٣٤ ، ص ٤ .

من الجنوب ، فان ذلك مدعاة لعدم حدوث أية متاعب نظرا للعلاقات الحسنة القائمة بين بريطانيا والمملكة السعودية ، ولا أدل على ذلك من العلاقات الدبلوماسية المرضية القائمة بين الملك عبد العزيز آل سعود والعراق المستقل من جهة ، وامارة شرق الأردن -التى كانت تحت الانتداب البريطانى آنذاك- من جهة أخرى . وقد أشارت الى ذلك أيضا صحيفة الأهرام نقلا عن صحيفة « الأبزرفر » البريطانية بأنه « اذا تمكن الزعيم العربى - عبد العزيز آل سعود - من أن يشيد لنفسه مملكة ثلاثية بادخال اليمن الى ملكه ، فان العلاقات بين انجلترا وبلاد العرب لاتزداد صعوبة ، لأنه أسهل على المرء أن يتعامل مع شخص واحد من أن يتعامل مع بضعة أشخاص » (١) كما نقلت الاهرام أيضا عن مجلة « سبكتيتور » البريطانية تأكيدا على هذا الاتجاه فحواه « أن الملك ابن سعود صديق انجلترا ، ويدل تاريخه المجيد فى فتح بلاد العرب على أن الرعايا البريطانيين يكونون دائما تحت رعايته فى مأمن من أن يكونوا فى أى جزء آخر من شبه الجزيرة .. فاذا فرض واستطاع الملك ابن سعود فى النهاية أن يضم بلاد اليمن الى أملاكه ، ويصير بذلك جارا لمنطقة عدن ، فانه ليس هناك ما يدعو الى الزعم بأن خطته نحو بريطانيا التى سارت على وتيرة واحدة منذ قبل الحرب لم يطرأ عليها أى تغيير ، أو تتحول عن خطة الصداقة والمودة » (٢) . هذا فضلا عما أشارت اليه صحيفة « الأهرام » أيضا نقلا عن صحيفة « الأوبزرفر » البريطانية من أفضلية حكم ابن سعود لليمن عن الامام يحيى وذلك بالنسبة للمصالح البريطانية ، فقد جاء بها : « أما انجلترا فخير لها أن يحكم الملك عبد العزيز اليمن لأن الامام يحيى كان دائما عدوا للانجليز . وأثناء الحرب العالمية عاون الأتراك على مهاجمة عدن ، وكان فى الستة عشر سنة الأخيرة (لسنة ١٩٣٤) يهدد دائما حدود عدن ، ويأبى المسالمة . أما الملك عبد العزيز فصديق للانجليز ، وقد نشر الأمن والسلام فى بلاد العرب بحكم قوى عادل » (٣) .

وعلى أية حال فان النزاع السعودى اليمنى لم يكن من صنع القوى الاوربية بقدر ماكان نابعا من الصراع على الحدود بين الدولتين العربيتين(٤) . وهذا ما أكدته صحيفة « ايفننج ستاندرد » البريطانية ونقلته عنها صحيفة «الأهرام» القاهرية عندما أشارت الى أن بعض الدوائر السياسية فى أوربا تميل الى تصوير حرب بلاد العرب بأنها فى أساسها فوز لبريطانيا على ايطاليا ، لأن

---

(١) صحيفة الأهرام : العدد الصادر فى ٧ مايو ١٩٣٤ ، ص ٤ .
(٢) صحيفة الأهرام : العدد الصادر فى ١١ مايو ١٩٣٤ ، ص ٤ .
(٣) صحيفة الأهرام : العدد الصادر فى ٢٨ مايو ١٩٣٤ ، ص ٤ .
(٤) Survey of International Affairs, 1934, P. 320.

بريطانيا أيدت ابن السعود وأيدت ايطاليا الامام يحيى · ولكن هذه الاقوال ليست صحيحة لأن الحرب والسلم فى بلاد العرب من شئون العرب وحدهم »(١) وعلى الرغم مما ينطوى عليه هذا الرأى من حقائق الا أن ما يجب أن نشير اليه هو أن السلم والحرب فى بلاد العرب من شأن العرب وحدهم حقا ، الا اذا تعارض ذلك مع مصالح القوى العظمى ذات الاطماع فى بلاد العرب وأحدث تأثيرا غير مرغوب فيه على المناطق التى تحت نفوذ هذه القوى ·

ومهما يكن من أمر ، فقد تم حسم النزاع اليمنى السعودى بعقد « معاهدة الطائف » بين المملكة اليمنية المتوكلية والمملكة العربية السعودية ووقعها الملك عبد العزيز آل سعود فى ١٨ يونيو سنة ١٩٣٤ ، بينما وقعها الامام يحيى فى اليوم التالى مباشرة ، ونشر نص المعاهدة فى مكة وصنعاء والقاهرة ودمشق فى وقت واحد (٢) · وفى اليوم السابع والعشرين من يونيو من نفس السنة أعلنت الحكومة السعودية أنه قد تم جلاء الزيديين عن الأقاليم المحتلة فى عسير وأن اليمن قد أوفى بكل الشروط المتفق عليها (٣) ، وأنه تبعا لذلك فقد أفرج الملك عبد العزيز عن المسجونين اليمنيين الذين قبضت عليهم القوات السعودية فى نجران وتهامة ، كما ضمت عسير ونجران الى المملكة العربية السعودية ، واتفق على تنظيم العلاقات بين المملكتين العربيتين المتجاورتين بشكل دقيق وفى مجالات متعددة (٤) · وقد أدت المعاهدة اليمنية السعودية الى استقرار الأمور بين الجانبين ، ولم تنشأ أية خلافات على الحدود بعد أن تم رسم أول خريطة للحدود اليمنية السعودية فى سنة ١٩٣٦ وحتى نهاية عهد الامام يحيى ، وولده أحمد من بعده ·

وهكذا تميز عام ١٩٣٤ بعقد معاهدتين كان لهما تأثيرهما البالغ فى تاريخ اليمن المعاصر · أولهما « معاهدة صنعاء » التى عقدت فى الحادى عشر من فبراير من تلك السنة والتى نظمت العلاقات البريطانية اليمنية من جهة · وثانيهما : « معاهدة الطائف » التى عقدت فى التاسع عشر من يونيو من نفس السنة والتى نظمت العلاقات اليمنية السعودية من جهة أخرى (٥) · وبذلك حسم الامام يحيى مشاكله فى جنوبى اليمن وشماله بين جارين

---

(١) صحيفة الأهرام : العدد الصادر فى ٢٣ مايو ١٩٣٤ ، ص ٤ ·
(٢) نزيه مؤيد العظم : المصدر السابق ، ص جـ ١ ، ص ١٩٢ ـ ٢٠٢ ·
(٣) Philby, J.B. : Arabian Jubilee, P. 186.
(٤) السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، ص ٤٢٣ ·
(٥) سيتون وليمز : المصدر السابق ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٦ ·

قويين بشكل اضطر الى قبوله وفقا لقدراته وللامكانات التى توفـــرت له فى ذلك الحين ٠

ومن الواضح أن الارتبـــاط الوثيق بين هاتين المعاهدتين ــ اللتين عقدهما الامام يحيى مع كل من بريطانيا فى البداية ، ثم مع الملك عبد العزيز آل سعود الذى كان على علاقة طيبة مع البريطانيين ــ وبين تطور العــلاقات البريطانية اليمنية فى الفترة التى أعقبت عقد هاتين المعاهدتين ٠ فعلى الرغم من أنهما لم تؤديا الى سلام واستقرار دائمين ، كمـــا لم تكونا فى مصلحة اليمن ذاته ، فانهمـــا من جهـــة أخرى قـــد حققتا قـــدرا كبيرا من النجاح للسياسة البريطانية فى الجزيرة العربية بوجه عام ، عن طريق ايجاد علاقات طيبة بين بريطانيا وحكام الدول الناشئة فى الجزيرة ، بل وبين هؤلاء الحكام وبعضهم وبعض ، بعد انحسار النفوذ العثمانى عن بلادهم عقب نهاية الحرب العالمية الأولى ٠ ومن الواضح أن السياسة البريطانية قـــد حرصت على حفظ التوازن بين زعماء الجزيرة العربية فى نهاية فترة ما بين الحربين العالميتين ، وعلى تنظيم علاقاتها معهم ، بما يضمن تحقق مصالحها الحيوية هنـــاك فى مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية ، فى وقت كانت فيـــه نذر الحرب العالمية الثانية بادية فى الأفق ٠ وعلى ذلك فقد كانت الفترة التى أعقبت عام ١٩٣٤ وحتى قيـــام الحرب العالمية الثانية فترة أكثـــــر وضوحا واستقرارا فى حياة الامام يحيى السياسية من جهة وفى علاقاته مع بريطانيا من جهة أخرى ، فالبريطانيون وجـــدوا فى « معاهدة صنعاء » نقطة تحول هامة فى تاريخ العلاقات البريطانية اليمنية على نحو ما أشار الى ذلك ــ فى شىء من التحفظ ــ « برنارد رايلى » حاكم عدن الذى اعتبرها نقطـــة تحول « ولو الى حد ما » على حد تعبيره (١) ٠ اذ وجه الجانبان البريطانى واليمنى عددا من الموظفين لتسوية مسائل الحدود ، وبدأ عملهم عن طريق اتصالهم الدائم بعضهم ببعض لفض المنازعات والمشكلات المحلية التى تنشأ فى هـــذه الجهات ٠ وكان الضابط البريطانى المنوط به حل مشكلات الحدود المحليـــة يزور صنعاء من حين لآخر لمناقشة هذه المسائل مع الامام ووزرائه هنـــاك ٠ ولهذا رأت السلطتان فى صنعاء وعدن أن العلاقات بينهما سارت سيرا حسنا لعدة سنوات عقب عقد « معـــاهدة صنعاء » وأن كـــلا منهما انصرف الى الاهتمام بالشئون الداخلية للعمل على تطويرها (٢) ٠

---

(1) Reilly, B. : Op. Cit., P. 19.
(2) Journal of the Royal Central Asian Society, Vol. XXVII., 1940, P. 31.

أثر التنافس البريطاني الايطالي على العلاقات البريطانية اليمنية قبل قيام الحرب العالمية الثانية :

تجدر الاشارة الى أن ثمة أمر هام أثر فى تطور العلاقات البريطانية اليمنية فى الفترة التى أعقبت عقد «معاهدة صنعاء» بين الجانبين فى الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٣٤ ألا وهو التنافس البريطانى الايطالى ، الذى ستزداد حدته ، فى منطقة البحر الاحمر فى ذلك الحين ، أى قبيل قيام الحرب العالمية الثانية • وكان تأثير هذا التنافس فى تلك الفترة أكثر مما كان عليه فى الفترة التى سبقت عقد المعاهدة المذكورة ، نظرا للتقارب الذى أخذ ينمو تدريجيا بين ايطاليا والمانيا فى الفترة الاخيرة ، مما كان يشكل تهديدا خطيرا للمصالح البريطانية فى تلك المنطقة التى تتوسط الطريق البحرى المختصر بين بريطانيا والهند وهو طريق البحر الأحمر •

وقد كانت العلاقات الايطالية اليمنية تعتبر مقياسا لطبيعة العلاقات البريطانية الايطالية • اذ كان أى تحسن يطرأ على العلاقات البريطانية الايطالية يؤدى مباشرة الى تقليل التدخل الايطالى فى شئون اليمن • بل وكان العكس صحيح أيضا بدليل ما اعترى العلاقات البريطانيا الايطالية من توتر نتيجة لتوتر العلاقات الايطالية اليمنية بعد هجوم ايطاليا على الحبشة فى أكتوبر سنة ١٩٣٥ وتوقع المعلقين المعاصرين أن هدف ايطاليا التالى هو مهاجمة اليمن والسيطرة عليها (١) • ويعبر عن هذا التوتر فى العلاقات الايطالية اليمنية تردد الامام يحيى طويلا قبل أن يجدد المعاهدة الايطالية اليمنية التى عقدت فى سبتمبر سنة ١٩٢٦ بعد انتهاء مدة العشر سنوات المتفق عليها • ولم يتم تجديد هذه المعاهدة الا فى أكتوبر سنة ١٩٣٧ بعد مفاوضات استغرقت عاما كاملا ، وقام بحسمها « السنيور غاسبارينى » الذى مثل ايطاليا فى عقد المعاهدة فى المرة الأولى أيضا • وكان « غاسبارينى » قد نقل من منصبه فى ارتيريا ، وعين فى مجلس الشيوخ الايطالى تقديرا لخدماته • وقد حضر الى صنعاء فى صيف ١٩٣٧ وهو يحمل هدايا كثيرة للامام يحيى ، كان من بينها دبابتان حربيتن للجيش اليمنى ، وعشرون ألف بندقية ، وأربعة مدافع لمقاومة الطائرات ، وآلات لاسلكية (٢) • وكان من الطبيعى أن يصاحب هذا كله اعطاء وعود للامام يحيى بمزيد من الامدادات الحربية والفنية من قبل ايطاليا ، مع التلويح له بانتصاراتها وبمقدرتها على مساعدته فى قضيته مع بريطانيا ، مما اضطر الامام الى الرضوخ والموافقة على تجديد المعاهدة الايطالية اليمنية •

---

(١) Lenczowski, G. : Op. Cit., P. 458.

(٢) أمين سعيد : المصدر السابق ، ص ٥٠ •

وقد سبق هذا التجديد للمعاهدة الايطالية اليمنية فى سنة ١٩٣٧ مناورة دبلوماسية قام بها وزير ايطاليا المفوض فى جدة لتحريك الأحداث لصالح بلاده . اذ قام بمقابلة الملك عبد العزيز آل سعود فى شهر مايو سنة ١٩٣٦ ، وأخبره رسميا بنجاح حملة الايطاليين على الحبشة ، وقدم له هدية كبيرة عبارة عن ست طائرات لستة من الطيارين السعوديين الذين أتموا تعليمهم حديثا فى ايطاليا . كما أكد هذا الوزير المفوض الايطالى للملك عبد العزيز آل سعود أن ايطاليا ليس لديها أية أغراض عدوانية تجاه الجزيرة العربية . وقد أخبره أيضا أن ايطاليا تنوى تجديد معاهدتها مع الامام يحيى ، كما دافع عن موقف ايطاليا ازاء عصبة الأمم وتحديها لها ، واتهامها بأنها « عصبة انجليزية » (١) . وهذه المناورة سبقت محاولة ايطاليا مع الامام يحيى ، اذ من المعروف أن الملك عبد العزيز كان يعارض النفوذ الايطالى فى اليمن ، ودائما كان يحذر الامام من تغلغل هذا النفوذ ، وكذلك كان العالم العربى يعبر كثيرا عن تخوفه من مطامع ايطاليا فى اليمن وكانت ايطاليا تهدف من وراء هذه المناورة كسب تأييد ابن سعود بما يشجع الامام يحيى على تجديد معاهدته معها لعشر سنوات أخرى ، مما أوصل العلاقات الايطالية اليمنية الى ذروتها . فقد أعقب تجديد المعاهدة ارسال الكثيرين من الأطباء والفنيين الايطاليين الى اليمن (٢) ، وان كان هؤلاء « مكروهين من الشعب اليمنى بسبب عجرفتهم » (٣) .

على أن هذا الانجاز الايطالى فى العلاقات الايطالية اليمنية كان من شأنه أن يثير غيرة بريطانيا وقلقها ، كما أثار قلق كثير من اليمنيين (٤) .

---

(١) Philby, H. : Arabian Highlands, P. 82.

(٢) Survey of International Affairs 1939 — 1946, P. 354.

(٣) Stark, F. : The Arab Island, P. 34.

(٤) أورد الأستاذ أحمد المعلمى فى مقدمته للكتاب » من الأدب اليمنى للأستاذ أحمد بن محمد الشامى ص ٢٢ — ٢٣ « نموذجا من شعر أستاذه القاضى على بن يحيى الاريانى الذى يعد من « النصح المهذب » — على حسب تعبيره — الموجه الى الامام يحيى لأخذ الحذر من الايطاليين جاء فيه : —

بربك يا أمير المؤمنينا	أعيذك من أذى المستعمرينا
فهم أصل اضطهاد المسلمينا	وهم أعداؤنا دنيا ودينا
تيقظ زادك الرحمن فهما	اذا راشوا لهذا القطر سهما
ودسوا فى الشهاد الحلو سما	كما فعلوا بقوم آخرينا
لهم مكر أدى من الهباء	وأغراض تستر من العطاء
ومال فى الظلام وفى الضياء	يسيل له طعام الطامعينا
فكن مما أقول على يقين	وحاذر لا يغرك « غاسبارينى »

ورأت بريطانيا من صالحها أن تعدل من سياستها ازاء ايطاليا — بعد أن بلغت الدعايات العدوانية بين الجانبين أشدها — وذلك عن طريق تقريب وجهات النظر فيما بينهما . وكان تغير الوزارة البريطانية فى شهر أبريل سنة ١٩٣٧ الفرصة المناسبة لتحقيق هذه السياسة عن طريق فتح باب المفاوضات مع ايطاليا لتسوية الخلافات بين الجانبين والتى نتج عنها عقد اتفاقية بينهما فى السادس عشر من أبريل سنة ١٩٣٨ ، والتى أقرها مجلس العموم البريطانى فى شهر سبتمبر من نفس السنة (١) . وقد عقدت هذه الاتفاقية البريطانية الايطالية فى وقت تكشفت فيه سحب الحرب بين دول أوربا منذرة بقرب انفجار حرب عالمية ثانية . وقد اختص ملحق هذه الاتفاقية الثالث بالمملكة العربية السعودية وباليمن (٢) . وجاء فيه أن الحكومتين البريطانية والايطالية توافقتان على ألا تعقدا أى اتفاق وألا تقوما بأى عمل من شأنه أن يمس بأى شكل من الأشكال استقلال أو سلامة المملكة العربية السعودية أو اليمن ، وألا تسعى أى منهما للحصول على مركز ممتاز ذى صفة سياسية فى هاتين الدولتين . كما ذكرنا أيضا أن من مصلحتهما ألا تبسط أى دولة أخرى أى نفوذ خاص أو فرض مركز ممتاز لها فى هاتين الدولتين . وقد اتفقتا أيضا على أن من مصلحتهما أن يسود السلام بين المملكة العربية السعودية واليمن ، وألا تتدخل أى دولة فى حالة وقوع نزاع بين الدولتين المذكورتين (٣) . وقد حرصت بريطانيا وايطاليا كذلك على الاتفاق فيما بينهما على أوضاع جنوب الجزيرة العربية ، (والمقصود هنا النواحى التسع المتاخمة لعدن بجنوبى اليمن) وعلى مصالحهما فيها ، فتعهدت بريطانيا بألا تقوم بانشاء تحصينات أو أعمال عسكرية ذات صبغة هجومية ، وألا تجند الأهالى الا للمحافظة على النظام والدفاع المحلى ، وتعهدت أيضا بأن تحتفظ بالاستقلال الذاتى للزعماء العرب تحت حمايتها . أما بالنسبة للحكومة الايطالية فقد صرحت — فى أعقاب عقد معاهدتها هذه مع بريطانيا فى السادس عشر من أبريل سنة ١٩٣٨ — بأنها لن تحاول الحصول على نفوذ سياسى فى الجزيرة العربية ، كما تعهدت بأن تضمن للمواطنين الايطاليين

يغلف ما يريد بكل لين   وجب وهو شر الماكرينا
أتى من روميا يبغى العهادا   فهل خيرا توخى أم رشادا
لعمرك انما يبغى اصطيادا   وهل جدوى الندامة لو باينا
ترى ماذا يريد من الهدايا   ومن بث الجوائز والعطايا
رويدا فهى والله الرزايا   سيكشفها الزمان لنا يقينا

(١) Survey of International Affairs 1939 — 1946, P. 438.
(٢) British White Paper, Cmd. 5726.
(٣) سيتون وليمز : المصدر السابق ، ص ٢٠٦ — ٢٠٨ .

والرعايا القاطنين فى هذه الجهات حرية الاقامة والتجـــارة وفقا للأحكام المرعية (١) • وعلى أية حال فيعتبر هذا الملحق الثالث بالاتفاقية معبرا عن رد الفعل المباشر لقيام ايطاليا بتجديد معاهدتها مع اليمن فى سنة ١٩٣٧ والتى بلغت بالنفوذ الايطالى هناك أقصى ذروة بلغها •

وهكذا استطاعت كل من بريطانيا وايطاليا تسوية نزاعهما الطـويل بشأن الجزيرة العربية ، وان كانت بريطانيا قد استطاعت أن تكسب الكثير من وراء هذه الاتفاقية التى لم تمنح ايطاليا أية حقوق أو مكاسب هناك • فبريطانيا لم تتعهد بشىء يخل بنفوذها القائم فى الجزيرة العربية والذى لم تنتقص منه المعـــاهدة شيئا • فهى لا تريد كسب نفوذ جديد فى الجزيرة العربية ، ولكن يهمها الاحتفاظ بما لها فعلا وخاصة فى جنوب الجزيرة . كما يهما أيضا ان توقف ايطاليا نشاطها لكسب أى نفوذ سياسى فى الجزيرة وبريطانيا عندما حرمت على نفسها وعلى ايطاليا السعى للحصول على مكاسب سياسية فى الجزيرة العربية ، انما كانت تقصد فى الحقيقة محاربة المساعى الايطالية هناك دون أن تمس المصالح البريطانية الخاصة (٢) •

أما ما أوردته المعاهدة البريطانية اليمنية ــ المعقودة فى السادس عشر من أبريل سنة ١٩٣٨ ــ بشأن التعهد بعدم اقامة تحصينات فى المحميات ، أو تجنيد الأهالى ، فان ذلك لا يحمل معنى التضييق على حريتها فى العمل فى تلك المناطق ، ذلك لأن ما كانت تنوى فعلا اقامة تحصينات هجومية ، كما أنها لا تعتمد على الأهالى فتجندهم لأغراض هجومية أيضا • وحتى لو أرادت أن تفعـل ذلك فانها كان يمكنها أن تقيم تحصينات تدعى أنهما ذات صفة دفاعية ، أو تجند الأهالى بحجة استخدامهم فى حفظ النظام والدفاع المحلى . وهذا كله يبيحه لها نص الاتفاقية نفسها •

وتجدر الاشارة كذلك الى أن هذه الاتفاقية البريطانية الايطالية لم تؤثر على السياسة البريطانية العامة فى منطقة البحر الأحمر وعلى ما كان ينبغى أن تتخذه هناك من تدابير حربية وذلك بدعوى أنها تدابير دفاعية • ولا أدل على ذلك من تصريح الوزير المدنى لوزارة البحرية ردا على سؤال وجه اليه فى مجلس العموم البريطانى عن أثر هذه الاتفاقية فى التدابير الخاصة بأعمال الدفاع فى مالطه وبور سعيد والبحر الأحمر ، فأجاب بقوله أنه لم يوقف أى جانب من تدابير وزارة البحرية الخاصة بأعمـال الدفاع

(١) Survey of International Affairs, 1939 -- 1946, P. 348.
(٢) السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ،ص٤٥٤

الجديدة فى مالطة وبور سعيد والبحر الأحمر عقب عقد الاتفاق (١) .
وفضلا عن أن بريطانيا لم تخسر شيئا نتيجة عقد هذه الاتفاقية ، وخاصة فى البحر الأحمر والجزيرة العربية — بالرغم من أن كثيرا من الساسة البريطانيين اعتبروا أن هذه الاتفاقية هى تهدئة عامة لايطاليا من جانب بريطانيا ، وأنه لا يجب الارتباط بها لأنها تحط من قدر دولتهم — فان بريطانيا قد كسبت الكثير من ورائها . فقد ضمنت — بموجب تعهدات ايطاليا فى تلك المعاهدة — توقف الدعاية العدائية التى كانت تذيعها المحطة الايطالية « بارى Bari التى كانت تذيع باللغة العربية ، فقد نصت الاتفاقية على الامتناع عن تبادل الدعاية العدائية (٢) . ولا ينبغى أن نقلل من قيمة فوز بريطانيا بايقاف هذه الدعاية العدائية التى كانت تذيعها محطة « بارى » الايطالية ، اذ كانت تمثل خطرا كبيرا على نفوذها فى الشرق العربى ، الذى كان مهيئا لتقبل أى دعاية عدائية ضد بريطانيا نتيجة لتاريخها الاستعمارى الملطخ بالدماء والاستغلال مع شعوب المنطقة .

ولما كان التحالف الايطالى اليمنى — من وجهة نظر ايطاليا — يمثل جانبا من التنافس الاستعمارى بين ايطاليا وبريطانيا على نحو ما أشرنا اليه من قبل، فان الأمر قد تغير بعد عقد المعاهدة البريطانية الايطالية فى السادس عشر من أبريل سنة ١٩٣٨ ، بحيث بدا أن ايطاليا تتعاطف مع بريطانيا وتؤيد وجهة نظرها ومواقفها ازاء الامام يحيى . ولا أدل على ذلك من موقف ايطاليا المتعاطف مع بريطانيا فى مسألة الحدود التى أثيرت من جديد مع الامام يحيى، الذى قام باحتلال بعض أجزاء من منطقة الحدود الجنوبية الشرقية لليمن والمعروفه بأحداث « شبوه » (٣) . اذ علقت الصحف الايطالية على تلك الأحداث بقولها : « انه من الغريب أن يلجأ الامام يحيى الى نقض معاهدة ١٩٣٤ بينه وبين انجلترا التى عقدت لمدة أربعين سنة ، بسبب الخلاف حول ملكية بعض مناطق الحدود . « كما أشارت صحيفة « الأهرام » القاهرية الى أن صحيفة ايطالية علقت على نشاط بعض الموظفين البريطانيين فى هذه الجهات اليمنية بأن بريطانيا ملتزمة — بموجب المعاهدة البريطانية الايطالية فى السادس عشر من ابريل سنة ١٩٣٨ — بألا تقوم بأى عمل فى اليمن من شأنه أن يعود بالضرر على استقلال هذه البلاد وسلامة أراضيها (٤) . وهكذا

---

(١) صحيفة الأهرام : العدد رقم ١٩٥٦٤ ، الصادر فى ٢ مارس ١٩٣٩ ، ص ٨ .

(٢) Lenczowski, G. : Op. Cit., P. 458.

(٣) تقع « شبوه » غربى حضرموت وشرقى الهضبة اليمنية .

(٤) صحيفة الأهرام : العدد رقم ١٩٥٧٤ ، الصادر فى ١٣ فبراير ١٩٣٩ ، ص ٧ .

تنفى ايطاليا عن البريطانيين قيامهم بأى تصرف يتعارض مع نصوص المعاهدة المذكورة محاولة اضفاء صفة المشروعية على تصرفات بريطانيا فى اليمن حينذاك (١) ٠

واذا كان عقد هذه المعاهدة البريطانية الايطالية قد أدى الى تسويه الخلافات بين بريطانيا وايطاليا حينذاك ، فان ذلك لم ينعكس على موقف الامام يحيى الذى استمر على اتباع سياسته التقليدية الخاصة بميله الى أعداء بريطانيا كيدا لها ٠ وبدا ذلك واضحا فى تقربه الى الدول التى انحازت الى دول المحور ، على نحو ما حدث فى سنة ١٩٣٧ حين أرسل أحد أبنائه الى اليابان ليشارك فى افتتاح مسجد جديد بعاصمتها طوكيو ٠ على أن اتجاه الميل الى دول المحور كان ظاهرة عامة اجتاحت بلاد المشرق العربى قبيل قيام الحرب العالمية الثانية حيث لم يكن لتلك الدول هناك ماض استعمارى سيء ٠ بل ان دول المحور بدت أمام العرب منقذا لهم من الاستعمار ، ومال الكثيرون اليها على نحو ما فعل رشيد عالى الكيلانى الذى قام بالثورة فى العراق وبدا ميله الواضح الى المانيا حينذاك ٠

ـ تجدد المنازعات بين بريطانيا والامام يحيى فى سنة ١٩٣٨ :

تجددت المنازعات بين بريطانيا والامام يحيى حول منطقة « شبوه » فى نهاية عام ١٩٣٨ ، وهى السنة التى عقدت فيها الاتفاقية البريطانية الايطالية التى أشرنا اليها ٠ وكان قد زار منطقة « شبوه » بعض المهندسين الأمريكيين بحثا عن البترول ، مما أثار اهتمام الامام ودعاه الى ارسال حامية من رجاله الى هناك ، الأمر الذى أدى الى تحرك سلطات عدن للحيلولة دون وقوع هذه المنطقة فى أيدى القوات الامامية ٠ اذ توجه « الكابتن هاملتون » بفرقة من جنوده العرب الى تلك المنطقة ، مما اضطر الامام أن يأمر جنده بالانسحاب منها منعا للحرب ٠ أما بالنسبة « لهاملتون » وجنوده فلم يمكث فى المنطقة طويلا ، بل انه انسحب منها واختار مدينة « عياد » على حدود « شبوه » لتكون مركزا عسكريا لقواته البريطانية نظرا لتوفر المياه فيها ٠ وقد أدى هذا التوتر بين الجانبين البريطانى واليمنى الى أن ظلت «شبوه» على ما كانت عليه ولم تتحول عن كونها مركز تجمع بدوى بسيط نظرا لندرة المياه العذبة بها ، وظلت آثارها القديمة مدفونة فى رمالها ، كما أحاط الغموض والنسيان ما كان ينتظر اكتشافه فيها من ثروة بترولية (٢) ٠ على أن منطقة

(١) السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ،ص٤٥٦
(٢) Van der Meulen, D. : Aden to the Hadhramout, PP. 99, 100.

« شبوه » كانت موضع تنافس حاد بين بريطانيا والامام يحيى قبل أن يثار النزاع بين الجانبين بشأنها فى نهاية عام ١٩٣٨ بعدة سنوات ٠ ففى أعقاب عقد « معـاهدة صنعاء » بين بريطانيـا والامام يحيى فى الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٣٤ بدأت بريطانيا تنظم النواحى المحمية المتاخمة لعدن فى جنوبى اليمن على أساس تعيين مستشارين بريطانيين لحكام هذه النواحى بعد عقد سلسلة من معاهدات الاستشارة مع هؤلاء الحكام بدأت مع مطلع سنة ١٩٣٧ (١) ٠ وقد عينت بريطانيـا فى تلك السنة « هارولد انجرامز ٠ Harold Ingrams " أول مستشار دائم لها فى محمية عدن الشرقية ، بعد أن اطمأنت الى توقف هجوم الامام عليها وفقا لنصوص « معاهدة صنعاء » المشـار اليها ٠

وقد بدأ « انجرامز » يؤكد نفوذ بريطانيا — على طريقة الانجليز — فى محمية عدن الشرقية ٠ فتدخل بين قبائل حضرموت المتنازعة فيما بينها ونجح فى فض منازعتها ، مما أظهر بريطانيا بمظهر المنقذ لهذه الديار من الفوضى والمنازعات ٠ وكان رد الفعل لدى الامام يحيى ازاء النشاط المتزايد فى تلك النواحى ، قيامه بتأليب القبائل اليمنية هناك ضد الوجود البريطانى فى بلادهم فى منتصف عام ١٩٣٧ ٠ ورغم أن حاكم عـدن البريطانى حينذاك Bernard Reily — Governor of Aden" لم يقم بزيارة منطقة «شبوه» التى أثيرت فيها هذه القلاقل فانه كان يؤكد « أن شبوه قطعا جزء من محمية عدن وان لم تديرها حكومة عدن قط » بشكل مباشر ٠ ولهذا قام بارسال قوة من رجال القبائل — الذين جندهم البريطانيون تحت قيادة « الكابتن هاملتون » تمكنت من اجبار قائد حامية الامام يحيى — التى أثارت القلاقل هناك — على قبول شروط « انسـحاب مشرف » — على حد تعبير البريطانيين — من منطقة « شبوه » ، فى مطلع عام ١٩٣٨ (٢) ٠

وقد أبدى الجرافى سببا آخر للنزاع البريطانى اليمنى حول منطقة « شبوه » فقال : « ان بعض ضباط عدن دخلوا مدينة شبوه متنكرين ، ودخل آخرون الى محل العبر ، وأغروا مشايخ البـلاد بالانتماء الى حكومة عدن ، وتوعدوا أهل البلاد بالطائرات ، ثم شغلوا بالقوة موقع العبر الذى فيه آبار

---

(١) أوردنا فى ملاحق هذا البحث نص معاهدة الاستشارة التى عقدت بين بريطانيا والسلطنة القعيطية فى الثالث عشر من اغسطس سنة ١٩٣٧ كنموذج لهذه المعاهدات .

(٢) Survey of International Affairs, 1939 — 1946, PP. 348 — 349
صلاح البكرى : فى جنوب الجزيرة العربية ، ص ٢١٧ — ٢١٨ .

ينتفع بها المارون والأهلون » . ثم يستطرد الجرافى موضحا احتجاج الامام يحيى على ذلك ببلاغ رسمى جاء فيه « بكل استغراب وتحير عظيم ، ألقى الى مسامع الحكومة اليمنية ما أذاعته محطة الراديو بلندن فى يوم الاثنين ٢٤ ربيع الثانى سنة ١٣٥٨ هـ الموافق ١٢ حزيران (يونيو) سنة ١٩٣٩ ، عن واقعة شبوه وموقع العبر وملحقاتها ، التى يتألف من مجموعها جانب من البلاد الشرقية الشمالية ، والتى مازالت يمنية محضة منذ آلاف السنين لم تمسها أيدى غير اليمنيين » (١) .

وقد انتهت حوادث شبوه هذه فى مطلع عام ١٩٣٩ ببقائها منطقة محرمة بين الطرفين المتنازعين المتمثلين فى بريطانيا والامام يحيى . وكان اهتمام بريطانيا بهذه المنطقة ومواجهتها بالقوة لمحاولات الامام يحيى للسيطرة عليها حتى حالت دون ذلك ، انما مرجعه تقديرها لأهمية تلك المنطقة نظرا لما توقعت أن تحظى به من ثروة بترولية ، فضلا عن كونها تمثل « منطقة حاجزة » بين منطقة نفوذ الامام يحيى ولنواحى المحمية المتاخمة لعدن من الناحية الشرقية .

— العلاقات البريطانية اليمنية عند قيام الحرب العالمية الثانية فى سنة ١٩٣٩ :

لم تتعرض العلاقات البريطانية اليمنية لاية هزات أخرى بعد حسم موضوع « شبوه » فى مطلع عام ١٩٣٩ وحتى قيام الحرب العالمية الثانية فى شهر سبتمبر من تلك السنة . ومن المعروف أن ايطاليا ظلت على الحياد حتى اشتركت فى تلك الحرب الى جانب المانيا فى اليوم العاشر من يونيو سنة ١٩٤٠ . وكانت ايطاليا منذ تجديد معاهدتها مع الامام يحيى فى سنة ١٩٣٧ ، وبالرغم من اتفاقيتها مع بريطانيا فى سنة ١٩٣٨ ، تعمل جاهدة على تقوية ميناء « عصب » وتنميته ، فأصبح مستودعا ضخما للاسلحة والذخائر . وقد أشيع قبيل قيام الحرب العالمية الثانية أن هذه الاستعدادات الايطالية تعتبر تمهيدا لغزو اليمن . ثم تلى اشتراك ايطاليا فى الحرب العالمية الثانية سقوط الصومال البريطانى فى أيديها فى أغسطس سنة ١٩٤٠ ، مما جعل مستقبل عدن نفسها — التى كانت تحرص عليها بريطانيا كل الحرص — فى خطر كبير حينذاك .

وكان النفوذ الايطالى والدعاية الايطالية فى اليمن فى مطلع الحرب

---

(١) عبد الله عبد الكريم الجرافى : المصدر السابق ، ص ٢٥٠—٢٥٢

العالمية الثانية تضايق البريطانيين كثيرا . وقد حاولت القلة من البريطانيين المقيمين داخل بلاد الامام يحيى أن يقوموا بعمل دعائى يائس ضد الايطاليين فى اليمن فى سنة ١٩٤٠ ، عن طريق اقناع اليمنيين أنه يجب على البعثة الطبية الايطالية الموجودة فى اليمن آنذاك ألا تقوم بأى نشاط سياسى الى جانب عملها الأصلى . غير أن اليمنيين كانوا — نظرا لما لديهم من خلفية تاريخية عانوا فيها من البريطانيين — أكثر استجابة للدعاية الايطالية فى وقت كان فيه الايطاليون فى الجانب الرابح « ويمسكون بأيديهم أغلب الورق » (١) ، حتى أن اليمنيين اعتقدوا أن الحلفاء قد خسروا الحرب .

وحدث فى نفس الوقت أن فر بعض الفاشيين المتحمسين الى اليمن مع عدد قليل من الالمان الذين هربوا من ايران والمملكة العربية السعودية فى بداية الحرب العالمية الثانية . غير أن هؤلاء لم يقوموا بعمل فعال حربى أو دعائى ضد البريطانيين ، نظرا لأن الامام يحيى كان حريصا على الا ينجرف فى تيار الصراع بين القوى الدولية الكبرى . وكل ما فعله أن قدم لهؤلاء الايطاليين والألمان « مجرد ملجأ غير مريح وبدون اكتراث » (٢) . بل ان انتصارات ايطاليا فى القارة الافريقية ، ونشاط دعايتها العدائية على حدود محمية عدن ، لم يؤد الى احداث أى انجاز واضح لصالحها فى جنوب الجزيرة العربية . اذ انهارت الامبراطورية الايطالية فى افريقيا قبل أن تتمكن ايطاليا من احداث أى تأثير على مركز بريطانيا فى اليمن حينذاك . حتى أن الامام يحيى — الذى كان قد أعلن الحياد منذ بداية الحرب العالمية الثانية رغم ميله الواضح الى جانب دول المحور نكاية ببريطانيا — قد بدأ يقلل من ميله نحو المحور بعد هزيمة قوات « رومل » نهائيا فى معركة « العلمين » . كما بدأ تبعا لذلك يرضخ لضغط بريطانيا عليه ليتخذ موقفا حاسما ضد رجال المحور المقيمين فى بلاده . ولهذا أصدر الامام يحيى أمره فى اليوم السادس والعشرين من فبراير سنة ١٩٤٣ بالقبض على الايطاليين والألمان الفارين الى بلاده ، كما اعتقل جميع رعايا دول المحور هناك ، وبلغ عددهم اربعين ايطاليا والمانيا . كما أوقف عمل محطتى الاذاعة اللتين كانتا تعملان فى بلاده باسم المحور ، بل وتلا هذا أيضا قيام الامام بقطع كل علاقاته مع سلطات المحور . ونظرا لأن الامام يحيى لم يكن قد أعلن الحرب على المانيا

(1) Survey of International Affairs, 1939 — 1946, P. 354

(2) Survey of International Affairs, 1939 — 1946, PP. 354, 355.

واليابان مثل باقى الدول العربية ، فانه لم يشارك فى مؤتمر سان فرنسيسكو الذى عقد عقب نهاية الحرب العالمية الثانية (١) .

وتجدر الاشارة الى أن احداث الحرب العالمية الثانية قد أدت الى خروج الامام يحيى من عزلته التقليدية بصورة محدودة للغاية (٢) . فانضم الى جامعة الدول العربية فى سنة ١٩٤٥ ، كما انضم أيضا الى الأمم المتحدة فى سنة ١٩٤٧ ، وذلك تحت تأثير المملكة العربية السعودية . على أن الامام يحيى حاول أن يجد فى الولايات المتحدة الأمريكية معضدا ومساندا جديدا له يحل محل دول المحور السابقة من جهة ، ولارتفاع مكانة الولايات المتحدة كحليف قوى للدول الأوربية — ومن بينها بريطانيا — فى المجال العالمى .

— التقارب الامريكى اليمنى كرد فعل للعلاقات البريطانية اليمنية فى نهاية فترة ما بين الحربين العالميتين :

بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تأخذ — أثناء فترة ما بين الحربين العالميتين — طريقها الى المجال الدولى على نطاق واسع بعد خروجها التدريجى من عزلتها التقليدية. وكانت قد نجحت فى اقامة علاقات سياسية واقتصادية مع باقى بلاد الشرق العربى ، قبل أن تصل الى الامام يحيى. وترجع علاقة الامريكيين باليمن الى مطلع النصف الاول من القرن التاسع عشر عندما بداوا ينافسون شركة الهند الشرقية البريطانية فى تجارة اليمن عامة وتجارة البن اليمنى صفة خاصة . اذ تمكن عدد من التجار الامريكيين — وفى مقدمتهم بعض التجار من مواطنى : « ماساتشوستس » Massachusetts. الذين كانوا يشكلون مجتمعا بحريا وتجاريا نشيطا — بارسال سفنهم لتعبر نصف الكرة الارضية لتصل الى مياه المحيط الهندى وتدخل الى جنوب البحر الأحمر حتى ميناء « مخا » لتحتكر تجارة البن اليمنى (٣) الذى كان سلعة رائجة فى أوربا وأمريكا على السواء حينذاك . وقد وقفت بريطانيا فى وجه هذه المنافسة الأمريكية المبكرة التى وصلت الى المحيط الهندى الذى كان يمثل بخيراته « وعاء العسل » ، ولطالما اغترف منه البريطانيون واحتكروه لأنفسهم منذ انشاء شركة الهند الشرقية

---

(١) جلال يحيى (دكتور) : العالم المعاصر ، ص ٣٢٢ .
(٢) السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، ص٤٦١
(٣) Waterfield, G. : Sultans of Aden, P. 30.

فى الحادى والثلاثين من ديسمبر سنة ١٦٠٠ فى عهد الملكة « اليزابيث » الأولى Elizabeth I. (١) وقد تمكنت بريطانيا من كسر احتكار الامريكيين لتجارة البن اليمنى ، وتحطيم منافستهم نهائيا فى جنوبى البحــر الاحمــر باحتلالها لعدن فى التاسع عشر من يناير سنة ١٨٣٩ ، واجتذابها لتجارة البن من مخا الى عدن لتكون تحت اشرافها المباشر وسيطرتها الكاملة (٢) .

أما بالنسبة لعلاقة الأمريكيين بالامام يحيى فتعود الى الزيارة التى قام بها اليه عقب استقلاله « المستر شارلس كرين » المليونير الأمريكى الذى طاف كثير من دول المشرق العربى ، يرافقه مهندس المناجم « كارل توتيشل » الذى طاف باليمن بحثا عن موارده المعدنية وخاصة البترول . وقد بنى هذا المهندس عدة جسور فى اليمن لربط صنعاء بالثغور اليمنيــة المطلة على البحر الاحمر (٣) . وبعد هــذه الزيارة ــ وقد توقفت أعمــال « توتيشل » الذى انتقل الى المملكة العربية السعودية للبحث عن البترول أيضا ــ لم تقم أية علاقات بين الامام يحيى والولايات المتحدة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . حيث زارت الامام يحيى أول بعثة أمريكية رسمية فى ابريل سنة ١٩٤٦ برئاسة «الكولونيل وليم ادى» Colonel William Eddy. وعقدت معه معاهدة تجارة وصداقة . وقد تبع هذه الزيارة اقامة علاقات دبلوماسية منظمة بينه وبين الولايات المتحدة فى الحــادى عشر من مايو سنة ١٩٤٦ ، ومنحته الولايات المتحدة قرضا بمليون دولار لشراء معدات حربية منها فى الرابع والعشرين من يناير سنة ١٩٤٨ . وفى شهر يوليــو من نفس السنة زار الأمير سيف الاسلام عبد الله ــ أحــد أبناء الامام يحيى ــ الولايات المتحدة ، وأجرى محادثات مع عدد من رجال الصناعة هناك (٤) . وهذا التقارب الامريكى اليمنى وان جاء متأخرا ــ كما تجاوز الفترة التى نعالجها فى هذا البحث وهى فترة ما بين الحربين العالميتين ــ الا أنه كان ينبغى الاشارة اليه كرد فعل لاختفاء دول المحور ــ التى كان

---

(١) Hoskins, H.L. : British Routez to India PP. 4, 5.

(٢) فاروق عثمان أباظة (دكتور) :
التنافس الدولى فى جنوب البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، أبحاث الاسبوع العلمى الثالث لسمنار الدراسات العليا للتاريخ بكلية الآداب بجامعة عين شمس (١٠ ــ ١٥ مارس ١٩٧٩) ، ص ٣٨١ .

(٣) Fisher, W.B. : The Middle East, P. 544.

(٤) Lenczowski, G. : Op. Cit., P. 459.

الامام يحيى يستند اليها فى صراعه مع بريطانيا — من المسرح الـدولى نتيجة لهزيمتها فى الحرب العالمية الثانية . وكما سبق أن أشرنا فى بداية هذا البحث أن الولايات المتحدة قدر لها أن تحل محل المعسكر الاوربى فى كثير من بلدان الشرق ، بل وأن تدافع عن مصالحه على المستوى العالمى باعتباره أكبر قوة للغرب فى ضوء المتغيرات الدولية التى أعقبت نهـاية الحرب العالمية الثانية . ومن هنا جاء التقارب الأمريكى اليمنى فى ذلك الوقت استجابة للواقع المعاصر .

وعلى أية حال فقد نتج عن انتصار بريطانيا وحلفائها — وفىمقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية — على دول المحور فى الحرب العالمية الثانية، تعزيز مركز بريطانيا فى عدن والنواحى المتاخمة لها فى جنـوبى اليمن فى الوقت الذى كانت تنمو فيه براعم الحركة الوطنية فى اليمن باتجاهاتهـا المختلفة . وكان لانتصار بريطانيا فى تلك الحرب أكبر الأثر فى جعـل العلاقات البريطانية اليمنية — التى مرت بأدوار كثيرة ومتغيرة فى فترة ما بين الحربين العالميتين — تتسم بطابع الاستقرار عقب نهاية الحـرب العـالمية الثانية ، خاصـة وأن اليمن قد شغل بحركته الوطنيـة وينمو المعارضة التى أطاحت بالامام يحيى نفسه فى سنة ١٩٤٨ .

— مساندة بريطانيا لحركة المعارضة اليمنية لحكم الامام يحيى فى نهاية فترة ما بين الحربين العالميتين :

من الملاحظ أن بريطانيا كان لها — فى نهاية فترة ما بين الحـربين العالميتين وفى أعقابها — دور غير مباشر فى مساندة المعارضة اليمنيةلحكم الامام يحيى بهدف استخدامها فى الضغط على الامام اذا أخل بتنفيـذ « معاهدة صنعاء » التى نظمت العلاقات البريطانية اليمنية فى سـنة ١٩٣٤ ، أو اذا قام بأى نشاط معادى لوجودها فى عدن ولنفـوذها فى النواحى المحمية المتاخمة لها فى جنوبى اليمن .

وقد ظهرت حركة المعارضة اليمنية — التى نمت تدريجيا — كـرد فعل طبيعى لسياسة الامام يحيى طوال عهده والتى اتسمت بسـلطته المطلقة وتمسكه بالعزلة وعدم مواكبته للتغيير والاصلاح . وقد أدت هـذه السياسة الى خلق روح التذمر لدى الفئـات المستنيرة من أبنـاء الشعب اليمنى داخل اليمن وخارجه . ويشير الأستاذ الدكتور صلاح العقاد الى سمات التخلف فى حياة الشعب اليمنى فى عهد الامام يحيى . مقـارنا بين

التغيير الذى قبلته السعودية فى عهد الملك عبد العزيز آل سعود بالجمود الذى تميز به عهد الامام يحيى فى اليمن (١) ، مما ادى الى ظهور حـــركة المعارضة اليمنية لحكمه فيقول :

« اذا كانت السعودية قد قبلت التغيير فى حــــدود الاستفادة من المخترعات الحديثة ولم تمس المجتمع التقليدى . فان امامة اليمن رفضت التغيير فى جميع الأحوال . فلم يشأ الامام مثلا أن يمنح الشركات الأجنبية تراخيص للتنقيب عن المعادن . وكان يفضل اكتناز الضرائب التى يحصلها من القبائل فى قصره ولا يعتبر الحكومة مسئولة عن المشروعات العمرانية. ويرجع ذلك الى تخوف الامام من الاتصال بالأجانب ، وقد سمح للاتراك ثم للايطاليين بتجهيز البلاد ببعض الاسلحة وبناء مستشفى فى صـــنعاء ، ولكنه قصر نطاق هذه الخدمات فى اضيق الحــدود . وحتى الســـلع الأساسية التى يصدرها اليمن وهى البن لم يعرف الامام كيف يفيد منهـــا البلاد ، لان الخوف من الاتصال بالاجانب جعله يبيع البن فى الحــديدة ، ويأتى بعض التجار من اليونانيين لشرائه هناك ثم يقومون هم بطرحه فى الاسواق العالمية . والخلاصة هى أن مبدأ العزلة سيطر على سياسة الامام يحيى خلال حكمه الطويل ، ولا يمكن تفسير هذا المبدأ بمزاج الامام واتجاهاته الشخصية ، فهناك عوامل أعمق من ذلك دفعت يحيى الى التصلب فى هذه السياسة . فقد كان الزيديون سكان الجبل هم اصحاب الكلمة العليا فى البلاد ، واهل الجبال عادة محافظون واقل تقبلا للمؤثرات الخارجية . ثم ان انتماء الامام الى مذهب يشكل اقلية فى الشرق العربى جعله وانصاره يشعرون بالتميز عن البيئة المحيطة بهم . واذن لم يكن بوسع حاكم ما أن يطبق هذه السياسة لولا أنه وجد استجابة من فئات عديدة من الشعب. والتفسير الآخر الذى يمكن الصاقه بالامام يحيى نفسه هو التجارب التى مر بها فى حكمه ، فقد حارب العثمانيين واصطدم بالانجليز ، واشتبك مع الدولة السعودية المجاورة ، وجعله ذلك كله يتشكك فى نوايا الأجـــانب الذين يزورون بلاده ويعتبرهم جواسيس . ومن هنا نلاحظ أن الأجـــانب

---

(١) سبق أن قارنا بين الانظمة الاصلاحية التى وضع العثمانيون اسسها أثناء حكمهم لليمن (١٨٧٢ — ١٩١٨) والتى كان من الممــكن أن يقطع اليمن بواسطتها شوطا فى سبيل التقدم ، وبين حالة الجمود والعزلة التى فرضها حكم الأئمة على اليمن (١٩١٩ — ١٩٦٢) .

فاروق عثمان أباظة (دكتور) : الحكم العثمانى فى اليمن (١٨٧٢ — ١٩١٨) ص ٤١٥ — ٤٣٣ .

سواء اكانوا عربا أو أوربين يوضعون تحت المراقبة بمجرد دخولهم الى صنعاء ، وأحيانا ينزلون فى قصر الملك ولا يسمح لهم بالخروج الا بمرافقة الحرس الخاص . ومن مظاهر العزلة تحريم اقامة السفارات او القنصليات على الارض اليمنية حتى بالنسبة لتلك الدول التى عقدت معاهدات صداقة وتجارة مع اليمن مثل ايطاليا وهولندا وبلجيكا وفرنسا . وانطبق هذا على البلاد العربية أيضا فلم تستطع مصر اقامة مفوضية لها فى صنعاء الا فى سنة ١٩٥١ أى بعد انتهاء حكم الامام يحيى بثلاث سنوات . ورغم المشكلات العديدة التى كان لا بد من تسويتها مع السلطات البريطانية فى عدن فقد اعتذر الامام عن اقامة أى تمثيل دبلوماسى بريطانى فى بلاده طوال حكمه (١) . ولم تشأ الولايات المتحدة أن تقبل هذا الشرط الخاص بعدم اقامة سفارة عندما جرت مباحثات لعقد معاهدة تجارية فى الثلاثينات » .

« ونلحظ آثار هذا التفكير فى مباحثات انشاء الجامعة العربية فقد خشى الامام أن تكون الجامعة أداة تنفذ من خلالها الدول المتطورة الى المجتمع اليمنى باسم التعاون الثقافى أو الاقتصادى ، فهو لم يرفض فقط توسيع اختصاصات الجامعة من الناحية السياسية كما فعلت الدول الأخرى . وانما امتنع أصلا عن مناقشة الميثاق ، وأرسل أحد مندوبيه كمستمع لحضور المناقشات الى أن اطمأن الى عدم فاعلية الجامعة فقرر الانضمام اليها سنة ١٩٤٧ » .

« نتج عن ذلك كله أن حياة المجتمع اليمنى لم تتغير كثيرا عما كانت عليه فى العصور الوسطى ، فالامام يحكم باسم السيادة الروحية باعتباره زعيم الطائفة الزيدية ، ولذلك فهو يميز بين سكان الجبل وبين الشوافع سكان تهامة أو الجنوب . ويقتصر هذا التمييز على النواحى الادارية والسياسية . وقد بالغ فى تصويره الكتاب الأجانب فقد ترك الامام مثلا للشوافع حرية التقاضى حسب مذهبهم ، ولم يفرض عليهم ضرائب اضافية رغم أنهم اكثر نشاطا فى ميدان التجارة والاقتصاد فهم الذين يسكنون الساحل ويغلبون على الجنوب المتاخم لعدن والمحميات البريطانية . وكثيرا ما لجأت السلطات البريطانية فى الجنوب الى محاولة التفرقة واثارة الشوافع ضد حكم الامام فلم تجد استجابة عامة (٢) . وفى

(١) استند الى : Reilly, B. : Op. Cit., P. 19.

(٢) استند الى : Ingrams, H. : The Yemen, Imams, Rulers and Revolutions, P. 11.

نفس الوقت لم تكن التبعية للمذهب الزيدى تعنى دائما الولاء التام للامام، فقد كانت العلاقة القبلية أقوى كثيرا من العلاقات المذهبية » .

وكثيرا ما كانت القبائل تتهرب من دفع الزكاة التى لا بد من تقديمها كاملة للامام ، وفى هذه الحالة يحرض الامام عليها قبيلة أخرى أقوى منها فتقوم « بتخطيطها » أى بشن غارة مفاجئة عليها وسلب كل ما تقع يدها عليه من اغنام أو خيام أو ابل أو حبوب ، وتقدم جزءا من هذه الغنائم وتحتفظ بالجزء الباقى . وكانت هذه الأعمال تترك احيانا القبائل « المخططة » فى حالة يرثى لها من البؤس حتى تتفكك عرى القبيلة أحيانا ويضطر ابناؤها الى الهجرة سعيا للعمل فى المدن ، وهذا احد العوامل التى تفسر لنا انتشار هجرة اليمنيين فى بلاد العرب وخارجها » .

« كذلك لم يكن الامام يثق بكبار موظفيه وأعوانه فى الدولة ، وكان يتبع معهم أسلوب التخويف فيجمع أبناءهم على شكل رهائن ويضطرهم الى الاقامة فى صنعاء بحجة التدريب على الأعمال العسكرية والادارية ولكنهم كانوا يعيشون فى الحقيقة فى حالة وسط بين السجن والتدريب ، واحيانا كان يشعر بارتياح الى بعض فيقربهم منه بالفعل وينزلهم فى قصره » .

« ويقدر عدد الرهائن بما يتراوح بين ١٠٠٠ ، ٤٠٠٠ (١) ، وتعتبر صعده والمدن الشماليه هى من أكثر مناطق اليمن ولاء للامامة ، ففيها ظهر المذهب الزيدى ، واليها كان يلجأ الأئمة حينما يتعرض مركزهم للخطر فى صنعاء بسبب الثورات الداخلية أو الغزو الخارجى ، وما زالت فلول الملكيين تتشبث بهذه المنطقة (٢) وتستطيع عن طريق قربها من السعودية أن تتلقى المساعدات التى تمكنها من مقاومة الجمهوريين » (٣) .

وهكذا أدت الاوضاع المتردية فى اليمن الى قيام بعض العناصر الوطنية من ابناء الشعب اليمنى بالمطالبة بالاصلاح ، والحد من سلطة

---

(١) استند الى :
السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، ص ٤٧٢.
(٢) صدر كتاب الدكتور صلاح العقاد عن « جزيرة العرب فى العصر الحديث » عام ١٩٦٩ .
(٣) صلاح العقاد (دكتور) : نفس المصدر ، ص ٥٩ — ٦٢ .

الامام يحيى ، واتباع النظم الدستورية . غير أن الامام لم يستجب لهذه المطالب ولم يحاول أن يدفع ببلاده فى سبيل التقدم . بل انه حارب دعاة الاصلاح بمنتهى العنف مما أدى بالكثيرين منهم الى الهرب بعيداً عن قبضته. وتجمع الكثيرون منهم فى كل من القاهرة وعدن (١) . وقد تمكنوا عقب نهاية الحرب العالمية الثانية من انشاء رابطة « الأحرار اليمنيين » ، كما أصدروا صحيفة « صوت اليمن » لنشر دعوتهم وتوضيح اهدافهم . بل انهم وضعوا بعد ذلك دستورا تضمن كل مطالبهم وعرف باسم « الميثاق المقدس » واعلنوا التمسك به والعمل على تنفيذه . وقد زادت حركة المعارضة هذه وتوسع نطاقها مع زيادة جهود الامام للقضاء عليها . وقد انضم الى هذه الحركة ابنه الثامن ابراهيم الذى لم يكن لديه اى أمل فى الوصول الى الحكم بالطرق العادية . وقد أمر الامام بسجنه ، وتمكن من الهرب بعد ذلك الى عدن وانضم الى « الاحرار » اللاجئين هناك .

وكان من الطبيعى أن ينزعج الامام يحيى كثيرا من تجمع عناصر المعارضة اليمنية ضده فى عدن ، وازدياد نشاطها هناك مما جعله يولى ابنه سيف الاسلام أحمد أمر « لواء تعز » ليكون على مقربة من محمية عدن، وليتمكن من القضاء على عناصر المعارضة هناك بالاتفاق مع سلطات عدن البريطانية . بل ان الملك عبد العزيز آل سعود لم يخف قلقه هو الآخر مما قد تسفر عنه هذه الحركة من قلاقل فتصل الى مناطق ابعد من الحدود اليمنية ، او أن يكون لها آثارا ابعد مدى فيما بعد ، مما جعله يطلب الامام يحيى بضرورة معالجة هذا الموضوع (٢) . وقد أشار عبد الله الجرافى الموالى لآل حميد الدين الى النشاط الذى قامت به المعارضة اليمنية فى عدن حينذاك متحاملا عليها فقال : « قامت دعاية مغرضة بمدينة عدن ضد هذا الملك العظيم الذى اوجد اليمن (يقصد الامام يحيى بطبيعة الحال) والذى كان اول زعيم عربى طالب باستقلال العرب . وتظاهر ناشروا هذه الدعاية ضد الامام وطريقة حكمه للبلاد باسم الاصلاح . وقد بدأ بنشر هذه الدعاية جماعة من اليمنيين المقيمين بعدن ، الذين سموا انفسهم حزب الاحرار ، وانضم اليهم آخرون ، وانشأوا لهم جريدة سموها صوت اليمن ، وأعانتهم فى دعايتهم هذه جريدة كانت تنشر فى مصر اسمها جريدة الصداقة . وقد أخذت كلتا الجريدتين فى نشر كل ما يشوه سمعة

---

(١) صلاح العقاد (دكتور) : نفس المصدر ، ص ٧٣ — ٧٥ .
(٢) Philby, J. B. : Arabian Jublee, PP. 189, 190.

اليمن ، وسياسة الحكومة اليمنية المتوكلية ، وغررا بما زخرفاه من الأقوال كثيرا من الناس الذين اعتقدوا أنهم يطالبون حقيقة بالاصلاح » (١) .

وعلى أية حال فقد شهد اليمن حركة أطاحت بحكم الامام يحيى فى سنة ١٩٤٨ شاركت فيها عناصر المعارضة اليمنية . ويعتبر الأستاذ الدكتور صلاح العقاد (٢) أن هذه الحركة تمثل « حلقة من حلقات الصراع على السلطة التى ألفها اليمن منذ زمن طويل ، ذلك أن القائمين بها ينتمون الى أسر عريقة ضمت بين صفوفها أقارب الامام وفيهم ابنه الثامن ابراهيم الذى لم يكن لديه أى أمل فى الوصول الى الحكم بالطرق العادية. ومع ذلك لا تخلو الحركة تماما من فكرة التغيير ، فقد تقربت من «الاحرار» اللاجئين فى عدن واستدعت بعضهم للمشاركة فى الحكم خلال عمرها القصير ، وكان أحمد نعمان احد اعضاء ثورة ١٩٦٢ البارزين وزير الزراعة فى حكومة ابن الوزير . كذلك فان محاولة اقامة مجلس وطنى ولو بطريق التعيين يعد بالنسبة لظروف اليمن وبيئته فى ذلك العهد تغييرا هاما . وثمة عوامل ثلاث تجمعت من وراء هذه الحركة دون أن يكون بينها ترتيب مسبق » (٣) .

« الاول : الصراع الاسرى المألوف بين أبناء الامام العديدين من جهة وبين الأسر الكبيرة من جهة أخرى وقد كان أحمد يعد منذ زمن طويل لابعاد اخوته عن مراكز السلطة فأظهر خطابا موجها الى أخيه الأكبر محمد ادعى أن الطليان وعدوه بالمساعدة اذا ما دبر انقلابا للاستيلاء على السلطة . ومع التسليم بأن الطليان كانوا يستغلون تلك المنافسات الا أن هذا الخطاب مشكوك فى صحته . وقد نجح أحمد فى خططه فأخذ له ابوه ولاية العهد فى سنة ١٩٤٧ واضطر زعماء الأسر الى الموافقة على البيعة ومن بينهم عبد الله وعلى من أسرة الوزير . ومن جهة أخرى تطلعت أسر كبيرة فى اليمن الى أن تجعل الامامة غير محصورة فى أسرة بعينها هى أسرة حميد الدين ، ولذلك كان أخذ البيعة بولاية العهد حاسما فى اثارة الحركة .. وقد تزعمها عبد الله ابن الوزير الذى ينتمى الى فرع من الهواشم ، وكان فى نفس الوقت متزوجا بابنة الامام ويرى أن تطلق الامامة لجميع

---

(١) عبد الله عبد الكريم الجرافى : المصدر السابق ، ص ١٥٧ .
(٢) صلاح العقاد (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٧٣ .
(٣) استند الى : Ingrams, H. : Op. Cit., P. 741.

الأسر المنتمية الى البيت الهاشمى . واستفاد عبد الله بن الوزير بما لدى أخيه حسين من شعبية لما اشتهر به من التقوى . ولم يكن الامام يحيى محبوبا بقدر ما كان مرهوبا بينما أن أحمد ولى العهد اشتهر بالقسوة والغلظة » .

« والعامل الثانى : وجود بعض المغامرون من البلاد العربية فى صنعاء ، ويبدو أن عوامل الأخوة العربية دفعتهم الى الاهتمام بشئون اليمن والرغبة فى تطويره بالقدر الممكن . واعتقد هؤلاء أن وجود يحيى عقبة فى سبيل هذا التطوير . ومن هؤلاء اللاجئين الضابط العراقى جميل جمال الذى دبر بنفسه عملية الاغتيال . ومنهم فضيل الورتلانى الجزائرى الأصل وهو عضو فى جماعة الاخوان المسلمين استطاع أن يحصل على امتياز بعض الأعمال فى داخل اليمن وخاصة أعمال النقل بالسيارات . وسنرى كيف أن التجار واصحاب الأعمال كانوا من الفئات المتضررة من نظام الامام » (١) .

« العامل الثالث : وجود نواة للمعارضة السياسية ، ولم يكن بوسع هذه المعارضة أن تمارس نشاطها داخل اليمن فالتجأت الى عدن وهى اقرب مركز متحضر فى شبه الجزيرة . ورحبت السلطات البريطانية بهؤلاء اللاجئين نظرا لاستمرار الخلاف على مسألة الجنوب مع حكومة صنعاء ، ولكن خلافا لما ادعاه الامام أحمد فيما بعد ، لم يذهب الانجليز على الاطلاق الى حد التواطؤ مع المعارضة فى تدبير انقلاب ، ومن الارجح أن يرفض رجال المعارضة مثل هذا التواطؤ . ويرجع سخط التجار ورجال الأعمال على نظام الامامة الى رغبة الامام يحيى فى احتكار الأعمال لحسابه الخاص لأنه كان شغوفا بجمع المال . ولم يغفل يحيى هذه المعارضة فأرسل ابنه أحمد فى سنة ١٩٤٦ ليحاول استرضاء «الأحرار» وكانت وعود المبعوث الامامى غاية فى التحفظ . فهى تقتصر على تنشيط العلاقات مع الخارج والاهتمام بالتعليم العصرى وفتح البلاد أمام الشركات التى تريد أن تعاون فى استغلال مواردها دون أن يؤدى ذلك الى وقوع اليمن تحت سيطرة دول أجنبية ، الا أنه لم يشر الى مجلس تشريعى أو اى صورة من صور مشاركة « هذه البورجوازية الناشئة » فى شئون الحكم » .

---

(١) صلاح العقاد (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٧٤ .

« وفى ١٧ فبراير سنة ١٩٤٨ وعند مدخل احدى الطرق المؤدية الى صنعاء نصب جميل جمال بالاتفاق مع عبـــد الله الوزير ، كمينـــا لسيارة الامام ونجح فى اغتيال جميع من كانوا فيها ، وعلى الاثر اخذت البيعة لابن الوزير كامام دستورى . وتولى جميل جمـــــال قيادة الجيش والشرطة والداخلية ، بينما عهد برئاسة الحكومة الى على بن الوزير ، واستدعى ابراهيم بن الامام يحيى من عدن لكى يرأس مجلس الشورى الجديد الذى يتكون من ستين عضوا . ويذكر بعض الكتاب أن البدر حفيد الامام يحيى كان ممن بايع ابن الوزير لانه من أنصار الاصلاح » (١) .

« يلاحظ أن المجلس الوطنى ضم أبناء الأسرة الحاكمة بالاضافة الى الاسر التقليدية اليمنية مثل الكبسى وابن الوزير ، كما اشترك فيه الورتلانى مما يدل على أن اتجاه الحركة كان عربيا اسلاميا بالمعنى التقليدى ، يدل على ذلك أن القائمين بها اتجهوا أولا الى الجامعة العربية محـــــاولين الحصول على تأييدها . وبعد عقد دورة خاصة للنظر فى أحداث اليمن قرر مجلس الجامعة التزام الحياد فى هذا النزاع الداخلى ، وعدم السماح لأية دولة عربيـــة أو أجنبية بالتدخل . وأرسل وفدا لتقصى الحقائق ، وقد نصح الوفد بعد اقامة قصيرة فى اليمن بتكوين وفد آخر يمثل الدول الأعضـــــاء فى الجامعة . وكان هذا دليلا على الاتجاه الى اتخاذ موقف معاد للحركة » .

« ذلك أن كل من مصر والسعودية نظرت اليها باستياء شـــديد ، فالقصر الملكى فى مصر رأى فى اشتراك أحد الاخوان فى « المؤامرة » دليلا على خطورتها بالنسبة للاحوال الداخلية فى مصر . أما ابن سعود فـــكان مقتنعا بمبدأ اساسى وهو أن استخدام العنف فى تغيير السلطة الشرعيـــة بأى مكان فى شبه جزيرة العرب يعد نذيرا بالخطر على نظامه . ولذلك لم يتساهل قط مع القائمين بالحركة . وحينما أرسل ابن الوزير وفدا برئاسة الورتلانى لاقناع ابن سعود بالاعتراف بالحركة بادر الى تعنيفه ووصـــف القائمين بالحركة أنهم قتله . ولم يقف عند هذا الحد فمنح « ولى العهد الشرعى » كل ما استطاع من تأييد . وكان أحمد يقيم منذ مدة فى تعـــز ليكون على مقربة من حركة « اليمنيين الأحرار » فى عدن . فلما وقـــع الانقلاب انتقل الى الشمال حيث تقيم حاشد وبكيل وهما من أكبر القبـــائل الموالية للزيدية . وهناك تلقى الأموال والأسلحة من السعودية » (٢) .

---

(١) صلاح العقاد (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٧٥ .
(٢) صلاح العقاد (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٧٦ .

« ولم يشأ وفد الجامعة العربية الذهاب الى صنعاء مباشرة فتوقف فى الرياض فظل بها الى أن تم القضاء على الحركة . والظـــاهر أن ابن الوزير واجه مقاومة منذ البداية بدليل الانذارات المتعددة التى وجهها لأهل البلاد (١) . وعندما وجد أن الجامعة العربية تتحول بالتدريج الى الامـــام أحمد ارسل برقية الى عبد الرحمن عزام وكان حين ذاك يرأس وفـــد الجامعة الى المملكة العربية السعودية ، قال فيها : « بعد أن ثبت من تردد الجامعة العربية واكتفائها بالتفرج من بعيد ننذركم الى اذا لم تبادروا الى القيام بواجبكم اننا نستعين بغيركم صراحة للضرورة الملحة مسجلين عليكم نتيجة هذا العار الشنيع » .

« ومع ذلك فلا نذهب الى حد الاعتقاد فيما أشاعه خصوم الحركة والامام أحمد فيما بعد عن وجود تواطؤ مسبق بين الحركة وبين السلطات البريطانية فى عدن . وحتى لو اضطر ابن الوزير الى طلب المساعدة من الانجليز فنحن نشك فى أن هؤلاء كانوا مستعدين للتورط فى حرب داخـــل اليمـــن » .

« استطاع أحمد أن يجمع حوله جيشا قبليا كبير العدد وأن يهـــزم انصار الحركة قرب حجه ، ولم يحل ١٤ مارس ١٩٤٨ حتى كانت صنعاء قد سلمت دون مقاومة كبيرة ، ولم يزد عمر الحركة عن بضـــع وعشرين يوما . وقد اعدم كثير من زعمائها علنا على الطريقة المألوفة فى اليمـــن ، وارسل آخرون الى سجون حجة حيث قضى معظمهم سبع سنوات الى أن وقع الانقلاب الثانى فى سنة ١٩٥٥ » (٢) .

« أما سيف الحق ابراهيم فقد سجن فى قصر صغير بجوار قصـــر الامام (أحمد) فى « حجة » حتى مات مسموما بعد اعتقاله بحوالى ثلاثة شـــــهور » (٣) .

هذا عرض موجز لاحداث « حركة » ١٩٤٨ المعارضة لحكم الامام يحيى فى اليمن . وقد أوردناه عن أساتذة توفروا على دراسة هذه الحركة

---

(١) اســـتند الى :
أمين سعيد : المصدر السابق ، ص ١٤١ .
(٢) صلاح العقاد (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٧٧ .
(٣) السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث، ص٥٠٢

فى بحوثهم التى أشرنا اليها . على أن ما يهمنا فى هذا العرض هو التعرف على موقف بريطانيا ازاء حركة المعارضة اليمنية لحكم الامام يحيى فى نهاية فترة ما بين الحربين العالميتين التى نتناولها بالدراسة ، وفيما خلفته أحداث هذه الفترة من تأثيرات على أحداث الفترة التى أعقبتها مباشرة . فمن الملاحظ أن بريطانيا رغم معاهدة الصداقة والتعاون المتبادل التى عقدتها مع الامام يحيى فى الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٣٤ ، فانها لم تنس موقفه العدائى منها ودعايته ضدها مما جعلها ترغب فى ازاحته من طريقها — بطريق غير مباشر لا يعرضها للحرج — أو على الأقل اشعاره بأنه مهدد — بحركة المعارضة اليمنية — فى دياره ، حتى تشغله عن التفرغ لمواجهتها . وهذا يفسر ترحيب بريطانيا بأن تكون عدن ملجأ أمينا للعناصر المعادية للامام رغم أنها من الناحية الرسمية — وحتى تبدو فى موقف الملتزم بمعاهدة الصداقة والتعاون المتبادل مع الامام — طالبتهم بألا يقوموا بأى نشاط سياسى معادى له باعتباره صديقا لها وفقا للمعاهدة المشار اليها .

وكانت تهدف بريطانيا بطبيعة الحال الى الاستفادة من ايواء عناصر المعارضة لحكم الامام فى عدن حتى يصبحوا ورقة رابحة فى يدها تلوح بها للامام وتساومه عليها . على أن ذلك ما كان يمنع بريطانيا من طرد هؤلاء جميعا من عدن اذا ما هاجموا الوجود البريطانى هناك . كما أن بريطانيا لم تشأ أن تتهم بمعاونة الثوار فى نفس الوقت نظرا لأن ذلك كان يعنى تدخلها فى شئون اليمن الداخلية ، الأمر الذى كان من شأنه أن يثير ثائرة القوى الأخرى المعنية باليمن فى ذلك الحين . غير أن دورها فى اتاحة فرصة الاقامة لعناصر المعارضة اليمنية لحكم الامام فى عدن ، وعدم حرمانها من ممارسة نشاطهم هناك من الناحية الفعلية ، يؤكد معاونة بريطانيا لهذه العناصر ، تحقيقا لأهدافها الخاصة — ومما يؤكد ذلك ايضا قيام بريطانيا بارسال بارجة حربية رست أمام الحديدة أثناء « الحركة » لاستخدامها اذا اقتضت المصالح البريطانية ذلك . ولا شك أن بريطانيا حينذاك كانت ترقب الأحداث عن كثب فى اليمن والجزيرة العربية ، مما جعلها تحاول جس نبض موقف حكام اليمن الجدد ازاءها . ولم يغب ذلك عن قادة « الحركة » فى اليمن الذين لم يرغبوا فى اثارة العداء معها فى وقت مبكر . وهذا ما جعل حسين الكبس وزير خارجية ابن الوزير يرسل برقية الى حاكم عدن جاء فيها : « ان الحكومة اليمنية يسرها أن تعتمد من هذه اللحظة على صداقة بريطانيا المؤسسة على علاقات الجوار الودية ، وانى لأفضل أن تكون بيننا وبين بريطانيا هذه العلاقات الودية،

على أن تكون مع أية دولة غربية أخرى ، وأن اليمن الحرة ستقدر حسن نيـــــاتكم حق التقدير (١) . ومن الواضح أن القائمين « بالحركة » كانوا يستهدفون من وراء ذلك اجتذاب بريطانيا الى جانبهم ، أو على الأقـــل تحييدها ازاء الصراع الدائر بينهم وبين سيف الاسلام احمد ولى عهـــد الامام يحيى . غير أن الاحداث التى تلت بعد ذلك عجلت بنهـــايتهم عـــلى النحو الذى أشرنا اليه .

وهكذا كانت العلاقات البريطانية اليمنية تتأثر دائما بأوضاع اليمن الداخلية ، وبما يعتريها من متغيرات مختلفة . وكان ذلك يتم بقدر لا يقل فى اهميته كثيرا عن اهمية العوامل المختلفة التى أثرت على المصــــــالح البريطانية على المستوى الدولى ، وانعكست هى الاخرى عـــلى هـــــذه العلاقات ، على النحو الذى بدا بوضوح فى فترة ما بين الحربين العالميتين. التى تناولناها بالدراسة على مدار هذا البحث .

* * *

---

(١) صحيفة الاهرام : العدد رقم ٢٢٥٢٠ ، الصادر فى ٢٠ فبـــراير ١٩٤٨ ، ص ٤ .

الملحق الأول بالبحث

مكتبـــة وزارة الهند ، لندن .

ســــرى .

— محمية عدن ، خطاب من القائد العام فى عـــدن الى ســـكرتير حكومة الهند ، القسم الخارجى ، مؤرخ فى الثالث عشر من مايو ســـنة ١٩١٦ .

— ملحق رقم (١) ، حدود محمية عدن ، مذكرة أعدها الكولونيل د. أ. ووهوب ، ر.ا ، س.ب ، س.م.ج . ضـــــابط المخابرات السياسى والعسكرى فى عدن .

— ملحق رقم (٢) ، خطة سياسية فى الأراضى المتاخمة (لعدن) ، مذكرة أعدها الليفتنانت كولونيل هـ.ف. جاكوب ، المســاعد الاول للمقيم السياسى فى عدن ، مؤرخة فى العاشر من مايو ســــنة ١٩١٦ .

سـرى :

« محميـة عـدن »

خطاب من القائد العام بعدن الى سكرتير حكومة الهنـد القسـم الخارجى ، مؤرخ فى الثالث عشر من مايو ١٩١٦ .

سـيدى :

١ — لقد أعدت المذكرة المرفقة بناء على طلبى بواسطة كولونيـل ر.ا. ووهوب ، ر.ا.س.ب ، س.م.ج. ، بعد حوار معى .

وكذلك أرفق مذكرة عن المظهر السياسى لشئون اليمن أعدها لفتنانت كولونيل هارولد جاكوب المساعد الأول للمقيم السياسى .

٢ — يتضح لى أن أربعة بدائل تفرض نفسها ويحتمل حـدوثها مستقبلا وهى جـديرة بالاعتبار :

١ — أن نستمر بدفاع غير فعال فى عدن مع قوات كافية للتغطية فى الشيخ عثمان كما هو جارى .

٢ — أن نتقدم الى لحج ونحتل مواقع تتحكم فى مخـرج ممـر « تيبان » الذى يصل عبره فقط اى طريق عسكرى يتجه الى عدن من جهة الشمال .

٣ — أن نتقدم الى خط الحدود القديم للمحمية لنحتل الضالع .

٤ — أن نحتل تعز وهذا يتطلب فرض حماية عـلى كل الركن الجنوبى الغربى لليمن بحدود استراتيجية جـديدة وخـط سياسى يسهل الدفاع عنه .

٣ — بأحد هذه البدائل أو بهما مجتمعة فان احتلال « الشيخ سـعيد » أمر حتمى لوقوعها فى مواجهة جزيرة « بريم » .

وفى حالة تبنى البدائل (١) ، (٢) ، (٣) فان هذا الاحتلال واجب بحكم الضرورة تقريبا . ولكن فى حالة الموقف (٤) فانه لا ضرورة للاحتـلال .

٤ — وعند تناول هذه المقترحات تفصيليا بعين الاعتبار فالجهل بالمستقبل سيكون حائلا دوننا . الا انه من خلال فهمنا الحالى ثمة حلول يمكن بلوغها وفقا للظروف وسيكون من المفيد مناقشتها .

٥ — ١ — فى الماضى كان من المستحيل اعتبار عدن موقعا منعزلا غير مرتبط بظهير الميناء .

وفى المستقبل سنجد انه من الصعوبة بمكان تغيير وجهة النظر هذه .

ويبدو ان الاصرار على هذه السياسة قد يعرضنا لمشاكل خطيرة مع القوى الأوربية .

ومن وجهة النظر العسكرية فان موقع « الشيخ عثمان » لا يتميز بمواقع طبيعية ولا يعطينا مجالا متسعا للحركة فهو عقيم من الوجهة السياسية . وحيث انى متأكد أن أى سلطة لن تزكى تبنيها له فلا جدوى من مناقشته الا كموقف اخير لا مناص منه .

٢ — وتتيح لحج موقعا له فاعلية لأية قوات تتمركز هناك فهى اقرب الى عدن من اى موقع آخر يمكن أن تتجمع بها قوات معادية لمهاجمة عدن على اعتبار أن « الشيخ عثمان » سقط فى أيديهم .

وبذلك تتضح مزايا خطوط المواصلات الداخلية عند مقارنتها بأى مراكز اخرى يمكن الاستيلاء عليها بيسر فهى تتميز بموقع هام يسيطر على العرب سكان الساحل . وفى حالة تحيز العرب للاتراك بالقوة او الى قوات الامام فبحكم موقعها ستمنعهم من التقدم الى عدن .

الموقف الوحيد الذى سيحقق اية مكاسب لقوة متقدمة من الشمال كخط المواصلات . وذلك من « ماوية » و « تعز » عبر واحة « وارزان » وواحة « أخسان » والتى تلتقى فى طريق ممر تيبان .

وعن هذا الطريق وحده يمكن تدبير المـــاء لقـــوة لا تزيد عن لواء . حيث أن الاتراك والعرب ليس لهم نظام واضح للامدادات وعلى هذا كانوا يعتمدون على الأماكن المأهولة المحيطة ، وبالتالى كانوا يســـــتوطنون فى المراكز التجارية الكبيرة مثل « لحج » ، و « ماوية » و « تفر » وكذلك « الضالع » أما « مسيمير » فليست كـــذلك .

واذا ما منعت عليهم « لحج » فســـيضطرون للاقامة فى مراكـــز معروفة ولكنهم لن يتمكنوا من تعزيز قواتهم فى أماكن اخـــرى الا بالضرورة فى « مسيمير » واذا لم تسقط لحج فى أيديهم فان حشد قوات كبيرة على مسيرة يوم واحد من عدن ستكون له نتائج مؤكدة .

وتشكل المظاهر الطبيعية الأخيرة من سفوح التلال فى طـــريق « تيبان » ممرا ضيقا . وعندما تحاول قوة أن تنفذ منه فستهاجم خلال مسيرتها ، وهزيمتها ستكون محققة كلية وستواجه الكارثة .

واذا نجح العدو فى العبور بكامل قوته خارج الممر فان المتاعب التى ستواجهه عند القتال أن ظهورهم ستكون للممر وان كانوا يملكون الخروج منه ، أما اذا هوجموا ونصف قواتهم خارج الممر فسترجح كفة المهاجم .

وتتميز « طانان » بموقعها المتحـــكم فى الممر الا أنه لا يوفـــر السيطرة الدائمة عليه نظرا لارتفاع حرارة صخوره فى تلك المنطقة المحدودة . أما « نوبة دكيم » التى تبعد ٢ ٣/٤ ميل جنوب « طانان » فهى موبوءة بالملاريا وغير صحية .

وفى « عند » يعترض الطرق فى الشمال تل يشكل موقعا حصينا على بعد ٧ أميال من « طانان » وهى أقل خطورة من الناحيـــــة الصحية من « نوبه دكيم » وتتميز بوفرة المـــاء ومستشفى للاتراك .
وفى « تيبان » تتوفر المياه العذبة قرب « زيده » كما تنبسط الأرض فتناسب اقامة معسكر الا أن الظل غير متوفر واقامة معسكر على هيئة أكواخ لقوة مجهزة لاحتلال « طانان » يناسب هذا المكان .
هذا المركز على بعد ١١ ميلا تقريبا جنوب « طانان » ومنه يمكن احتلال الأماكن التى سبق ذكرها بقوة مشكلة من ثلاثة أو اربعـــة الوية مزودة بالمدافع تحول دون وصول حشود كبيرة قوية الى لحج .

هذا من وجهة النظر الدفاعية فهى نقطة فائقة القوة . أما من وجهة النظر الصحية عند وضع صحة القوات فى الاعتبار فوجود البعوض يجعلها أكثر سوءا من عدن أو « الشيخ عثمان » .

ومهما كان الحال فللموقع مزايا شتى تختلف عن المواقع الأخرى ، اذ تحيط به منطقة لحج الخصبة حيث تتوفر الخضروات وغيرها ، كما يمكن وقف أى تقدم من « ماوية » ، الى جانب تحكمها فىقبائل الساحل القريبة من عدن ، وهذا فى رأيى أدنى تقدم يجب القيام به.

واذا ما تم هذا فيجب ان يكون واضحا منذ البداية أ تظل حركتنا نشطة وأن هدفنا هو البقاء هناك . وتحت أى ظرف فان تخطيط أى تقدم أبعد يجب أن يكون ذلك هو المرحلة الأولى لأى تقدم . ومن المفيد أن نعمل فى هدوء ونعد أنفسنا قبل الشروع فى أى شىء أكثر . وحتى نمد خطوط السكك الحديدية وتتمكن القوات من استيعاب التدريبات فى المواقع الجبلية وحتى نتمكن من تجميع الجمال ، فان هذه الأمور تصبح فى حالة مرضية .

٦ ــ واذا كان علينا أن نذهب أبعد من « لحج » فان الضرورة تقتضى النظر فى الاستيلاء على « الشيخ سعيد » .

وهناك توجد مجموعة من التلال الصخرية القاحلة تشغلها ١٥ الى ٢٠ كوخا من الأعشاب يقطنها الصيادون الذين يشكلون سكان المنطقة . وتمتد من هذا الموقع أعمدة البرق التركية الى «بريم» كما كانت توجد هناك قلعة وبعض الثكنات على « جبل عتبة » قرب « تربه » ولكنها اندثرت .

ولا يوجد ميناء طبيعى) الخور عبارة عن مدخل ضحل (ولا مركز تجارى طبيعى . وبالرغم من وجود الماء الا أنه مالح وسكان المنطقة العرب يشربونه فى الوقت الذى لا يستطيع ذلك غيرهم . أما الحامية التركية فينقل اليها الماء محمولا على ظهور الدواب من « باب « حجيرى » و « دوباب » .

ووفقا لتكوين الأرض فلا يحتمل وجود ينابيع جوفية فى التلال الرئيسية فى الداخل . والواجب انشاء مكثفات للمياه عند القيام بأى احتلال .

أما خطورة « الشيخ سعيد » لنا فانها تكمن فى موقعها المتحكم فى باب المندب . وعند تسليمها بقوات معادية فاننا لا نستطيع التحكم فى « بريم » التى تعتبر المرفأ الطبيعى وتعتبر « الشيخ سعيد » النقطة الطبيعية للدفاع عنه .

وأى هجوم على « الشيخ سعيد » سيكون صعبا نظرا للحاجة الى الماء فى الصحراء الواقعة الى الشمال الشرقى . وللحصول على الماء فى الصحراء يجب التنقيب عنه وذلك يحتاج الى وقت . أما خط سكة حديد الحجاز فعندما يصل الى ينبع على الساحل فانه سيشكل حركة التفاف حول قناة السويس وعندئذ سوف تتزايد أهمية « الشيخ سعيد » . ولن نستطيع باختصار أن نسمح لقوات أجنبية باحتلالها . ومن الحكمة أن نتأكد من ذلك قبل أن يخرج الاتراك من الحرب والا فسندخل فى جدل لا جدوى منه . أما ماذا سنفعل « بالشيخ سعيد » عندما نضع يدنا عليها فهذا يحتاج لوقت آخر .

واذا تقدمنا الى « تعز » للاستيلاء عليها بالقوة فليس هناك ضرورة لوضع حامية فى « الشيخ سعيد » التى تعتبر كبقعة غير ملائمة لوضع قوات بها . واذا لم نحتل تعز بالمفهوم العسكرى فسيبدو أنه من اللازم احتلال «الشيخسعيد» واعداد حامية بها.

وبمجرد ادراك نية خروج الاتراك من الحرب فمن الواجب الاستيلاء عليها ولكن عندما تحين الفرصة . وكما أشرنا آنفا فان أبعاد الدفاع واستراتيجية المكان وحمايته يجب أن تعتمد على القرار الذى سيتخذ بالنسبة الى تعز .

٧ — ٣ — أما الموقف الثالث للاقتراح الذى يلح بالتقدم الى الضالع لتحسين وضع حدودنا المبينة على خرائطنا فسيكون من العسير بالنسبة لى اكتشاف أسباب جوهرية أخرى اكثر من تلك للذهاب الى الضالع .

(ا) حيث نمد حامية عدن بالخدمات الطبية التى تحتاجها

(ب) وتقربنا من الاحتكاك بقبائل الداخل .

(ج) ولا نستطيع بالتالى الذهاب الى تعز .

و « الضالع » ليست قريبة من أى طـريق يؤدى الى تحكم أى جيش من الارتداد فى الحال أمام أى هجوم مضاد من الشمال يأتى من طريق « تيبان » . فهو مكان لهاأهميته الاستراتيجية الطفيفة ولكن أهميته فى قلة مخاطرهولايحتاج الى نقـاش عميق .

٤ ــ أما هذا الاقتراح الأخير لاحتلال تعز فقد ناقشه « الكولونيل ووهوب » فى مذكرته المرفقة وهى بدون شك أهم اقتراح حيث يبدو لى أهميتها فى التأمل العميق فهى خطة مرموقة تتطلب قوة لا يقل قوامها عن فرقتين ، بالاضافة الى قوة مستديمة من فرقة بعد أن تستتب الأحوال ومن الضرورى الاستمرار فى مد الخط الحديدى من عدن الى تعز ، ومـن المرغوب فيه استكمال الخط الحديدى الى «رأس الكثيب» الواقعة شمال الحديدة . ومن المحتم حراسة هـذا الخط الحديدى من هجمات الشمال من جانب قلعة الجبل التىمن خلالها نتحكم فى الممرات . وهذا المشروع سيثير حتمـا المشاكل مع الامام يحيى ولكن سيقابل بالتأييد من جانب صديقنا الادريسى والذى بالطبع سنقدم له النطاق الساحلى من « اللحية » الى « رأس الكثيب » .

بكل هذه الوسائل وبتقوية سلطان المكلا ستتشكل حـدودا منيعة أمام المؤامرات الاجنبية والغزو الخارجى لسواحل جنـوب الجزيرة العربية . وحيث تتحقق كل المزايا فى المناخ المعتـدل حول تعز ستقام مستشفى لقواتنا وبالتالى فان أى قوات تتمركـز هنا ستكون فى مركز استراتيجى مرموق يمكن استغلاله لصـالح ايران والهند وشرق افريقيا وساحل البحـر الأحمر ، أو فى الغـرب .

وستنتعش كل تجارة اليمن وتتسع فى ظل حكومة مسـتقرة ، وسوف تجد مخرجا طبيعيـا اما الى « رأس الكثيب » أو الى « عـدن » .

وبالنسبة للحدود الجديدة فستصبح ذات مناعة طبيعية . وفى ظل الادارة المدنية لهذه البقعة المثلثة الشـكل الواقعة بين هـذه

الحدود والبحر — وانا لست فى موقف يمكننى من ابداء الراى — الا انه من الجائز أن تسير الادارة على نفس الأساليب المتبعـــة فى السودان. .

وانا مع الكولونيل « ووهوب » فى رأيه ان القوات الهندية اقل كفاءة فى العمل فى شبه الجزيرة العربية وبالذات الهنود المسلمين الذين سيتأثرون بحكم وجودهم فى الأرض التى تقع عليها مكة .

ويبدو أن القوات السودانية قد تكون أفضل ، ولكن على أى حال فمن رأيى أن المـــال من الأفضل انفاقه فى محاولة تشـــكيل قوات عربية مسلحة تحت اشراف ضباط انجليـــــز وان كانوا لن يرحبوا فى البداية بنظام صارم ، ولكن وفقا للمعلومات التى تحت أيدينا أنهم مقاتلون أكفاء لو طلب منهم الانخراط فى سلك الجندية.

ويؤيد ذلك ما يمارسه العرب من أعمال شاقة وبأداء ممتـــاز عند قيامهم بالعمل كوقادين وعند تزويد البواخر بالفحم .

٨ — ويزكى المساعد الاول للمقيم السياسى ، شأن كولونيل «ووهوب»، توسيع دائرة نفوذنا الى « تعز » . وفى الحقيقة فان هدفه يتفق مع المقترحات (٤) الا انه يقترح وسائل اراها اخفقت فى الماضى . وأن التعهد بالتزامات سياسية لا تعتمد على مقاييس منطقية يمكن الوفاء بها وذلك باقامة خط حديدى خارج نفوذنا يبدو لى فاتحـــا لاعتراضات خطيرة .

وعلى هذا فاذا تقرر ارسال قوة كافية من « عدن » لتحقيق الوفاء بالالتزامات ولحراسة مصالحنا وامكان العثور على مركـــز مناسب لهذه القوة حيث لا توافقها عدن ، تبدو لى عناصر جوهرية لأى اقتراح عملى .

واجمالا فان أى خطة مقنعة يجب أن تفى بالالتزامات العسكرية تماما بقدر المتطلبات السياسية التى يحتاجها الموقف . وبالنسبة لاقامة معهد للقيادات فان عدن لا تصلح مكانا لمثلهفالشروطالصحية تتوفر فى المناطق المحيطة حيث المناخ الضرورى اكثر برودةوبالتالى لن يقترح احد أن يكون المعهد خارج حدودنا .

ولدفع الاتراك القهقرى خلال الممرات الى ما وراء حدودمحميتنا يتطلب الموقف حشد قوات قوامها فرقتان ولن يحتاج الأمر لقـوة اكبر لزحزحتهم وراء « ماويه » و « تعز » ولا ينبغى أن يـكون هناك تراجع ما .

على انه بعض الوقت يحتمل الا تكون هذه القوات كافية تماما لمقابلة سخط امام صنعاء ، ما لم نصل الى تفاهم معه قبل تقدمنا، وان كان الادريس سيساعدنا فى شغله (للامام) عنا فى حـالة امتناعه عن التفاهم معنا .

وبالرغم من ان ذلك قد يبدو للعرب على أن اى تقـدم الى « تعز » راجع الى رغبة فردية أو اغراض قومية للتوسع ، فمثل هذا التقدم لن يكون فى رايى مفروضا علينا من خلال هذه الرغبة.

اننى أؤمن أن التقدم مفروض علينا ليس فقط لاعتبارات بقائنـا فى « عدن » ولكن للحفاظ على أفضل مصالح العرب . ولو لم يكن الامر كذلك فاننى لا أكاد أرى اى مكاسب انما مخاطر جمة فى المحاولة لأن تتم بـدون قوات كافية .

واننى أدرك تماما أن تحركنا هنا يرتبط تماما بالنجاح أو الفشل فى مجالات تحركنا الأخرى ، ولكن اية مكاسب فى المناطق البعيدة لن تعوضنا كلية عن جمودنا فى النطاق المحلى . ولذلك ارفع هذه الأوراق التىستظهر اهميتها عند توفر الامكانيات للحركة ، وآمل أن تلعب دورا مفيدا عندما تحين الظروف .

و.م.س.والتون

بريجادير جنرال القائد العام لعدن

صـورة مبلغـة الى :

— سكرتير الدولة .

— رئيس الأركان العامة — الهند .

— المنـدوب السامى — القاهرة .

ملحـــق رقم « ١ »

حـــدود محمـــية عـــدن

(مذكرة أعدها الكولونيل ر٠ا٠ووهوب٠ر٠ا ، س٠ب ، س٠م٠ج)

١ — فى عام ١٦٣٠ تقلص الاحتلال التركى لعدن الذى دام قـــرابة مائة عام ومنذ هذه السنة حتى استعادة صـــنعاء فى ١٨٧٢ خضعت المنطقة لحكم أئمة صنعاء المنحدرين من أسرة قديمة ظهــــرت فى القرن التاسع الميلادى . وقد أخذت قبضتهم على المناطق الخارجية تفتر تدريجيا وفى عام ١٨٣٩ عندما احتل البريطانيون عـــدن كان السلطان العبدلى يهيمن عـــلى عدن مستقلا عن الامام الذى كان نفوذه ممتدا على مناطق القبائل المجاورة . وقد اعترفت الحكومة الانجليزية بهذا الوضع الى أبعد مدى حتى كان عام ١٨٣٩ فعقدت معاهدة مع « العبدلى » فأصبحت الحكومة الانجليزية بمقتضـــاها مسئولة عن المرتبات التى يدفعها لقبائل « الفضلى » و «اليافعى» و « الحوشبى » و « الأميرى » لتأمين الطرق المؤدية الى عدن .

٢ — وفيما بعد أقيمت علاقات مباشرة مع هذه القبائل وعقدت معاهدات سمحت ببسط الحماية عليها فى مقابل التزامات معينة تعهدت بها، الا أن حدود المحمية ظلت الى عهد قريب على الحالة التى كانت عليها عند احتلالنا لعدن فى أول الامر .

٣ — عاود الاتراك تدخلهم فى اليمن حوالى ١٨٤٠ وحتى عام ١٨٧٢ لم يترتب على تقدمهم أى ارتباط مع القبائل التى تربطنا بهممعاهدات. وفى هذا العام تقدموا من قعطبه وغزوا جـــزءا كبيرا من أرض « الاميرى » ، وخلعوا أمير الضالع . ورغم اعتراضات الحـــكومة الانجليزية اندفعوا حتى « لحج » الا انهم جلوا عنها تحت ضغط دبلوماسى عنيف ، واعترف الباب العالى بسيادة النفوذ البريطانى على قبائل معينة . وأمام اتجاهاتهم العـــدوانية حتى عام ١٩٠١ وجدت الحكومة الانجليزية انه من اللازم طـــرد القــــوة التركية المتمركزة فى « الدارجـــه » فى بلاد « الحـــوشبى » . فى الـــوقت الذى تشكلت فيه لجنة من الدولتين لتخطيط حدود القبائل السابق

ذكرها ، وقد تمت الموافقة على تخطيطها على أســــاس الخط الواصل من الشيخ سعيد الى نقطة قرب « قمطبـــه » . خلف الحدود المتفق على أن تمتد من الشمال الشرقى الى الصحراء ، وبذلك تحول دون دخول الأتراك الى «بيحان»ووادى«حضرموت» .

٤ — والفقرات السابقة توضح أن الحدود الحالية بالرغم من حـــداثة الموافقة التركية عليها وكسبنا لها فى الوقت الذى لم يكن للامام ولا للاتراك أى حقوق معروفة لدى جيران عدن ربما لا تتضح اهميتهـــا الا فى الوقت الذى يطالب فيه الامام بحقوق لم يعلنها أســـلافه على مدى ٨٠ عاما . ومن المدهش ايضا أن الحكام الحقيقيين لعدن الذين ورثنا عنهم — كما هو معروف — الحدود الحالية ، اكتشفوا أنه من الضرورى الوقوف الى جانب القبائل المنتشرة حول عدن . وعندئذ سيكون من المستحيل اعتبار عدن موقع منعزل وبلا علاقات مع المنطقة المحيطة بها والتى تمر عبرها كل الطـــرق التجارية المؤدية اليهـــا .

٥ — ومن نواحى عديدة لا تعتبر هذه الحدود كافية فى حد ذاتها ، ذلك لانها تتجاهل الاعتبارات العسكرية كلية ولا تتمتع بميزات دفـــاع طبيعية الا فى موقع واحد قرب « الضالع » حيث حرمنا من امتلاك المرتفعات التى تسيطر على الحدود والهضاب الخصبة وترك لنا فقط سفوح التلال والصحراوات القاحلة . وبذلك فان امتـــلاك المرتفعات التى تشرف على الحدود والهضاب الخصبة يترك لنـــا فقط سفوح الجبال والصحراوات القاحلة . وان امتلاك «ماويه» والهضبة المرتفعة الى الشمال سيغير الوضع كلية لصالحنا وعندئذ نقيم مراكز أمامية فى مناطق ذات مناخ صحى تشمل كل المنـــاطق الى عدن ناحية الشمال الغربى . فحول هذا الخط لا يوجد مكان داخل البلاد تستطيع القوات البقاء فيه أسبوعا دون أن تهلك . أما وجود حامية فى الضالع فلن يكون له تأثير أكيد اذ يمكن عزلها بقوات تركية تتقدم عبر وادى « تيبان » من « لحج » . واذا ما امتد النفوذ التركى لأبعد مدى لسوء الحظ وأصبح من الصعب قيـــام حدود بديله فستجد من خلال الظروف الجديدة التى ستظهر أن الموضوع برمته يحتاج الى اعادة النظر بطبيعة الحال .

٦ — واذا مااستمر الاتراك بعد الحرب فى اليمن فالواجب قيام واستمرار

حاجز من القبائل ، على أن توجد لنا حدود آمنة تكفل امتداد نفوذنا الى المرتفعات وتضمن سلامة الوصول الى عدن .

وعلى اى حال اذا ما انسحب الاتراك من اليمن فسينشأ موقف اكثر اهمية . حيث أن القوات البريطانية لن تسمح بقوات اخرى تغزو اليمن وستعمل من جانبها على فرض نوع من الحماية على كل المنطقة . علما بأن الجزء الأكبر سيبقى مستقلا او تحت نفوذ ادارة عربية . ولكن وفى سبيل تنمية الموارد فمن الضرورى تنشيط الرقابة على الموانى (يجب أن تستمر مفتوحة أمام تجارة أوربا) وعلى الطرق الرئيسية للتجارة فى الداخل . وان وضعا حقيقيا المظاهر العامة للبلاد وطبيعتها سيوضح الى اى مدى سيكون ذلك أمرا عمليا مرغوبا . وبالقدر الذى يمكننا يجب أن نعد انفسنا لتنشيط هذه الرقابة بأدنى مجازفة واقل نفقات ممكنة .

٧ — ان الحد الشمالى لليمن الواقع بالفعل تحت الادارة التركية يمثل خطا مرسوما من جهة الشمال يبدأ من « اللحية » مسافة ١٢٠ ميلا الى الداخل ويمر بعيدا عن صنعاء مسافة ٢٥ ميلا . أما حدود الجنوب فتمثل خط « الشيخ سعيد » . قعطبه وهى محدودة كالآتى : الحد الشرقى فيبعد ٢٠ ميلا شرق خط صنعاء قعطبه . وعلى هذا فيبلغ امتداد الحدود ٢٠٠ ميلا طولا من الشمال الى الجنوب و ١٢٠ ميلا عرضا . أما من ناحية تهامه او السهل الساحلى فيمتد طولا قرابة ٣٠ميلا.ويرتفع تدريجيا قرابة ٩٠٠قدما من قواعد التلال المنخفضة والتى تعتبر صحراء يتخللها واحد أو أكثر من منافذ السيول وبعض الواحات التى تتميز بسهول خصبة ومتسعة . فـ « بيت الفقيه » و « زبيد » و « حيس » تعتبر أهمها الى جانب مواقع هامة من الساحل حيث يتملك سكانها مراكب شراعية ويقومون بتجارة ناجحة بين عدن وموانى البحر الأحمر . أما الجبل والمناطق المرتفعة بين قواعد التلال وقمة السلسلة الجبلية الرئيسية فتتفرق الى سلاسل جانبية ترتفع ما بين ٣٠٠٠ الى ١٠٫٠٠٠ قدم . تتخللها وديان خصبة تروى من ينابيع جارية لا تنضب . وقمم التلال فى كل مكان مغطاة بقرى قوية البناء وقلاع ، والزراعة قائمة على السفوح حيث الانحدار البطىء والمدرجات الزراعية تمتد احيانا آلاف الأقدام على جوانب المرتفعات . أما قنوات الرى التى تفيض بالمياه ففى متناول أيديهم

بصورة موفورة حيث تدل على مهارة وجلد السكان حيث تزرع الفاكهة والبن ومحاصيل الحقل من كل نوع ، وفى مثل هذه الظروف المستقرة فان انتاج هذه المدرجات يمكن زيادتها بوفرة ، كما يلاحظ شرق خط تقسيم المياه عموما انبساط الأرض واتساعها هابطة تدريجيا من ارتفاع ٨٠٠٠ قدم الى الصحراء . ولقد نشأت عدة مدن على الهضبة « صنعاء » العاصمة وكذلك « نزمار » ، و « بريم » و « اب » و « جبله » .

٨ — وان الاختلاف فى مظاهر هذه الأقسام الطبيعية الرئيسية سيكون بلا شك له آثاره على اسلوب حياة السكان الذى سيغير بالطبع فى اسلوب الادارة . فسكان تهامة معظمهم يبذلون جهدا طيبا فى أعمالهم تجارا وملاكا لمراكب ساحلية تسير دائما الىعدنسيرحبون بلا شك الحماية البريطانية ، حيث أن بعضهم مثل « الزرانيق » سبق ان رحبوا تماما بهذه الرغبة . أما الجبل فنتيجة لمناعته لم يتأثر كثيرا بسوء الادارة التركية حيث يعتبر نفسه قادرا وحده على ادارة شئونه الخاصة دون الرجوع الىأى قوة سواء انجليزية أو تركية ، فسكانه مستقرون ونشطون وأمام تزايد الطلب على منتجاته فمن المتوقع اذن أن نقبل كارهين أو مرحبين تدخلا ضئيلا فى شئونه بالقدر المناسب تحت ظل حماية انجليزية .

وسكان هذين القسمين اما من السنيين أو الشافعيين بينما من يقطنون المدن ويسكنون الهضبة عموما شمال « اب » فأغلبهم من الزيديين الذين يرون فى الامام زعيما روحيا وحاكما . وعلى هذا فخط الحدود يسير بوضوح وفق المذاهب الدينية تماما ومثل الاختلافات الطبيعية .

٩ — وان الخطوط الرئيسية للتجارة شمالا وجنوبا عبر اليمن تسير كالآتى لحج — الحديده — زبيد — حيس — تعز على امتداد تهامه ، وكذلك طريق صنعاء — زمار — بريم — اب — تعز عبر الهضبة ، وكلا الطريقين وينتهى فى تعز . وهنا أيضا تلتقى الطرق التى تسير من الغرب والجنوب الغربى من « مخا » و « الشيخ سعيد » ومن « قعطبه » ومن « عدن » ، ومن الشرق والجنوب الشرقى تعتبر تعز فى الحقيقة مفتاح المواصلات فى جنوب اليمن كما تقع على منفذ هام فى خط تقسيم المياه ، وهو الخط الوحيد

الموجود على طول السلسلة حيث يمكن انشاء خط حديدى عبره يمتد من عدن الى غرب « تهامه » ويصل عدن بوادى « تيبـــان » فى انحدار تدريجى ووفرة فى امدادات المـــاء على تعاقب الفصول وكميات كبيرة من القمح والكلأ يمكن أن تنمو فى المنطقة الخصـــبة الى الشمال الشرقى ، ومواقع صالحة لاقامة معسكرات فى الأماكن القريبة مباشرة حيث المناخ المعتدل وعلى كل ارتفاع مطلوب .

١٠ ــ ومهما كانت الحكومة المشكلة فى اليمن فمن الضرورى الاحتفاظ بنطاق قبلى مستقل تماما عن صنعاء فى الوقت الحـــاضر تحت النفـــوذ البريطانى . ويشتمل على تعز وملحقاتها ، كما يجب أن تمتـــد الحدود الحالية للمحمية غربا الى بعض المواقع على البحر الأحمر شمال « المكلا » .

ويتمتع هذا الركن الجنوبى من الجـــزيرة العـــربية بميزتين استراتيجيتين هامتين لا تدع أى شك مستقبلا لمن يسيطر عليه ، وفرض قبضتنا عليه يؤمن انشاء الخط الحديدى الى تعز أو على بعض المواقع الضرورية الى الشمال الشرقى منها بواسطة طريق يمتد من نهاية الخط الحديدى من جهة الشرق عبر « ماويه » ، و « الضالع » . ويجب ان يستثنى خاصة من سيطرة الامام ولو أن جزءا صغيرا منه فقط سيكون تحت نفـــوذ قواتنا فى الوقت الحـــاضر .

١١ ــ ان الحد الاستراتيجى الأمثل للسيطرة على المنطقة يتمثل فى أعـــلا سلسلة حدود وادى « تعز » على الشمال الغربى خلال «جبل تاما» وممرة «حراس» وجبل «سراق» وجبل «حشا» وجبل « حجاف » الى جبل « حرير » . وفى طرفى هذا الخط تتقوس السلاسل العالية بشدة متقهقرة الى الجنوب مكونة أجنحة طبيعية منيعة ومثل هذا الحد يحقق الشروط المطلوبة . حيث يعطينا التحكم فى المنافذ الى عدن وفرصا عديدة لاختيار مواقع لاقامة معسكرات عليها فى ظروف مناخية صحية ولا تبعد بأكثر من مسيرة بضع ساعات من الساحل حيث يتمركز ضباطنا من حرس الحدود الذين سيكونون عـــلى اتصال بسكان اليمن الأمر الذى لم يتوفر لهم فى عدن .

١٢ ــ ويجب أن نضع فى حسباننا احتلال الحديده أو أحد موانى البحـــر الأحمر التى تخدم مناطق زراعة البن فى جبل « حراز » و «ريمه»

وغيرهما .. وتجارة « زبيد » ومدن « تهامة » الأخرى . وهناك دول أوربية أخرى الى جانبنا تهتم بتنميتها وتعتبرنا قائمين علـى تحقيق الأمن والاستقرار . وبالنسبة للسكك الحديدية فقد درس الأتراك انشائها لربط الحديده بصنعاء وتعز ، ولا يمكن تجــاهل المسئوليات الملقاة على عاتقنا تجاه محميتنا .

١٣ ــ وأن تبنى هذه السياسة سوف يتسبب عنه فى البداية اســتخدام قوات لها وزنها ويجب تنفيذها دون تأخير أو توانى عقب جــلاء الأتراك ، وإلا عمت الفوضى البلاد أو ينتهز الامام الفرصةويسبقنا الى احتلال « ماويه » و « تعز » . ولذلك يجب وضع الترتيبات الضرورية السياسية والعسكرية فى الاعتبار فى الحال لتأكيــد التقدم فى اللحظة المناسبة .

١٤ ــ ومن خلال وجهات النظر الخاصة بانشاء حامية دائمة فلا بد من الأخذ بعين الاعتبار بأن الجزء الأكبر منها سيتمركز فى موقع بارد يتميز بمناخ صحى ، وسيكون من المناسب لوقت طــويل آت ان تتشكل من فرق انجليزية .

ولأسباب عديدة فان استخدام فرق هندية فى الجزيرة العربية غير مناسب وأن العنصر الوطنى يجب تجنيده من بين رجال القبائل المحلية . وبذلك يمكن الحصول على عناصر طيبة منها وستقبل عليه حالما تقتنع أن محميتنا حقيقة دائمة وباقية .

ر . ا . ووهوب .

ضابط المخابرات السياسى والعسكرى بعدن

* * *

ملحـــق رقم « ٢ »

خطة سياسية فى الأراضى المتاخمه (*)

مذكرة أعدها اللفتنانت كولونيل هـ.ف جاكوب

المساعد الأول للمقيم السياسى فى عدن

فى بداية الحرب مع تركيا كان كل شىء قد تم للاعتماد على خطـــة سياسية ، وكان قد طلب من العرب التحول عن الأتراك . ولهذا الغرض صرف النظر عن اتخاذ اجراءات احتياطية لها طبيعة عسكرية وتجـــاهل خطورة تحرك عسكرى تركى من وجهة النظر العسكرية .

١ — أما الاتفاق مع الادريس فقد عقد فى الثـــلاثين من ابريل ١٩١٥ . وكان السيد الادريس يبدو أكثر نشاطا فقد تأخر زحف الأتراك على لحج أو توقف تماما .

٢ — كما أبرم شيخ « ماويه » اتفاقا فى التاسع عشر من شهر فبـــراير ١٩١٥ . وحاول أن يشارك بدوره ، الا أننا لم نوافق ، ولقد فعلنا ذلك خشية توقعات كثيرة توجه الى « لحج » . أما شيخ « ماويه » فلم يتخذ موقفا ايجابيا ضدنا وكان وصوله الى هضبةالضــــالع نتيجة للعلاقات الودية مع قائمقام قعطبه . اذ أن «ماويه» عزلت الأمير وأحلت مكانه أحد أقاربه الذى بدل منازله ثم رحـــــل الى « ماويه » .

حيث أن شقيق السلطان العبدلى الحالى مفوض للاجتماع به فى « مسيمير » رغم أن بيت العبدلى لم يرحب باجتماع ماويه ذلك أن العبادلة لا يرحبون بحاكم قوى فى هذا الجزء تحت نفوذنا وفقا للخطة التى سبق أن درسناها وأيدتها ماويه . ولقد خابت مهمة بعثة العبدلى بسبب حماقة ممثلها وعلى هذا فماويه لن تقـــود الهجوم الى لحج ، وحجة ذلك أن الشـــــيخ مريض وأن الأتراك وضعوه فى القائمة كموال للانجليز . وبذلك تخلف أثناء عمليـــة

(*) المقصود هنا الأراضى المتاخمة لعدن ..

احتلال لحج . ومن ذلك الوقت كان يتنقل باستمرار فى ضـــواحى « ماويه » وتمكن مرة من خديعة الأتراك ومرة أخرى قاد حـــركة ضد السراغنة فى هضبة الضالع .

٣ — ١ — أما امام صنعاء فرغم بغضه للاتراك الا انه كان لا يثق فى نواياها فى الجزيرة العربية بعد قصف « الشيخ ســـعيد » فى نوفمبر ١٩١٤ ، وظل دواما صديقا لبيت العبدلى ، شديد السخط على الاتراك لاحتلالهم عاصمة العبدلى . وفى رسالة كتبها الى سلطان العبدلى فى وقت قريب فى ابريل ١٩١٥ ، عبر فيها الامام عن عدم ثقته بالحكومة التركية فى اليمن ، ونسب اليهم الاضطرابات التى حـــدثت اخيرا . وقال انه لا يريد أكثر من أن يجمع قلوب اخوانه المبعثرة فى الدين ، وأن تبقى الروح الحيوية للشعب الاسلامى خفاقة . ويكرر الامام عمق صداقته للبيت الحاكم فى لحج ، ويؤكد انه سيظل على روابط وطيدة معه .

وكذلك كتب نائب الامام الســـيد محمد على شريف الى السلطان وقال أن حاكم عام اليمن وآخرين من ذوى المصالح الشخصية فى صنعاء تآمروا على اتهام الكاتب بزيارة عدن وقبض رشاوى ، مما اضطر سيده الامام الى كتابة مذكرة شديدة اللهجة الى الحاكم العام محتجا على تصرفات صدرت عن الاتراك والمتاعب التى كانت ضد روح الهدنة الموقعة بين الامام والأتراك . ويضيف الكاتب أن الخـــــلاف بين الامام والأتراك سيأخذ شكلا معينـــا فى يوم ما . وخلص الى انه يستحيل على الامام الانضمام الى العبدلى غـــير أنه وعـــد بالحياد مع المراعاة المستمرة للذين يستظلون بحماية العبدلى ، كما لاحظ الامام نوايا بعض الأشخاص المكلفين بتنفيذ مخطط ضده) مثل الأتراك (، وعلى هذا قام بتجميع قوات للقيام بحملته الخاصة متى اقتضت الضرورة . ولـــما سأل الكاتب الامام عن هدفه من تجهيز قوة ضد ناحية البيضاء والمنطقة حولها فما كان من الامام الا أن سحب القوات وظلت البيضاء لفترة طويلة الشغل الشاغل للامام .

٢ — كل هذا كان يسير ليوضح أن الامام لم يكن موافقا عـــــلى أجراءات الأتراك نحو لحج ، ولم يكن يحبذ أسلوب الأتراك

فى الحكم . ولكن مع الوقت اكتشف ان افضل اسلوب هــو الابقاء على بنود المعاهدة السابقة على الحرب التركيــــة الايطـــالية .

فلو نجحت هذه المعايير الســياسية نكون قــد حاربنـــا الاتراك بمن ناب عنا وبطريقة اقتصادية للغاية . هـــذا ما كان من أمر الجانب العسكرى أما من جانبنا فالتعـــاون أمر جوهرى . فمن الأفضل مواجهة الحقائق وأن نتــأمل ما يمكن عمله فى المستقبل .

ومن جانبى أضع ملاحظاتى على افتراض أن الأتراك ســيطردون من اليمن .

٢ — وعندما يخرج الاتراك سيكون للحدود ظــل من المــاضى ، وستعم الفوضى . فالأتراك فى الوقت الحاضر مثل ســدادة زجاجة البيرة فعندما تنزع السداده يتصاعد زبد البــيرة . وستكون ديمقراطية العرب مما يزيد الأمر صعوبة .فالعربى يفتقر الى الالتحام مع غيره .

وما قاله كاتب شهير عن أسبانيا فى عام ١٨٣٠ يطابق واقع اليمن اليوم . فاليمن ترفض التعامل مع دول أخــرى وتتقوقع على نفسها . وهذه العزلة لن تدفع شتات القبائل تحت أى شعور بالتماسك الوطنى ، ولكن العكس هــو الواقع ذلك ان تماسكهم فى أقاليم عشــائرية يؤدى الى أن السكان يعرفون بعضهم البعض بينمــا تضعف معــرفتهم بالجيران كعرب ، انما كشافعيين وزيديين ، فأهل الجبال يافعيين وسكان السهول من العوالق والعواذل والبيضانيين .... الخ . وربما تشترى القبائل ، ثم يعاد شراؤها بين مختلف الأطراف المتصارعة .

فلو ذهب الأتراك فسينهج العرب لاستعادةاستقلالهم. فهل عندئذ سيرحبون باشرافنا على ما كان للاتراك منأعباء ومسئوليات ؟ ان الامام يعارض حكم الأتراك ليس لأنه يحبنا بل لأنه يعتقد أن اليمن ملك لأسلافه . ولقد أبدى اشمئزازه من الغارة على لحج لأنه يعتبر لحج جزءا من أملاكهالسابقة،

كما توجد معاهدة سرية بينه وبين سلطانها السابق « السير احمد فضل » .

وعندما ترك الاتراك اليمن عام ١٦٤٠ بسط الامام نفوذه عليها . فهل هو الآن وبعد هذه الفترة من الزمن وبالصورة التى اختفى بها الأتراك سيقنع بأن يظل حبيسا محصورا فى المناطق التى حددها له الأتراك فى شمالى اليمن ؟ .

وعندما افهمنا الامام اننا لا نبحث عن أملاك شاسعة فى اليمن وطلبنا منه أن ينضم الينا لطرد عدو يقف حائلا دون تقدم العرب . فانه اتخذ من هجومنا على « الشيخ سعيد » دليلا يكذب به تأكيدنا ، واننا نسطوا على أرض هى له وحده وأنه لا يستطيع أن يصدق عدم وجود نوايا خفيه وراء التماس صداقته .

٤ — ولقد ذكرت أن خط حدودنا سيكون لوحة ملساء عندما يذهب الأتراك فهذا الخط تم رسمه بيننا وبين الأتراك وليس بيننا وبين العرب الذى انكروه دواما . أن الخط يفصل بين قبيلتين تعتبران انفسهما واحدا فى الهجوم والدفاع وأعنى بذلك « جوبان » و « ناوا » و «بنى دابيان» و « موسطا » . واثناء التقسيم كانت « جوبان » مع الأتراك وقد التمس شيخها منا مرارا بحرارة أن تمتد حمايتنا له . وكنا نرد عليه غالبا أنه داخل نطاق اصدقائنا الأتراك الطيبين . وعندما يرحل الأتراك فان المعاهدة التى بيننا وبين الحكومة العثمانية المعقودة فى مارس ١٩١٤ ستكون ورقة ميتة . وانا اشير الى اعتراف الأتراك بمد الحد الشمالى الشرقى ابتداء من « لخمة الشعوب » .

٥ — ويجب علينا أن نعود الى خطنا المحدد وأن نطرد الاتراك الذين اخترقوه ، حيث الأماكن التى اخترقوها يجب أن نمد نفوذنا الى « الحواشب » والى رجال قبائل « الاميرى » .

٦ — وحتى نعود الى سابق حدودنا نكون قد خسرنا هيبتنا فى

نظر العرب الذين تحت نفوذنا وسيكون حديثنا عن عمـــل تخطيط لحدودنا المتخامة للامام .

٧ — ولا بد من حدود جديدة على أن نبقى على الامام بقـــــدر المستطاع داخل منطقة معينة ومحددة .

واذا كان « كولونيل ووهوب » ينصح بالتوجـــه الى تعز ، فأنا لست متأكدا من جدوى أهداف هـــذه النصائح وان كانت نتائج الرأى باهرة . فالأتراك قد جعلوا من تعز المقر الرئيسى لهم وكانوا قبل الحرب هذه يتركون للامــــام النفوذ الفعلى على شمال اليمن . وكنا نحن أيضا سنبقيه هناك على الا نسمح له بالتقدم جنوبا .

٨ — وأنا لا احبذ تغلغلنا عسكريا فى هذه المنطقة الجــديدة لأن العـــرب لن يرحبوا بنا فى ثوب الأتراك . فالأتراك عموما مسلمين ، وحتى وان كانوا مسلمين غير طيبيـــين ، فانهم كانوا يستمدون هيبة حكمهم فى اليمن من خليفتهم ، رغم أن حكمهم كان مستهجنا واستبداديا .

واذا كان العرب قد ارتاحوا لوجودنا فى الضالع منذ سنة ١٩٠٧ ، فانما يرجع ذلك الى أننا لم نضايقهم . فـــلم نقم بحكم المنطقة انما بالاشراف على ادارتهم بلا تعـــال أو عجرفة ، كما أننا لم نفرض أى ضرائب ، بينما قام الأتراك بنزع سلاح كل من يخشون شوكتهم ازاء حكمهم ،وفرضوا الضرائب بالقوة على الناس . فاذا ما شرعنا فى ادارةالبلاد فان شعبيتنا ستختل ، ولكن ما لم نسر على النهج الرئيسى للاتراك مبدئيا فاننا لن نقوى على الاستمرار فى البلاد ، وأن نجعل لبقائنا فائدة مربحة .

٩ — ولهذا السبب فاننى لا أوصى بالغزو العسكرى للبـــلاد . وأعتقد فى امكانية نجاح حكمنا لهم بالانابة ، اننا يمكننا أن نسيطر على تعز ونواحى شورمان وكامرا والحجريه ، وفى الحقيقة كل الجهات الواقعة جنوبى « الشيخ ســـعيد » الا أن هذه المنطقة يجب اعتبارها منطقة نفوذ لا تســـــمح بتدخل أى قوة أجنبية فيها . كما تنص المعاهدة الحالية على

عدم التفريط أو بيع الأراضى التى بمقتضى المرتبات المدفوعة تدخل ضمن دائرة النفوذ البريطانى . وكان شـيخ ماوية يحكم تعز وماوية باسم النفـوذ التركى . وكذلك كان أحمد نعمان يحكم الحجرية باسمهم . وعلينا أن نحذو حذوهم ، ولو أنه يجدر بنا ان نمنح العبدلى الذى فقد الكثير ماليـا ومعنويا ، جزءا من منطقة الحجرية قبل ومنذ الرابع مـن يوليو لانحيازه لصفنا وبسببنا . وأنى أقولبسببنا للنصيحة، فقد كانت لحج من ممتلكاته وكانت مصالحه الرئيسية معرضة للخطر ، ولكن لوجود المعاهدة التى عقدناها معه كنا ملزمين بحراسة وحماية حدود بلاده .

١٠ — وللوصول بسهولة لهذه المنطقة فان مد خط حديدى الى تعز هو احسن الوسائل . وهناك أساليب عدة لبسط نفـوذنا الواسع ولضمان سيطرتنا على هذه المنطقة الجديدة ، وقد سبق أن عرضت بعضا منها فى مذكرتى فى التاسـع من سبتمبر ١٩١٥ والتى رفعها الى الحكومةالجنرال«سيرجورج يانجهاسبند » مع رسالة له رقم (س — ٦٩٤) المؤرخـة الثالث والعشرين من سبتمبر سنة ١٩١٥ . وهذهالاعتبارات تشمل التجنيد والضرائب وافتتاح مدرسة لأبناء المشايخ ... الخ . وبهذه الوسائل سنبرهن للعرب على مودتنـا لهم عندما نلتمس منهم نبذ الأتراك الذين ظلوا فترة طويلة حجر عثرة فى سبيل تقدم العرب فى اليمن ، وأكثر من ذلك عندما نستبعد اى فكرة شخصية للتوسع .

١١ — الا ان اصعب مشكلة ستواجهنا هى كسب جانب الامام ، وافضل حل ان نضع على الادارة العربية فى منطقة تعـز واحدا من المعروف عنهم معاداة الزيديين والأتراك معا فى نفس الوقت .

١٢ — وبالنسبة للمعاهدات القائمة مع العرب فالـواجب اما أن نحتفظ بها أو نتجاهلها .

ان العرب لم ينضموا الينا لمحاربة الأتراك . وسيكون من العسير عليهم حربهم معتمدين على أنفسهم بدون مدافع. وبالطبع ضايقوا الأتراك فى مواصلاتهم ، ويستطيعون ذلك

الآن لو اننا تقدمنا من « الشيخ عثمان » . ولن يستعجلوا الاتراك ما لم يطمئنوا من سياستنا القادمة . فمنذ عام ١٩٠٧ خسرنا لاغراض عملية اولى اتصالاتنا مع المداخل . فاذا لم تطرد الأتراك فى نهاية الأمر ، وحتى يطمئن العـــرب الى ذلك ، وهى غايتنا النهائية ، فانهم سوف يترددون قبـــل القيام بأى انتقام محتمل خشية ما يجلبه ذلك عليهم ما دام الأتراك قد ظلوا فى أماكنهم .

لقد ظل أغلب العرب تحت نفوذنا محايدين .واعتبروا هذه الحرب معلقة بين حكومتين. انهم سيرحبون بنا كحكومة : حكومة غير متسلطة تمنح بسخاء وتحميهم من التدخل الأجنبى. اما عن حيادهم الحالى فانه لا يعبر عن ود للاتراك وانمـــا يتمثل فى حبهم فى أن يتركوا وشأنهم يحبون حياتهم الخاصة.

١٣ ــ أما المعاهدات الأولى التى أبرمناها فى سنة ١٨٣٩ فكانت نتيجة لامتداد نفوذنا على حكم العبدلى حليفنا الكبير ، وكان الهدف الأساسى منها الابقاء على طرق التجارة مفتوحة .

وعلى هذا فأنا أعتقد أن المعاهدات الحاليـــة يجب الابقاء عليها ــ سليمة ، فيما عدا ما بين الحوشبى والأميرى فهاتان تستحقان التعديل . أما تجاهل المعاهدات الأخـــرى فذلك من قبيل النكث بالعهد ، ونحن يجب أن نتجنب بكل الامكانيات ترديد مثل هذه التلميحات فى هذا الوقت الحرج.

١٤ ــ وان موضوع عقد معاهدات جديدة سيعتمد على الموقف الدقيـــق لخط الحدود الجديد وعلى موقف رجال القبائل عندما نستعيد الحـــدود القـــديمة .

وعلى الرغم من أن « البيضاء » كانت ضمن منطقـــة نفوذنا غير أن السلطان لم يستطع النزول الينا . ومن وجهة نظر أطماع الامام فى هذا الاتجاه تبدو اهمية معـــــاهدة « البيضاء » بدرجة اساسية للغاية . ويجب ترك حضرموت ومرتفعاتها تحت سيطرتنا على أن تتوحد تحت حكمه . وقد حاول الامام طويلا مد نفوذه الروحى فى هذه المنطقـــة التى تقترب كثيرا من منطقة « البيضاء » . وكان ذلك مشروعا

قديما محببا لديه وارجأ تنفيذه الى ما بعد الحرب التركية — الايطالية والى وقت اكثر ملاءمة .

اما بالنسبة للميناء البحرى الرئيسى لممتلكات سلطان القعيطى فهو ميناء المكلا النامى . وهذا الموقع يتطلب وجود وكيل بريطانى اذ تتميز المنطقة بامكانات كبيرة ، غير أن موجة من الاستياء والهياج اثارها سلطان الكثيرى الذى عاد بدولارات جاوة وسنغافورة . وعلى هذا يجب أن نوجه كل أموالنا الى القعيطى وأن نؤازره بكل ما نستطيع .

١٥ — وبانشاء الخط الحديدى والطرق ، وبالتجنيد ، واقامة معهد لابناء المشايخ ، نستطيع فرض سيطرة أفضل على اليمن ، وأن نترك الجزيرة العربية للعرب تحت النفوذ البريطانى . ولكن لا بد من العودة أولا الى الحدود التى تجاوزها الأتراك أخيرا . وستكون نكسة تصيب الأتراك بأضرار قاتلة وتحطم آمالنا التى نعتمد عليها فى المستقبل كأفضل أصدقاء للعرب . وما لم نعد (الى تلك الحدود) بالقوة فسيصبح اليمن أسعد صيد برى للدول الأوربية ، وان كانت هذه الدول ستردد فى تحدى موقفنا كقوة تمارس اشرافا فعليا على المنطقة .

١٦ — وانني أؤمن بأن الامام سوف يكون أكثر استجابة للانصات لرغبتنا للعيش فى هدوء وحسن جوار اذا اقمنا شخصا عربيا على حكم جنوبى اليمن . ورغم أن الامام سيستمر فى التآمر ضدنا ، وسيستمر فى ذلك حتى لو قهرنا البلد كلها بالقوة . وهذا الأسلوب الأخير من مساوئه انه يترك اثرا ملطخا واستياء خفيا ضدنا فى عقول العرب ولغطا عن التوسع وضم الأراضى .

١٧ — ولهذا السبب فاننى أعتقد ان موضوع اضافة اراضى جديدة يجب أن يستبعد كموضوع له خطورته . وانني أستثنى من ذلك ميناء الحديده الذى اذا ظل فى ايدينا يمكن أن يكون استرضاء فى الوقت المناسب لتهدئة سيربروس صنعاء (يقصد الامام) . وتتحكم عدن والحديده والمكلا فى منافذ الامدادات فى ثلاثة أماكن هامة .

١٨ — ولن اناقش حدود الادريس فهى دانيـــة من مرمى البصر .
وهو لن يعترض على أسلوبنا المقترح للحكم بالاشراف العام
على مقاطعات معينة هى الآن تحت أيدى الأتراك وهونفسه
الذى اقترح انه ينبغى علينا أن نسيطر على « الحديده » .

أما بالنسبة لحدود الادريس فانها ســـوف تبحث عن
توسع بالوقوف وجها لوجه ضد الامام فى شـــمالى اليمن ،
وستكون مهمتنا الفصل بين الرئيسين .

وسيكون وضع الحكم غير محتمل ما لم نعمل عـــــلى
الرجوع الى الحدودالتى تم الاتفاق عليها بيننا وبين الأتراك .

هـ . ف جاكوب لفتنانت — كولونيـــــل

المساعد الأول للمقيم السياسى — عدن

دار المقيم السياسى فى عدن

فى العاشر من مايو ١٩١٦

المعاهدة البريطانية اليمنية

« معاهدة الصداقة والتعاون المتبادل »

(١١ فبراير ١٩٣٤) (١)

بما أن لجلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند من جهة ولجلالة ملك اليمن حضرة الامام من الجهة الأخرى .

رغبة فى الوصول الى معاهدة على اساس الصداقة والتعاون لمنفعة الفريقين ، قد قرروا عقد هذه المعاهدة وعينا بصفة المندوبين المفوضين .

جلالة ملك بريطانيا العظمى وأيرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند .

عن بريطانيا العظمى وايرلندا الشمالية : حضرة صاحب السعادة اللفيتانت كولونل برنارد راودون رايلى ...... المحترم .

عن الهند كذلك حضرة صاحب السعادة اللفيتانت كولونل برنارد راودون رايلى ، ...... المحترم .

جلالة ملك اليمن حضرة الامام . صاحب السعادة القاضى محمد راغب بن رفيق حفظه الله .

اللذان بعد تبليغ أوراق تفويضهما وتحقيق صحتها على شكل حسن اتفقا على ما يأتى : —

المادة الأولى :

يعترف جلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند باستقلال جلالة ملك اليمن حضرة الامام ومملكته استقلالا كاملا مطلقا فى جميع الأمور مهما كان نوعها .

(1) — Hurewitz, J.C. : Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. 2., PP. 196 — 197.
— Reilly, B. : Aden and the Yemen, PP. 72, 74.

المـــادة الثانية :

يسود السلم والصداقة بين الفريقين المتعاهدين الســـاميين اللذين يتعهدان بالمحافظة على حسن العلائق بينهما من كل الوجوه .

المـــادة الثالثة :

يؤجل البت في مسألة الحدود الجنوبية اليمنية الى أن تتم مفاوضات تجرى بينهما قبل انتهاء مدة هذه المعاهدة بما يتراضى الفريقان المتعاهدان الساميان عليه بصورة ودية وباتفاق كامل بدون احداث اى منـــازعة أو مخالفة . والى أن تتم المفاوضات المشار اليها في الفقرة السالفة الذكـــر فالفريقان المتعاهدان الساميان يقبلان أن تبقى الحالة الحاضرة فيمـــــا يتعلق بالحدود في تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة ، ويتعهد الفريقـــان المتعاهدان الساميان أن يمنعا بكل ما لديهما من الوسائل اى تعـــــد من قواتهما في الحدود المذكورة واى تداخل من اتباعهما أو من جانبهما في تلك الحدود في شئون الأهالى القاطنين في الجانب الآخر من الحدود المذكورة.

المـــادة الرابعة :

سيعقد الفريقان المتعاهدان الساميان بعد العمل بالمعاهدة الحاضرة ما يلزم من المعاهدات لتنظيم الأمور التجارية والاقتصادية على أســـاس المبادىء الدولية العامة مع التراضى والموافقة بينهما .

المـــادة الخامسة :

١ — رعايا كل من الفريقين المتعاهدين الساميين الذين يقصدون التجارة في بلاد الفريق الآخر يكونون تابعين للقوانين والأحكام المحليـــــة ويتمتعون بنفس المعاملة التى يتمتع بها رعايا الدولة الأكثر رعاية.

٢ — كذلك سفن كل من الفريقين المتعاهدين الساميين وشحناتها تتمتع في موانى الفريق الآخر بنفس المعاملة التى تتمتع بها الدولة الاكثر رعاية وشحناتها ، وتعامل ركاب تلك السفن في موانى بلاد الفريق الآخر بنفس ما يعامل به من كان في سفن الدولة الاكثر رعاية هناك.

٣ — والغرض بهذه المـــادة يتعلق بجلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند :

ا ـ لفظة (بلاد) ينبغى ان يعد معناها مملكة بريطانيا العظمى المتحدة وايرلندا الشمالية والهند وجميع مستعمرات جلالته والبلاد المحمية وجميع البلاد المنتدب عليها من قبل حكومة جلالته فى المملكة المتحدة .

ب ـ لفظة (رعايا) ينبغى أن يعد معناها جميع رعايا جلالته أينما سكنوا وجميع أهالى البلاد التى تحت حماية جلالته وكذلك جميع الشركات المؤسسة فى اى بلد من بلاد جلالته تعتبر من رعايا جلالته .

جـ ـ لفظة (سفن) ينبغى أن يعد معناها جميع السفن التجارية المسجلة فى أى بلد من بلاد انحاء الشعوب البريطانية .

المادة السادسة :

هذه المعاهدة تكون أساسا لكل ما يكون الاتفاق عليه من المعاهدات المتتابعة بين الفريقين المتعاهدين الساميين حالا واستقبالا فى معنى تقوية الوداد والصداقة ويتعهد الفريقان المتعاهدان الساميان بعدم اعطاء المساعدة والمسامحة لأى حركة ضد الوداد والاتفاق القائم الصميم بينهما.

المادة السابعة :

يصادق على هذه المعاهدة بأسرع وقت ممكن بعد التوقيع وتتبادل حجج التصديق فى صنعاء ويعمل بها من تاريخ تبادل حجج التصديق وفيما بعد تبقى معمولا بها لمدة أربعين سنة . وتقريرا لذلك وقع المندوبان المفوضان المشار اليهما امضاءهما على المعاهدة الحاضرة ووضعا ختومهما عليها ، وقد نظمت هذه المعاهدة نسختين باللغة الانكليزية والعربية واذا نشأت شكوك فى تفسير شىء من هذه المواد فالفريقان المتعاهدان الساميان يعتمدان النص العربى . وحررت فى صنعاء اليمن فى يوم ٢٦ من شهر شوال سنة ١٣٥٢ هـ للهجرة يقابله يوم ١١ فبراير سنة ١٩٣٤ للميلاد .

محمد راغب بن رفيق   **برنارد راودون رايلى**

***

معاهدة الاستشارة بين بريطانيا والسلطنة القعيطية

(١٣ اغسطس سنة ١٩٣٧) (١)

« بما أن حكومة جلالة الملك فى المملكة المتحدة وسمو سلطان صالح بن غالب القعيطى سلطان الشحر والمكلا يرغبان أن يقويا العلائق الودية الكائنة بين حكومة جلالة الملك والسلاطين القعيطين من زمن طويل ، وبما أن سمو السلطان صالح بن غالب يرغب فى تقدم وترقية مملكته ، وبما أن حكومة جلالة الملك ترغب فى تأييد وتقوية سلطة ومقام السلطان فحكومة جلالة الملك عينت السير برنارد رايلى . ك.س.م.ج.س.١.١.و.ب.١. الوالى والقائد الأكبر فى محمية عدن أن يعقد معاهدة لهذا الغرض .

البنـــد الأول :

تقبل حكومة جلالة الملك فى المملكة المتحدة أن يعين مستشارا مقيما للسلطان ، والسلطان يرتضى أن يجهز بيتا لائقا للمستشار المقيم المذكور ولأجل سعادة مملكته يقبل نصيحته فى جميع الأمور ما عدا المسائل المتعلقة بالديانة المحمدية والعادة .

البند الثـــانى :

تعترف حكومة جلالة الملك فى المملكة المتحدة بحق سلاطين الشحر والمكلا فى تعيين خلفائهم ، وعرضه لموافقة حكومة جلالة الملك فى كل مسألة ، يعنى تعيين خلف .

— عدن فى الثالث عشر من شهر أغسطس سنة ١٩٣٧ .

— بالنيابة عن ومن طرف حكومة جلالة الملك فى المملكة المتحدة وعرضة لمصادقتها وموافقتها .

— ختم القائد الأكبر — برنارد رايلى الوالى والقائد الأكبر فى محمية عدن — دبليوامتس انجرامز .

— بالنيابة عن نفسه وعن ورثائه وخلفائه صالح بن غالب سلطان الشحر والمكلا — الشيخ على عكظه .

* * *

(١) صلاح البكرى : فى جنوب الجزيرة العربية ، ص ٢١٧ — ٢١٨

مصـــــادر البحث

أولا — مصادر باللغـــة العربية

(١) الوثائق

— الكتاب الذى تدمه عبد الرحمن أبو طالب — ممثل المملكة اليمنيـــــة المتوكلية « الجمهورية العربية اليمنية حاليـــا » — الى الادارة السياسية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهـــرة فى ٥ أغسطس سنة ١٩٥٩ تحت عنوان « الجنوب اليمنى المحتـــل من من النواحى التاريخية والطبيعية والسياسية ونصوص الاتفـــاقات والمعاهدات بأنواعها المختلفة من معاهدات الصداقة والولاء ، الى معاهدات الحماية ، الى معاهدات الاستشارة ، التى عقـــدتها السلطات البريطانية فى عدن مع سلطنات وامارات الشطر الجنوبى من اليمن ، مع توضيح موقف الحكم الامامى السابق فى الشـــطر الشمالى من اليمن ازاءها بوجه خاص ، وازاء الوجود البريطـــانى السابق فى عدن بوجه عام . والكتاب كان محفوظا بدار الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة حيث أطلعت عليه عـــام ١٩٧٠ — وحصلت على نسخة مصورة منه — ولم ينشر بعد .

— الكتاب الاخضر السعودى الذى اصدرته وزارة الخارجية السعودية تحت عنوان « بيان عن العلاقات بين المملكة السعودية والامام يحيى حميد الدين » — مطبعة أم القرى بمكة فى سنة ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤م

— عبد العزيز محمد الشناوى (دكتور) وجلال يحيى (دكتـــور) : وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر ، دار المعارف بالقـــاهرة ١٩٦٩ . ويضم هذا الكتاب الوثائق المتعلقة بالتنـــافس الدولى فى منطقة البحر الأحمر فى القرنين التاسع عشر والعشرين .

(٢) المؤلفـــات والبحـــوث

— احمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ، من القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى القرن العشرين ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٠ .

— احمد محمد الشامى : من الادب اليمنى ، نقد وتاريخ ، دار الشروق، بيروت ، ١٩٧٤ .

— أمين الريحانى : ملوك العرب ، جزءان . المطبعة العلمية ، بيروت ، ١٩٢٤ .

— أمين سعيد : اليمن ، تاريخه السياسى منذ استقلاله فى القرن الثالث الهجرى ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

— انطونيوس ، جورج : يقظة العرب ، (ترجمة على حيدر الركابى) مطبعة الترقى ، دمشق ، ١٩٤٦ .

— بالم دات ، د . : ازمة بريطانيا الاستعمارية ، تقديم وترجمة عادل احمد ثابت ، دار النديم ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

— بنوا ميشان : عبد العزيز آل سعود ، سيرة بطل ومولد مملكة ، نقله الى العربية عبد الفتاح ياسين ، دار الكاتب العربى .

— جاد طه (دكتور) : سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن ١٧٩٨ — ١٩١٤ دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٦٩ — ١٩٧٠ .

— اسس تحول عدن الى قاعدة جوية ، ١٩٢٧ — ١٩٢٩ مجلة دار الملك عبد العزيز بالرياض ، العدد الثانى ، السنة السادسة ، ربيع أول ١٤٠١ هـ — يناير ١٩٨١ .

— الجرافى ، عبد الله عبد الكريم : المقتطف من تاريخ اليمن ، مطبعة الحلبى ، القاهرة ١٩٥١ .

— جلال يحيى (دكتور) العالم المعاصر ، دار الكتب الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٦ .

— حافظ وهبه : جزيرة العرب فى القرن العشرين ، الطبعة الخامسة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
— خمسون عاما فى جزيرة العرب ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٦٠ .

— سابايارد ، نازك (دكتوره) : الرحالة العرب وحضارة الغرب فى النهضة العربية الحديثة ، الطبعة الأولى ، مؤسسة نوفل ،بيروت، ١٩٧٩ .

— ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين ، بيروت ، يوليو ١٩٦٠ .

— سلطان عبده ناجى : معالم تاريخ اليمن ، مجلة الثقافة الجديدة — عدن — العدد الثامن — السنة الأولى — يونيو ١٩٧١ .

— السيد محمد رجب حراز (دكتور) : التوسع الايطـــالى فى شرق افريقية وتأسيس مستعمرتى أرتيريا والصومال ، مطبعة جامعـــة القـــاهرة ، ١٩٦٠ .

— السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، اليمن والامام يحيى (١٩٠٤ — ١٩٤٨) معهد البحوث والدراسات العربيـــة — القـــاهرة ١٩٦٣ .

— الفتح العثمانى الأول لليمن ١٥٣٨ — ١٦٣٥ ، معهد البحـــوث والدراسات العربية — القاهرة ، ١٩٦٩ .

— المؤرخون اليمنيون فى العهد العثمانى الاول ١٥٣٨ — ١٦٣٥ ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ، ١٩٧١ .

— شوقى عطا الله الجمل (دكتور) : سياسة مصر فى البحر الأحمر (١٨٦٣ — ١٨٧٩) ، رسالة دكتوراه قدمت لكية الآداب بجامعـــة القـــاهرة ، فى سنة ١٩٥٩ .

— صلاح الدين البكرى اليافعى : فى جنوب الجزيرة العربية ، الطبعة الاولى ، مطبعة الحلبى ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

— صلاح العقاد (دكتور) : جزيرة العـــرب فى العصر الحـــديث ، السعودية — اليمن — جمهورية اليمن الشعبية ، معهـــد البحـــوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

— عبد الرازق حسن (دكتور) : لمحات عن سقطرى ، مجلة الثقـــافة الجديدة ، العدد الخامس ، السنة الثالثة ، مايو ١٩٧٤ ، عدن .

— العبدلى ، أحمد فضل بن على محسن : هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ .

— عبد الواسع الواسعى : تاريخ اليمن ، المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن ، القاهرة — المطبعة السلفية — ١٣٤٦هـ، وقد استندت الى الطبعة الثانية ، مطبعة حجازى ، القاهرة ١٩٤٧.

— عصام ضياء الدين السيد : اطلاله على الصراع السياسى البريطانى الايطالى فى البحر الاحمر خلال فترة الحرب العالمية الاولى ، مجلة دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، العدد الثانى — السنة السادسة — ربيع أول ١٤٠١ هـ ، يناير ١٩٨١ .

— العقيلى ، محمد بن أحمد عيسى : تاريخ المخلاف السليمانى أو الجنوب العربى فى التاريخ ، جزءان ، الجزء الأول طبع بمطابع الرياض ١٩٥٨ م — ١٣٧٨ هـ ، الجزء الثانى ، طبع بمطابع دار الكتاب العربى بالقاهرة ، ١٩٦١ م — ١٣٨٠ هـ .

— على حسون (دكتور) : تاريخ الدولة العثمانية ، المكتب الاسلامى ، دمشق ، ١٩٨٠ .

— فاروق عثمان أباظه (دكتور) : الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢ — ١٩١٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٥ .

— عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩ — ١٩١٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦ .

— التنافس الدولى فى جنوب البحر الاحمر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، بحث نشر ضمن أبحاث ندوة « البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة » ، التى أقيمت فى الأسبوع العلمى الثالث (١٠ — ١٥ مارس ١٩٧٩) لسمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بكلية الآداب بجامعة عين شمس .

— سياسة بريطانيا فى عسير أثناء الحرب العالمية الأولى ، دار المعارف بالاسكندرية ، ١٩٨١ .

— فاضل حسين (دكتور) : محاضرات عن مؤتمر لوزان وآثاره فى البلاد العربية ، معهد الدراسات العربية العالمية ، القاهرة ١٩٥٨ .

— قحطان محمد الشعبى : الاستعمار البريطانى ومعركتنا العربية فى جنوب اليمن (عدن والامارات) ، القاهرة ، دار النصر ، ١٩٦٢ .

— محمد أحمد النعمان : الأطراف المعنية فى اليمن ، عدن ، ١٩٦٥ .

— محمد عبد الله ماضى (دكتور) : النهضات الحديثة فى جزيرة العرب ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٥١ .

— محمد عمر الحبشى (دكتور) : اليمن الجنوبى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا منذ ١٩٣٧ وحتى قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٨ .

— محمد كمال عبد الحميد : الشرق الاوسط فى الميزان الاستراتيجى ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

— محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه ، تاريخه وعلاقاته الدولية ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٨ .

— محمد محمود السروجى (دكتور) : موقف بريطانيا فى البحر الأحمر فى الحرب العالمية الأولى ، مجلة دارة الملك عبد العزيز ، العدد الثانى ، السنة السادسة ، ربيع أول ١٤٠١ هـ ، يناير ١٩٨١ .

— نزيه مؤيد العظم : رحلة فى بلاد العربية السعيدة ، القاهرة ، مطبعة الحلبى ، (لم يذكر تاريخ الطبعة) .

— الهمدانى ، ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب : صفة جزيرة العرب ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

— الواسعى ، عبد انواسع بن يحيى : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن ، مطبعة حجازى ، لقاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٧ .

— والتر لاكور : الاتحاد السوفييتى والشرق الأوسط ، (ترجمة لجنة)، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٩ .

— وليمز ، سيتون : بريطانيا والدول العربية ، عرض للعلاقات الانجليزية العربية ، (١٩٢٠ — ١٩٤٨) ، ترجمة وتعليق الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى ، مراجعة الدكتور أحمد عزت عبدالكريم، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

— ياقوت الحموى ، شهاب الدين ابى عبد الله الحموى الرومى البغدادى : معجم البلدان ، المجلد الرابع ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٧ م — ١٣٧٦ هـ .

— يونان لبيب رزق (دكتور) : جزيرة كمران بين الاحتلال العسكرى وتحديد التبعية السياسية (١٩١٥ — ١٩٢٩) ، أبحاث الأسبوع

العلمى الثالث (١٠ — ١٥ مارس ١٩٧٩) سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس .

— السودان فى عهد الحكم الثنائى الأول ، (١٨٩٩ — ١٩٢٤) .

(٣) الدوريـــــات

— صحيفة « الأهرام » : القاهرة : ١٩٠٩ ، ١٩١٠ ، ١٩١٣ ، ١٩٢٥، ١٩٢٦ ، ١٩٢٨ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ ، ١٩٣٩ .

— مجلة « الثقافة الجديدة » ، عدن ، العدد الثامن ، السنة الأولى ، يونيو ١٩٧١ ، والعدد الخامس ، السنة الثالثة ، مايو ١٩٧٤ .

— مجلة « الحكمة » ، صنعاء ، العدد الأول ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ذى القعدة ١٣٥٧ .

— مجلة « الدارة » التى تصدرها « دارة الملك عبد العزيز » بالرياض، العدد الثانى ، السنة السادسة ، ربيع أول ١٤٠١ هـ ، ينـــــاير ١٩٨١ ، نشرت بهذا العدد بعض أبحاث الأسبوع العلمى الثالث (١٠ — ١٥ مارس ١٩٧٩) لسمنار الدراسات العليـــــا للتاريخ الحديث بكلية الآداب بجامعة عين شمس .

(٤) المعـــارف العـــامة

— دائرة المعـــارف الاســـلامية .

— الموسوعة العربية الميسرة — مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .

ثانيا — مصادر باللغات الأجنبية

(ا) الوثائق Documents

ا — وثائق لم يسبق نشرها :

Great Britain Public Record Office :

- F.O. 78/1333, 2755, 3189.
- F.O. 371/1927, 4212, 7707.
- F.O. 406/42, 44.

India Office Library :

- I.O.L., C. 48076/27.
- I.O.L., C. 49285/28.
- I.O.L., C. 69285/29.
- I.O.L, No. B. 216. Secret. British Policy in the Yemen. Memoranda by Major — General Sir G.J. Younghusband, K.C.I.E., C.B., Political Resident, Aden, Received at the India Office as enclosure in Aden Residency Covering letter, No. C. 695, Dated 23rd, September 1915.
- Enclosure No. 1. Memoranda on the employment by Italians at Mogadiscio of Askaris from Arabia, by H.F. Jacob, Lieutenant — Colonel, First Assistant Resident, Aden, 8th September 1915.
- I.O.L., Secret, The Aden Protectorate, letter from the General Officer Commanding, Aden, to the Secretary to the Government of India, Foreign Department, dated 13th May 1916.
- Enclosure No. 1. The Boundary of the Aden Protectoratem, Note by Colonel R.A. Wauhope R.E., C.B., C.M.G., Political and Military Intelligence Officer, Aden.
- Enclosure No. 2., A Political Policy in our Hinterland, Note by Lieutenant — Colonel H.F. Jacob, First Assistant Resident, Aden, dated 10th May, 1916.
- I.O.L., Political and Secret Department, Middle East, No. 22. Confidential.

Papers relating to the new arrangements for the Government of Iden, and relating with the Iden Protectorate. Part 3. Corresspondence (March 1927 — Feb. 1930), C. 69330/29. (No. 3) Bombay, Aden, 23th. December 1929, G. S. Symes Resident and Commander in Chief, Aden.

Colonial Office :

C.O. 725/1, No. 37933.
C.O. 725/7, No. 13965.

ب — وثائق منشـــــورة :

— Aitchison, C. U. : A Collection of Treaties, Engagements and Sanads Relating to India and Neighbounring Countries, 12 Vol., Calcutta 1892.
— Colonial Office : Accession of Aden to the Federation of South Arabia, London, H.M. S. O. 1962.
— Colonial Office : Accession of Aden to the Federation of South Arabia, London, H.M. S. O. 1962.
— F.O., White Paper, Cmd. 4752, 1934.
— F.O., White Paper, Cmd. 5726.
— Federation of South Arabia : Conference on Conistitutional Problems of South Arabia, London, H.M.S.O. 1964.
— Goech and Temperley : British Documents on the Origins of the War, 1898 — 1914. London, Printed and purchased by Her Majesty's Stationary Office, 1938, IV-X Vol. IV — The Anglo Russian Re-Approachment. Vol. X — Part II. The last years of peace.
— Hansard's Parliamentary Debates, House of Lords :

Cols. 539 — 541, 1926.
Cols. 542 — 848, 1927.
Cols. 408 — 412, 1933.

— Hurewitz, J. C : Diplomacy in the Near and Middle East, two Vols. New York, 1956.
— Ingrams, W.H. : A Report on the Social, Economic and Political Conditions of the Hadhramaut, Aden Protectorate, London, 1936.

— Treaty between His Majesty and His Majesty the King of the Hejaz and of Nejd and its Depandencies, 1927 (Treaty of Jedda). Cmd. 2951, 1927.

Notes Exchanged for the Modification of the Treaty of Jedda, May 1927, October, 1927. Cmd. 5380.

— Treaty of Friendship and Mutual Co operation between His Majesty in respect of the United Kingdom and of India and the King of Yemen, White Paper, Cmd. 4752, 1934.

Texts (٢) المؤلفـات

— Antonius, G. : The Arab Awakening, The Story of the Arab National Movement, Capricorn Books New York, Eighth Impres sion, 1965.

— Belhaven, Lord : The Kingdom of Melchoir, London 1949.

— Bremond, E. : Yemen et Saoudia. Charles Lavayzelle et Cie, Paris, 1 ere ed., 1937.

— Bury, G.W. : Arabia Infelix or the Turks in Yemen, Macmillan and Co., London, 1915.

— Cochrane, L.A. : The Work of the Boyal Air Force at Aden, J.R.M. S. I., Vol. L X X V I.

— Denny, L. : America conquers Britain, London.

— Douin, G. : Histoire du Regne du Khedive Ismail, tone III., L'Empire Africain. Le Caire, 1941.

— Fisher, W.B,: The Middle East, A Phisical, Social, and Regional, Methuen & Co., London. First Pub., 1950.

— Gavin, R.J. : Aden under British Rule 1939 — 1967. C. Hurst, London, 1975.

— George, H.B. : A Historical Geography of the British Empire, Seventh Edition, 1924, Methuen and Co. Ltd., London.

— Graham, Gerald S. : Great Britain in the Indian Ocean, A study of Maritime Enterprise 1810 — 1850, Oxford, at the Clarendon Press 1967.

— Heekinbotham, Sir Tom. : Aden Constable, London, 1958.

—Hogarth, D.G.: — The Nearer East. H. Frowde, London, 1905.

— Arabia. Clarendon Pr., Oxford, 1922, First ed.

— Hoskins, Halford L.: — British Routes to India, London, Longmans Green, 1928.

— "The Growth of British Interest in the Route to India"., Tufts Coll. Mass., U.S.A. Journal of the Indian History, II.

— Ingrams, H. : — The Yemen, Imams, Rulers and Revolutions, London, Camelot Press, 1963.

— Arabia and the Isles, London, 1966.

— Jacob, H.F. : Kings of Arabia, Mills and Boon, London, 1923..

— Johnston, C. : The view from Steamer Point, Three Crucial years in South Arabia, Collins, London, 1964.

— King, Gillan : Imperial Outpost — Aden. Its place in British Strategic Policy,Chatham House Essays, New — York, 1959.

— Lenczowski, George: — The Middle East in World Affairs, Third Edition, Cornell University Press. Ithoca, New York. 1962.

— Oil and State in the Middle East, New York, 1961.

— Marston, T.E.: Britain's Imperial Role in the Red Sea Area, 1800 — 1878. The Shoe String Press, Inc. Hamden, Connecticut, U.S.A.

— Philby, H. St. J.B.: — Arabia, Ernest Benn Ltd., London, 1930. First Ed.

— Arabian Highlands, First Pub. Oxford, 1952, (The Middle East Institute).

— Arabian Jubliee, Robert Hale Ltd. London, 1952. First Pub.

— Sa'udi Arabia. Ernest Benn Ltd., London, 1955. First Pub.

— Playfair, Captain Robert Lambert: A History of Arabia, Felik or Yemen, "from the commencement of the Christian Era to the present time, including an account of the British settlement of Aden", Bombay, Government Sentral Press, 1859, Selections from the Records of Bombay Government New Series Number XLIX.

— Pratt, J.W. : A History of United States Foreign Policy, Second Edition, Prentice Hall.

— Reilly, B. : Aden and the Yemen, Her Majesty's Stationary Office, London, 1960.

— Rihani, Ameen: — Araban Peak and Desert, Travels in Al — Yemen, London, Constable and Co. Ltd. 1930.

— Around the Coast of Arabia.

— Ibn Sa'ud of Arabia, His People and his land, London. 1928.

— Roder, William S.: Dictionary of European History, New York, 1954.

— Sanger, R.H.: The Arabian Peninsula, Cornell Univ. Pr. New York, 1954. First Pub.

— Scott, Hugh (Dr.) : In the High Yemen, Murray, 1942.

— Simonin, M.L.: La Presqu'ile d(Aden et la politique Anglaise dans les Mers Arabiques, Paris, J. Claye 1867.

— Stark, Freya : The Arab Island. A. A. Knopf, New York, First Ed., 1945.

— Vachell, J.L.: Air Control in South West Arabia, Ryal Air Force Quarterly, Vol. 2. No. 1.

— Van der Meulen, D.: Aden to the Hadhramout. Joan Murry, London, 1947, Second Ed.

— Waterfield, G. : Sultanz of Aden, John Murray, London, 1968.

— Wellsted, J.R.: Travels to the City of the Caliphs, Etc. London, Colburn, 1840. 2 Vols.

Periodicals (٣) الدوريات

— Journal of the Royal Central Asian Society, Vol. XXVII., 1940.

— Survey of International Affairs, 1924 — 1946.

— The Middle East, a political and economic survey, Oxford University Press, London, 1958.

Encyclopaediaz (٤) المعارف العامة

— The Encyclopaedia Americana, 1962.

— The Encyclopaedia Britanica, 1960.

— The Encyclopaedia of Islam.

المحتــــــويات

***

ملاحــق البحث :

ـ أولا : ملاحــق باللغــة العربية :

ـ الملحــق الأول :

ـ محمية عدن ، خطاب من القائد العام فى عدن الى سكرتير حــكومة الهند ، القسم الخارجى . (١٣ مايو ١٩١٦) .

ـ مرفق رقم (١) حدود محمية عدن ، مذكرة أعدها «الكولونيلووهوب» ضابط المخابرات السياسى والعسكرى فى عدن .

ـ مرفق رقم (٢) خطة سياسية فى الأراضى المتاخمة (لعدن) ، مذكرة أعدها « الكولونيل جاكوب » المساعد الأول للمقيم السياسى فى عدن (١٠ مايو ١٩١٦) .

ـ الملحــق الثانى :

ـ معاهدة الصداقة والتعاون المتبادل بين بريطــــــانيا والامام يحيى (١١ فبراير ١٩٣٤) .

ـ الملحــق الثالث :

معاهدة الاستشارة بين بريطانيا والسلطنة القعيطية (١٣ أغسطس ١٩٣٧) .

ثانيـــا : ملاحق باللغة الانجليزية :

1. Residents, Governors, etc. of Aden, 1839 — 1967.

2. I.O.L., Secret. The Aden Protectorate, Letter from the General Officer Commanding, Aden to the Secretary to the Government of India. Foreign, Department, dated 13th, May 1915.

— Enclosure No. 1. : The Boundary of the Aden Protectorate, Note by Colonel R.A. Wauhope R.E., C.B., M.G., Political and Military Intelligence Officer, Aden.

— Enclosure No. 2. : A Political Policy in our hinterland, Note by Lieutenant — Colonel H.F. Jacob, First Resident, Aden, dated 10th, May 1916.

— مصـــادر البحث :

أولا : مصادر باللغة العربية .

ثانيــا : مصادر باللغات الأجنبية .

* * *

Enclosure No. 1

المقيمون السياسيون وحكام عدن البريطانيون

(١٩ يناير ١٨٣٩ — ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧) (١)

Residents, Governors, etc. of Aden 1839 — 1967

Captain S. B. Haines, Indian Navy	Political Agent 1839-54
Major-General J. Outram	Political Agent 1854-6
Col. W. Coghlan	Political Resident 1856 62
Major-General R. W. Honner	Political Resident 1862
Col W Coghlan	Political Resident 1863-7
Major W. L. Mereweher	Political Resident 1867-70
Major-General Sir E.L. Russell	Political Resident 1863
Major-General C. W. Tremenheere	Political Resident 1870-2
Brigadier-General J.W. Schneider	Political Resident 1872-7
Brigadier-General F.A.E. Loch	Political Resident 1877-82
Brigadier-General J. Blair	Political Resident 1882-5
Brigadier-General A.G.F. Hogg	Political Resident 1885-90
Brigadier-General J. Jopp	Political Resident 1890-5
Brigadier-General C.A. Cunningham	Political Resident 1895-9
Brigadier-General O'Moore Creagh	Political Resident 1899-1901
Brigadier-General P. J. Maithand	Political Resident 1901-4
Major-General H.M. Mason	Political Resident 1904-6
Major-General E. De Brath	Political Resident 1906 10
Brigadier-General J. A. Bell	Political Resident 1910 14
Brigadier-General C. H.U. Price	Political Resident 1915
Major-General J.M. Etewart	Political Resident 1916-20
Major-General T.E. Scott	Political Resident 1920 5
Major-General J.H.K. Stewart	Political Resident 1925-8
Lieutanant-Colonel Sir G.S. Symes	Political Resident 1928-30

(1) Gavin, R.J. : Aden under British Rule 1839 — 1967, P. 444.

Lieutenant-Colonel B.R. Reilly	Political Resident 1930-2
Lieutenant-Colonel B.R. Reilly	Chief Commissioner 1932-7
Sir Bernard Reilly	Governor 1937-40
Sir John Hathorn Hall	Governor 1940-4
Sir Reginald Champion	Governor 1944-51
Sir Tom Hickinbotham	Governor 1951-6
Sir William Luco	Governor 1956-60
Sir Charles Johnston	Governor 1960-3
Sir Kennedy Trevaskis	High Commissioner 1963-5
Sir Richard Turnbull	High Commissioner 1965-7
Sir Humphrey Trevelyan	High Commissioner 1967

Encosure No. 2

India Office Library, London :

Secret.

— The Aden Protectorate, letter from the General Officer Commanding, Aden, to the Secretary to the Government of India. Foreign Department, dated 13th, May 1916.

— Enclosure No. 1. The Boundary of the Aden Protectorate, Note by Colonel R. A. Wauhope R. E. G. B., C. M. G., Political and Military Intelligence Officer, Aden.

— Enclosure No. 2. A Political Policy in our Hinterland, Note by Lieutenant — Colonel H.F. Jacob, First Assistant Resident, Aden, dated 10th, May 1916.

Secret :

"The Aden Protecterate"

Letter from the General Officer Commanding, Aden, to the Secretary to the Government of India, Foreign Department, dated 13th May 1916.

Sir :

(1) The attached note was made at my request by Colonel R.A. Wauhope R.E. C.B., C.M.G., after conversation with me.

A'so attach a note on the political aspect of affairs in the Yemen by Lieutenant-Colonel H. Jacob. First Assistant Resident.

(2) It appears to me that four alternatives present themselves for consideration as future possibilities : ---

1 --- To remain on the passive defence in Aden with with a covering force at Sheikh Othman as at present.

2 --- To advance to Lahej and occupy positions commanding the outlet from the Tiban defile a!ong which only any militarv road from northwards approches Aden.

3 --- To advance to our old frontier line of protectorate delinitation, and to occupy Dala.

4 --- To occupy Taiz, thus assuming a protectorate over the whole southwest corner of the Yemen, with a new frontier line strategically and politically defensible.

(3) To any or all of these may be added the occupation cf Sheikh Said on the main land opposite Perim. In the case of adeption of propositions (1), (2), or (3), such an occupation must, almost of necessity, be added. But in the case of (4) would probably be unnecessary.

(4) In the consideration of these propositions in detail a limitation is fixed by our necessary ignorance of the future. But it appears to me that even with our present knowldge, certain conclusions may be arrived at conditionally, and that it will be of advantage to discuss these.

(5) 1 — In the past it has been found practically impossible to regard Aden as an isolated post disconnected from the hinterland.

In the future it will be found even more difficult to regard it from this point of view. It seems likely that persistence in such a policy may lead to very serious complications with European Powers.

From a military point of view the Sheikh Othman position does not afford any natural defence, and does not give sufficient elbow-room for operations of any importance. Politically it is ineffective. Any further discussion of this proposition appears unnecessary, as I feel sure that no authority would recommend its adoption except as a last alternative.

2 — Lahej ofers a position with a better radius of action for any troops stationed there. It is closer to Aden than than any other centre at which a hostile force could collect for an attack on Aden, provided Sheikh Othman is held, It therefore offers the advantage of interior lines as compared with othed centres, and it could be safely held. It is will situated for controlling the Arabs of the coast. If the Arabs be joined in strength by the Turks, or by the Imam's forces, it offers a position blocking the approaches to Aden. The only line that offers, any advantages to a free advancing from the north as a line of communication is that from Mavia and Taiz by the W. Warezan and W. Akhan routes converging in the W. Tiban route.

It is only by this route that water for any force larger than a battalion can be found. The Turkes and the Arabs have no organised system of supply, and must live on the surrounding country; therefore they must station themselves at the larger trade centres such as Lahej, Mavia and Taiz. Dala also is such a centre, but Musemir is not.

If Lahej be denied to them they must stay at some of the centres named, but they cannot consolidate themselves elsewhere, except temporarily at Musemir. But if Lahej is

not held. a large concentration can be effected within a day's march of Aden.

The last stage of the issue of the W. Tiban route from the foothills forms a narrow defile. If a force attempting to issue from the defile were attacked during the movement, they would be liable to defeat in detail, and to suffer disaster.

If the enemy are allowed to concentrate, with all their strength outside the de ile, the only disadvantage that they suffer from is that they are fighting with their backs to it, but they hold the exit. If attacked when half out of the defile the advantage should be with the attackers. There is a position at Tannan which commands the exit from the defile, but it is not fit for permanent choupation owing to the heat strikin off the rocks in the reotriced area. Nobat Dakim which is 2 % miles south of Tannan is extremely unhealthy and malarious.

At Al Anad, tracks from the north are obstracted by a hill, and this forms a supporting position about 7 miles of Tannan. It is less unhealthy than Nobat Dakim and has a plentiful supply of water. The Turks have a hospital here. There is good water from a spring in the W. Tiban near Zaida and open ground suitable for a camp, but no shade. This would be the lest place for the hutted camp of a force detailed to hold the Tannan position.

It is situated about 11 miles south of Tannan. The places mentioned above can be occupied in such a way by a force of three or four battalions with guns as to deny the approach to Lahej to a force of very much greater strength.

From a defensive point of view it is exceedingly strong, but as regards the health of the troops it is, owing to the presence of mosquitoes, rather worse than Aden or Sheikh-Othman.

It has, however, many advantage over either of the latter, because it covers the fertile area of the Lahej district, from

which vegetables, extra, can be obtained, because it particically prohibits an advance from Mavia, and becau.e it controls the coast tribes in the vicinity of Aden.

It is, in my opinion, the least advance that should be mede. If made. it should be clear from the outset it is a permanent move, and that we go to stay.

In anv case, even if a further advance has been decided on, it must be the first stage of such an advance. It would be well to pause and consolidate here before attempting anything more. Until the railway has been brought up and troops have been exercised in the hilly country and hill camels have been collected, these positions should be made good.

(6) If we are to go no further than Lahej it becomes necessary to consider the advioability of occupying Sheikh Said.

There is collection of barren rocky hills with 15 or 20 grass huts used by fishermen who are the only normal i..h..bitants. The Turkish telegraph line of the Yemen pass.d over from here to Perim. There were a fort and some barracks on J. Utla near Turba, but these have been desolished.

There is no natural harbons (the Khor is only a shollow inlet), nor is there here a natural trade centre. There is water, but it is barkish the local Arabs drink it, but no one else can. The Turkish garrison obcains water b.ought on packs animals from Bab Hajari and Dub.b.

It is unlikely, judging by the formation of the land, that there are any underground streems from the main hills of the interior. Therefore, any occupation must entail the erection of condensers. ...

The danger of Sheikh Said to us lies in its position dominating the Bab-al-Mandab straits.

If it were properly armed by another power we could not hold Perim, which provides the natural harbons, of which Sheikh Said should be, normally, the defence.

An attack on Sheikh Said from the land side would be difficult because of the want of water in the desert to the north-east. Water might be found in this desert by boring, but this would take time.

The Hejaz railway, when it reaches Yenbo on the coast, will have outflanked the Suez Canal and the Potential importance of Sheikh Said will then be increased. We cannot, in short, allow it to be occupied by a foreign Power.
It would be sound to make sure of it before the Turks come out of this war, otherwise it may lead to unnecessary argument.

What we do with Sheikh Said when we have got it is another matter.

If we advance to Taiz and occupy that country in force, there will be no need to garrison Sheikh Said, which is a very undesirable spot for the location of troops.

But if we do not occupy the Taiz District in a military sense, it seems that it will be necessary that Sheikh Said should be occupied and garrisoned.

As soon as The Turks look like with drawing from the war we ought to take it, but not sooner than is necessary. already indicated, its further defence and the garrisoning of this place must depend on the decision arrived at with regard to Taiz.

(7) 3 --- The third alternative in the proposition that we should advance to Dala and make good our line as delimited on our maps. I have been unabble to discover any other reasons for originally going to Dala than that (a) it provided a much needed sanitarium for the Aden Garrison. (b) it brought us into closer contact with the Hinterland tribes; (c) we could not go the Taiz.

Dala does not close any route practicable for any army, and it is turned at once by any hostile advance from the north west by the Tiban route. It is a place of little strategical importance, and the question of an advance to this place need not therefore be further discussed. It is not worth any risk.

4 — This last proposition, viz. to occupy Taiz, has been discussed by Colonel Wauhope in his memorandum herewith attached It is undoubtedly by far the most attractive proposition. It appears to me to be worthy of the deepest considiration. It is a big scheme and would require a force of, probably, two divisions to inaugurate it, and a permanent force of a division, after things had setteled down. It would be necessary to carry on the railway from Aden to Taiz and desirable to continue the railway to Ras Kathib just north of Hodeida. This railway would be guarded from attack from the north by a mountain barrier through which we should hold the passes. The project might entail trouble with the Imam Yehia, but would be favourably viewed by our friend the Idrisi, to whom we might offer the coast country southwards from Lahaya to Ras Kathib.

By this means, and by strengthening the Sultan of Mokalla, would be formed a barrier to foreign intrigue and occupation around the whole of the coasts of Southern Arabia.

All the advantages of a sanatarium would be available for our troops in the fine climate round Taiz. Any force maintained here would be exceedingly well placed strategically for use in Persia, India, East Africa, the Red See litoral, or in the West.

The whole trade of the Yemen would increase vastly under a stable government and would find a natural exit by rail either to Ras Kathib or Aden.

The new frontier would be naturally defensible.

On the civil administration of the triangular tract between this frontier and the seas Iam not in a position to offer an opinion, but perhaps it might be run on the same lines as the Sudan.

I agree with Colonel Wauhope in the opinion that Indian troops are least suitable for employment in Arabia, especially Indian Muhammadans, who seem to become hypnotised by the thought that they are in the land in which lies Mecca.

It seems possible that Sudanese troops might do better. But in any case time and money would, in my opinion, be well spent in an attempt to form a local corps of Arabs under British officers. They will not take kindly at first to too strict a discipine, but according to all available information there are many good fighting men who would enlist if required.

There are Arabs who are hard working, as is evidenced by their good work when coaling steamers and as stokers.

(8) The first assistant Resident advocates, as does Colonel Wauhope, the advancement of our sphere of influence to Taiz. In fact the end he has in view coincides with propositions (4). But he proposes methods which have, to my mind, proved a failure in the past. The undertaking of political obligations supported by no adequate measures for their fulfilment, and the building of railways in country outside our jurisdiction, appear to me to be open to grave objections.

If, therefore, if be decided to advance from Aden, an adequate force to ensure the fulfilment of all obligations and guard our interests and a suitable location for that force, for which Aden is quite unsuitable, appear to me to be essential elements in any practical proposition.

In short, any satisfactory scheme must meet the strategical as well as the political requirments of the situation.

As for a chiefs college, Aden is no place for it More healthy surroundings and cooler climate are essential. But no one would suggest that it should be outside our border.

To push the Turks back through the passes and beyond our protectorate border will probably require the concentrations of a force of two divisions.

No greater force would be required to push them beyond Mavia and Taiz and there should be no retirement thence.

For some time to come this force would probably be not more than sufficient to cope with the dissatisfaction of the Imam of Sanaa, unless we come to terms with him before we advance. Although the Idrisi might assist us in engaging him in case he declines to come to terms.

Althgough it mey appear to the Arabs that any advance to Taiz is due to a desire for personal or national aggrandisement, such an advance would be, in my opinion, forced upon us from no such desire.

I believe the advance will be forced upon us by considerations not only of self-preservation at Aden, but of the preservation of the best interests of the Arabs. If it is, I can see no a advantages but great danger in attempting to make it without adequate force.

I am fully aware that our action here is dependent on success or failure in other distant fields of action, but any success in distant spheres will not entirely compensate for local inaction.

I therefore submit these papers in case a possibility for action should present itself, in the hope that they may be found of some use in due course. ...

I have & C.

W.M.C. WALTON.

Brigadier — General Commanding, Aden.

Copies to :—

The Secretary of state.

The chief of the General Staff, India.

The Commissioner, Cairo.

ENCLOSURES

Enclosures No. 1

The Boundary of the ABEN PROTECTORATE

(Note by Colonel R. A. Wauhope R.E., C. B., C. M. G.)

(1) In 1630 the Turkish occupation of Yemen, which had lasted nearly 100 years came to an end, and from that year until the reconquest of Sanaa in 1872 the province was ruled by the Imam's of Sanaa the descendants of the ancient dynasty established in the ninth Century, A.D. Their hold over the outlying districts gradually weakened, and in 1839 when Aden was captured by the British, the Abdali Sultan, who then held it, was independent of the Imam and had extended his influence over the adjoining tribal territory. This was so far recognized by the British Government that in 1839 the sovereignty of the Imam was ignored and a treaty made with the Abdali, under which the British Government became responsible for the stipends paid by him to the Padli, Yafai, Haushabi and Amiri tribes for safeguarding the routes to Aden.

(2) Direct relations with these tribes were entered into later, and treaties made extending British protection to them in return for certain obligations which they undertook, but the limits of the protectorate remained until recently as we took them over on our first occupation of Aden.

(3) Turkish intervention in Yemen recommenced about 1840, but it was not till 1872 that the advance of the Turks brought them into contact with the tribes in treaty relations with us. In that year they advanced from Kataba, occupied a large part of the Amiri tevitery, and deposed the Amir of Dala, and, in spite of remonstances from theBritish Government, pushed on as far as Lahej, which they only evacuated under strong diplomatic pressure. The Porte then admitted that certain specified tribes were within the British sphere of influence, but their aggressive policy was persisted in until in 1901 the British Government found it necessary to expel a Turkish force from a post established at Ad

Dareja in Haushabi territory. A Commission was then appointed by the two Governments to determine the boundary of the specified tribes, and this was agreed upon and demarcated on the ground, from Sheikh Said to a point near Kataba, beyond which it was agreed that the boundary should run north-east up to the desert, thus cutting off Turkish access to Baihan and the Hadramaut Valley.

(4) The preceding paragraphs show that the present boundary, though recently agreed to by Turky, was acquired bp us at a time when neither Turkey nor the Imam had any recognized rights in the neighbourhood of Aden; this is perhaps important to notice at the present time when the Imam may be inclined to make claims which his predecessors did not think of bringing forward 80 years ago. It is also interesting to note that the de facto rulers of Aden, from whom we inherited, so to speak, the present frontier, found it necessary to subsidize the tribes commanding the approaches to Aden, and that it was even then impossible to regard Aden as an isolated position, and without interest in the hinterland through which its trade communication run.

(5) This boundary is in many ways an unsatisfactory one. It ignores militry considerations entirely; it follows no definite natural features; and except at one point near Bala it denies us possession of the heights commanding the border, and of the fertile highlands, leaving to us only the barren foothills and deserts. The possession of Uavia and the high plateaux to the north of it would have changed the position entirely in our favour; we could then have established outposts in a healthy climate covering all the approaches to Aden from the north-west Short of that line there is no place in all the intermediate country where troops could remain a week without being decimated by sickness. Agarrison at Dala would have had no effect, and would

itself have been cut off by the Turkish advance from the Tiban Valley on Lahej. Unfortunatly, Turkish aggression had gone too far, and no other boundary was then possible, but under the new conditions that must soon arise the whole question should be reconsidered.

(6) If the Turks, after the war, are still to remain in Yemen, a buffer zone of tribal territory must still be maintained but a more satisfactory boundary must be found, such as will give us access to the highlands. and ensure us command of the approaches to Aden. If however they disappear from Yemen, a much larger question arises. The British Government can hardly contemplate the occupation of Yemen and with it of the Red Sea coast, by any other power, and will itself be committed to some form of protectorate over the province. The greater part may remain independent, or under Arab rule, but in order to develop its resources, it may be necessary to exercise, contorl over the parts (which must continue open to European trade) and the main trade routes into the interior. A brief description of the general character of the country will show far this is practicable of desirable, and where we can establish ourselves so as to exercise this control with the least risk and outlay.

(7) The northern limit of Yemen actually under Turkish adminstration is a line drawn eastward from Lahiya for about 120 miles in land and passing about 25 miles north of Sanaa, the southern boundary is the line Sheikh Said-Kataba, as demarcated; the eastern boundary is some 20 miles east of the line Sanaa — Kataba, the whole averaging 200 miles in length from north to south, and 120 miles in width. The Tihama, or maritime plain, extends along the coast and for about 30 miles inland, rising gradually to a height of about 900 feet, at the foot of the bower hills. It is, generally speaking, desert, except where one or other of the hill torvents debonches; some of the oases thus formed are consider extent and fertility.

Bait ul Fakih, Zabid and Hais are the most important. There are also several considerable places on the coast, the inhabitants of which own dhows and do a thriving trade between Aden and the Red Sea ports. The Jabal, or highlands, between the foothills and the crest of the main range, is broken into numerous lateral ranges from 3,000 to 10,000 feet in height, interested by fertil valleys, and watered by perennial streams. The hilltops are everywhere covered with well-built villages and towers, and cultivation is carried on wherever the slopes are not too steep; the terracd fields, extending sometimes for thousands of feet up the mountain sides, and the irrigation channels which utilize the available water to utmost, show the skill and industry of the inhabitants.Fruit, coffee and field crops of all sorts are produced, and under settled conditions the productivity of these highlands could be greatly increased. From the main watershed eastwards the country is generally open and flat, falling away gradually from an averge height of 8,000 feet to the desert-Several towns are situated on this high plateaux Sanaa the capital Damar, Yarim, Ibb and gibla.

(8) The differences in character of these main physical division of the country would no doubt be reflected in the attitude of the population towards a change in the adminiotration. The people of the Tihama, many of them well to — do traders, and owners of coasting craft constantly running into Aden, would welcome a British Protectorate; some of them, the Zaranik for example, have already expressed this wish. The Jabal, which from its in acessibility has been less subject to Turkish miogovernment considers itself quite capable of managing its own affairs without reference to any authority whether British or Turkish; but its population is settled and industrious and as an increased demand for its produce would certainly arise, it might be expected to accept more or less willingly the very slight interference in its affairs that would be rendered necessary under a British Protec-

terate. The inhabitants of both these tracts are Sunnis of the Shafai sect, while those of the towns and of the plateau generally, north of Ibb, are mainly Zaidis, and would look to the Imam as their political as well as spiritual leader. The line of demarcation is in fact as clearly marked by religions as by physical differences.

(9) The main lines of communication North and South, through Yemen are as follows : — Lahiya — Hodeida — Zabid — Hais-Taiz, along the Tihema and Sanaa — Damar — Yarim-Ibb-Taiz on the plateaw —.Both these lines converge at Taiz, and here also the routes meet which lead from the west and south — west from Mokha and Sheikh Said, and from Kataba, and Aden from the east and south-east. Taiz is, in fact, the key to the communications of Southern Yemen; it lies in a remarkable gap in the main watershed range, the only one in the whole length of the range through which a railway could be constructed from Aden to the Western Tihama, and it is approached from Aden by the Tiban valley at an easy gradient, with an ample supply of water at all seasons. Large quantities of grain and forage could be grown in the fertile district to the north — east, and sites for encampments could be found in the immediate neighbourhood, in an excellent elimate, at any elevation desired.

(10) Whatever Government is established in Yemen, it will be necessary to maintain, as at present, a zone of tribal territory entirely independent of Sanaa and under British control. Taiz and its dependencies must be included in this zone, and the present limits of the Protectorate must be extended westwards to some poin on the Red Sea north of Mokha. This southern corner of Arabia is of too great importance strategically to allow any doubt to exist in the future as to its ownership, and our hold on it should be secured by the construction of a railway to Taiz, or some suitable point to the north — east of it, with a road

extending from railhead eastward through Mavia to Dala. It should be specifically excluded from the Imam's jurisdiction, although only a part of it. Would be, for the present at any rate occupied by us.

(11) A well defined and defensible line for the occupied district would be the crest of the range bounding the Taiz valley on the north — west, (1) through J. Nama, the Muharras pass, J. Sorak, J. Hasha and J. Jihaf to J. Harir; at each end of this line the high ranges curve sharply back to the south, forming natural flanks. Such a line fulfils the required conditions; it gives us control of the approaches to Aden, and provides an ample choice of sites for encampment in a healthy climate within a few hours journey from the coast; where our frontier officers will be in touch with the people of Yemen, as they can never by in Aden.

(12) The occupation of Hodeida or one of the Red Sea ports may also have to be considered. They serve the coffee growing districts of Gabal Haraz, Raima and others, and the trade of Zabid and the other Tihama towns. Other European nations besides ourselves are concerned in their development, and will look to us for the maintenance of security. Railways have been projected by the Turks themselves to connect Hodeida with Sana'a and Taiz; we cannot ignore the responsibilites involved in our Protectorate.

(13) adoption of this policy will entail, at the outset, the employment of a considerable force. It should be carried into effect with as little delay as possible on the withdrawal of the Turks; otherwise the country will relapse into anarchy, or the Imam will seize the opportunity to forestall us in the occupation of Mavia and Taiz. The necessary arrangments, political and military, should therfore be considered at once, to ensure the advance being made at the right moment.

---

(1) Seet 66 N. W. (S.W. Asia).

(14) As regards the conistitution of the permanent garrison some important change would seen desirable. The greater part will in future be stationed in a cool and healthy climate, and a large proportion should, for some time to come, consist of British trops.

The employment of indian troops in Arabia is for many reasons inexpedient; the native element should therefore be recruited from the local tribesmen. Excellent material is available and will come forward as soon as the people are convinced that our Protectorate is really a permanent one.

R.A. WAUHOPE

Political and Military Intelligence Officer, Aden.

Enclosure No. 2

A Political Policy in our Hinterland

(Note by Lieutenant -- Colonel H.P. Jacob, First Assistant Resident. Aden)...

At the beginning of the war with Turkey everything was made to depend on a political policy. The Arabs were asked to create a diversion against the Turks. On this account precautionary measures of a military nature were put out of court and the seriousness of a Turkish movement was somewhat dicounted from the military view -- point.

(1) The Idrisi agreement was made on 30 th April 1915. Had the Idrisi Saiyid been more active, the descent on Lehej would have been delayed or entirely frustrated.

(2) The Mavia Sheikh concluded an agreement on 19th February 1915. He tried to do his part but we did not carrespond. Here too, had we done so, the more to Lehej would have forestalled. Mavia has never taken an active part against us. His arrived on the Dala plateau was the result of the Amir's coquetting with the Kain Makam of Kataba. Mavia deposed the Amir and put up a relative. He then changed his quarters and went to Mavia. Abrother of the present Abdali Sultan was deputed to meet him at Musemir. The house of Abdali however, did not approve of the "Mavia agreement". The Abdali did not want to see a strong ruler in that quarter under our flag, which was the programme we had proposed and to which Mavia had assented. The Abdali mission failed on account of the maladroitness of its representative. Mavia would not lead the attack on Lehej, pleaded sickness, and was eventually put on the Turkish black list as pro-

British. He was not present at the occupation of Lahej and has ever since then been moving about in the neigh-neighbourhooh of Mavia, while once, to deceive the Turks, he led another movement on the Dala plateau, this time against the Shairis.

(3) 1 — The Imam of Sana'a dislikes the Turks but distrusts our mission in Arabia after the bombardment of Sheikh Said in November 1914. He has always been friendly to the house of Abdali, and was very indignant with the Turks for their occupation of the Abdali capital.

Writing to the Abdali Sultan so late as in April 1915, The Imam expressed his distrust of the Turkish Government in the Yemen, and accused them of formenting disturbances. He said he had no desire, save "to bring" together the scattered hearts of his brethren in the faith and to keep alive "the flickering soul of the Islamic Nation". He reiterated his firm friendship with the house of Lahej and said he would always remain in friendly relations wtih the house.

The Imam's Lieutenant Saiyid Mohamed Ali Sharif, also wrote to the Sultan. He said that the Governor — General of the Yemen and other self interested persons in Sana'a had conspired to accuse writer of visiting Aden and and receiving doles., The Imam, his master, then wrote a stiff note to the Governer — General and protested against certain Turkish acts and suspicions which were contrary to the spirit of the Turco — Imamic truce. The writer added that disagreement between the Imam and the Turks might any day cake shape. He concluded that it was impossib!e for the Imam to join the Abdali, but he promised neutrality and an abiding consideration for those under Abdali protection; that the Imam had notced the

object of some designing persons (i.e. Turks), and he thereupon collected his forces and would make his own expedition when necessary. The writer had asked the Imam his object in taking a force against the district of Beda and adjacent country. Whereupon the Imam with — drew the same. Beda had long been the Imam's objectine.

2 — All this goes to show that the Imam did not approve of the Turkish measures against Lahej. He does not admire Turkish methods of rule. but for the time he finds it the best policy to obide by the terms of the Treaty he made prior to the Turco-Italian war.

Had these political measures succeeded, we should have combated the Turks by proxy and very economical'y. There was a military side, and co-operation on our part was essential. I will not here criticise the causes which led us to refrain. It is better to face the facts and see what should be done in the future.

I base my remarks on the hypothesis that the Turks will be expelled from the Yemen.

3 — When he Turks retire, the borden line will be a thing of the past. Chaos wi'l succeed. The Turk is at present the cork in a bottle of beer. When the cork is drawn the beer will foam over. The democracy of the Arab only adds to the difficulty. The Arab lacks cohesion. What has been said of Spain by a distinguished writer in the year 1830 is true of the Yemen to-day. Repe'ling intercourse with other nations, the Yemen is thrown back upon hereself. This isolation, however, does not unite the separate tribes in any community of national feeling. The contrary is the case. Bound to gether in provincial clanship, the inhabitants known themselves and their neighbours not so much

as Arabs, but as Shafa'i and Zeidi, Yafai hillomen and those of the plains : Aulaki, Audhali, Bedani, & C. Tribes may be bought and re-bought by different and opposing parties.

If the Turk goes, the Arabs will rejoice at regaining their independence. Will they then welcome our taking over Turkish rights and liabilities ?

The Imam opposes Turkish rule, not because he loves us, but rather because he considers the Yemen the property of his forbears. The raid on Lahej he abhorred just because Lahej he considered a part and parcel of his ancient damain and he had a secret treaty with the late Sir Ahmed Fadl of Lahej.

When in 1640 the Turks left the Yemen, the Imam took it over. Will he now after this lapse of time with a similar disappearance of the Turks, be content to be cribbed, cabined and confined in the tracts now assigned him by the Turks, i.e., in the Northern Yemen?.

When we told the Imam we did not seek territorial expansion in the Yemen and asked him to join us to expel a foe to Arab progress, he at once instanced our attack on Sheikh Said as belying that assertion; that we were poaching on his preserve, and he could not believe that no ulterior motive lay behind our desire for his friendship.

4 — I have said that our border line will be a tobula rasou when the Turk goes. This line was drawn between ourselves and the Turks, and not between us and the Arabs. The Arabs have never recognised the line. The line cut in two tribes who had for years considered themselves one in attack and defence. I speak of Juban, Nawa, Bani Dabyan and Mousta. Juban in the division went over to

the Turks. The Sheikh made frequent and feverish appeals to be taken over by us. He was as aften told that he was within borders of our good friends the Turks. When the Turk goes, the Treaty between us and the Ottoman Government of March 1914 is also a dead letter. I refer to the Turkish recognition of the prolongation of the north-east line from Lakamat al Ashub.

5 — We must work back to our delimited border and expel the Turks who have crossed it, and in crossing have taken over the Haushabi and Amiri tribesmen.

6 — Until we take over our fermer borders we shall have lost caste with our Arab proteges and it will be idle for us to talk of a delimitation of our borders vis-a-vis the Imam.

7 — A new border is imperative. We must keep the Imam, if possible, within a certain prescribed area. Colonel Wauhope advises that we go up to Taiz, I am not sure of the advisability of the means he proposed, though the end in view is admirable. The Turks had made Taiz their headquarters and had before this war practically left the Imam supreme in the Northern Yemen. We, too, should keep him there and not allow him to come south.

8 — I do not advancate a "forceful penetration" of this new area. I do not believe that the Arabs will welcome us as steppers into Turkish shoes. The Turks were, at any rate, Moslems, even if bad Moslems. They drived their rule in the Yemen from their Caliph. Their rule was despotic and detested. The Arabs liked our presence at Dala up to 1907, but only because we did not harass them. We did not administer the country but unostentously surpervised their admiuistration. We levied no taxes. The Turks disar-

med all whom they thought dangerous to their rule and then taxed the people by force. Should we begin to adminster the country, our popularity would cease; but unless we imitate in principle the Turkish regeme we cannot stay in the country and make our stay pecuniarily profitable.

9 -- For this reason I do not recommend a forceful occupation of the country. I think we can best, rule there by proxy. We can take over Taiz. Shurman, and Kamaran and the Hogariya district, and in fact, all southwards in Sheikh Said, but this tract should be merely a "sphere of influence", a sphere where we will brook no foreign power to come in. just as our present treaties stipulate for no cession or sale of lands, which by stipends paid we consider as exclusively within the British sphere.

The Mavia Sheikh administered the Taiz and Mavia tracts under the Turks: Ahmed Noman that of Hogariya under the same masters, we should follow suit, though it would be well to give over a part of the Hogariya district to the Abdali who has lost much, pecuniarily and morally before and since 4th July by espousing our cause. I say "our cause" advisedly, for though Lahej was his, and his interests mainly at stake, yet by treaty we were pledged to safeguard his territory.

10 — In order to open this country, a railway to Taiz will be the best means. There are many ways of greatly extending our influence over this new tract, and I have enumerrated some of them in my Memorandum of 9th September 1915, which was forwarded to Government by General Sir G. Younghusband, with his letter No. G. 694, dated 23 rd September 1915. These measures include levies, a school in Aden for Chiefs' sons & C. By these means we shall prove to the Arab our sencerity when we asked them to

oust the Turks, who for many years had been a block to Arab progress in the Yemen, and further when we denied all idea of personal aggrandisement.

11 — The most difficult problem before us will be to placate the Imam, and this is best done by putting up an influential Arab in the Taiz district- one, however, who happens to be anti — Zeidi, as indeed he is anti-Turk.

12 — As regards existing treaties with the Arabs, we must either ratain or repudiate them.

The Arabs did not join us to fight the Turk. They ccu'd hardly fight the Turk on their own without guns. They They might harass the Turkish communications, and would do so now if we advanced from Sheikh Othman. They will not harry the Turks until well assured of our forward policy. Since 1907 we have to all practical purposes lost first-hand touch with the Hinterland. If we are not eventually to expel the Turks, and until the Arabs are sure of this, our ultimate aim, they will hesitate before incurring very possible reprisals here after the Turks being left in situ.

The majority of the Arab proteges have remained neutral. This war they consider we waged between two Governments They will prefer us as a Government, but as one afar off, one that grants largesses and protects them against foreign intorusion. Their present neutrality does not argae love for Turks, but shows that they would be left alone to live their own lives.

13 — The treaties we first concluded in 1839 were the result of our taking over the Abdali's role of paramount partner,

and were made mainly to keep open the trade routes.
Therefore, I think the present treaties should be retained — save perhaps, those between the Haushabi and the Amiri — these two deserve readjustment. Repudiation of the others would be read as bad faith, and we should avoid all possibility of this indictment at this critical juncture.

14 — The question of making fresh treaties will depend on the exact position of the new line and the attitude of tribesmen when we retake the country up to the old boundary.

Beda is well within our present sphere, but so far the Sultan has not been able to come down to us. In view of the Imam's aspirations in that direction, the Beda Treaty seems very essential.

The Hadramout and its uplands should be left in our hands and consolidated under his rule.

The Imam has aspired to extend his spiritual away in this tract, which he would approach by the Beda country. This is an old and pet scheme of his which the Turco-Italian war postponed to a more convenient season. The chief seaport of the Kuaiti Sultan's domains is the growing port of Mokalla. This place calls for the presence of a British agent. The country has great potentialities, and there is a lot of discontent and unrest fomented by the Kathiri Sultan who is backed by Java and Singapore dollars. We should put all our money on the Kuaiti and bolster him up as best we can.

15 — It is by the railway and roads and by levies and by a chiefs' college that we can best penetrate the Yemen and leave Arabia for the Arabs under the British aegis, but we

must first of all work back to the border which the Turks lately crossed. Adiplomatic set-back of Turks will be mischievous and suicidal, and will wreck all our hopes of posting in the future as the Arabs' best friend. Unless we go back by force, the Yemen will become the happy hunting ground of other European nations, who will however, hesitate to challeuge our position as the Power exercising actual oversight.

16 -- I believe the Imam will be the readier to listen to our wish to live in peacful jwxtaposition with him if we put up an Arab in the Southern Yemen. He might perpetual'y intrigu against us, but that he would do even after we had conquered the whole country by force, and this latter method has the demerit of leaving a smouldering resentment against us in the Arab mind and speak of annexation.

17 -- For this reason I think that a policy of annexation of extra territory should be discounted as a dangerous policy. I would except the port of Hodeida which, if in our hands, would be a useful sop on occasion to quiet the Cerberus of Sanaa. Aden, Hodeida and Mokalla control the entrance of supplies at three important places.

18 -- I do not discuss the Idrisi border. This is a matter beyond our immediate ken. He will not object to our proposed role of general supervision over certain territorkes now in Turkish hands. He himself proposed we should capture Hodeida.

The Idrisi border will seek expantion vis-a-vis the Imam's in the Northern Yemen. It will be our business to adjudicate between these two chiefs.

The role of adjudicator will not be suffered unless we work back to the delimited border twixt ourselves and the Turks.

H.F. Jacob Lieutenant — Colonel,
First Assistant Resident — Aden.

Aden Residency,
10th May 1916.